بشيّر عيّاد

في دولة الإخوان الابتدائية المشتركة



بورصة الكتب

بشير عيَّاد

في

دولة الإخوان الابتدائية المشتركة

اسم الكتاب: في دولة الإخوان الابتدائيّة المشتركة

المــــؤلف: بشير عياد

رسوم الغلاف : الفنان خضر حسن

تصميم الغـلاف: عبد الحكيم صالح

التجهيزات الفنية: حسام أنيس

الناشــــر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٢٥ شارع شريف – القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ١٨٩٩/٢٠١٤

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٥٠١٦-٥٩-١

عيَّاد، بشير.

في دولة الإخوان الابتدائية المشتركة/ بشير عيَّاد- ط١ - القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ .

٣١٢ص؛ ٢٤سم.

تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٥٠١٦-٥٩-١

١- مصر – الأحوال السياسية – مقالات ومحاضرات.

أ- العنوان.

٣٢٠.٩٦٢٠٤

بشير عيّاد

في

دولة الإخوان الابتدائيّة المشتركة

بورصة الكتب

الطبعة الأولى

٢٥ يناير ٢٠١٤م

إهداء

إلى

الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم ، أستاذ الكبد والجهاز الهضمي

بطب قصر العيني

الذي مدّ يديهِ الحانيتين فكانتا طوقَ النجاةِ وأنا أصارعُ دوّامات الألم .

***

وإلى أسرة تحرير جريدة " فيتو " ، زملائي الأوفياء الذين أجبروني على الكتابة لأقتنص الفواصل بين الغيبوبة والغيبوبة لأكتب عدة أسطر فأشعرُ أنني على قيد الحياة .

***

وإلى زوجتي التي لا يكفي العمرُ كله لإيفائها ما يليقُ بصمودها

وإلى أطفالي نوران وسُلوان ومحمّد الذين تعلّقت دموعهم في سقف الغرفة المظلمة فأضاءت لي ومدّت لي خيوط الأمل .

((بشـــــير))

أمّــا قبــل

(('' في دولةِ الإخوانِ الابتدائيّةِ المُشتركة .... لن تستطيعَ أنْ '' تغمّض عينيك'' ، لن تكونَ لديكَ القدرةُ على التخيّلِ، أو التوقّعِ ، أو تصديقِ ما تراه ، نحنُ الآنَ في مرحلةِ تعَلُّمِ ''ركوبِ العَجَل '' في حديقةِ القصرِ الجمهوريّ ، وما عليكَ ـ أيّها المواطنُ العاديّ ـ إلا أنْ تلزمَ اليمينَ دائمًا أثناءَ السير ، وأنْ تأخذَ كاملَ الحذرِ فقد تضيقُ بهم الحدائقُ الرئاسيّةُ فيخرجونَ إلى الشوارعِ فتُفاجَأ ـ والعياذُ باللهِ ـ بمن يلبسُ فيكَ بالعَجَلَةِ أو الموتوسيكلِ أو الاسكوتر أو التوكْ توك،.....''))

كانَ هذا استهلالا لمقالي '' إنّما للرقصِ حدود '' ، على متنِ الصفحة التاسعةِ من جريدةِ '' فيتــو '' في العددِ الثامنِ والعشرين ، الثلاثاء ، السابع عشر من يوليو ٢٠١٢م ، أي بعدَ أسبوعينِ فقط من الاحتلالِ الإخواني للقصرِ الجمهوريِّ في ظروفٍ ما تزالُ غامضةً حتى كتابةِ هذهِ السطور !

كنتُ ، لفرطِ طيبتي ، أظنُّ التفاتي إلى الهجومِ الضاري من هذا الفصيل ، قد حدثَ في أكتوبر أو نوفمبر ٢٠١٢م على أسوأ تقدير ، ففوجئتُ بي أقفُ منهم موقفَ الرافضِ بأعلى الصوتِ وبمنتهى القوّةِ منذ أوّلِ مايو ٢٠١٢م ، وقبلَ أنْ تتمخّضَ الانتخاباتُ الرئاسيّةُ عن الفجيعةِ المؤلمةِ التي ألقتْ بنا إلى أسوأ اختيار ، ولأنني من عبادِ اللهِ الطيّبينَ فقد كنتُ أناصرُ الدكتور أبو الفتوح في الجولةِ الأولى، ولم أكنْ أدري أنَّ الإخوانيَّ القديمَ الكامنَ فيهِ لم يمُتْ بعد ، بل تعدّى

الأمرُ ذلكَ ـ فيما بعد ـ إلى شكّي القاتلِ واعتبارِ المذكورِ جزءًا من مؤامرةٍ مُحكَمَةٍ أدّت إلى تفتيتِ الأصواتِ في المرحلةِ الأولى لتكونَ مباراةُ الإعادةِ بين العيّاط وشفيق ، وكلٌّ منهما أسوأُ من الآخر ، ولذلكَ أعلنتها على الملأ وكتبتُ لهما : " إنّي رفضتكما معًا "، وأصرَرْتُ على موقفي ، ولم أعصِرِ الليمونَ مثلَ الذينَ عصروهُ واضطروا لاختيارِ هذا أو ذاك ، وقبلَ أنْ يدخلَ العيّاط قصرَ الرئاسةِ طارحتُهُ بمقالٍ تمهيديٍّ في استقبالِ مرحلتهِ الهبابيّة ، وكانت الطريحة في العددِ الخامسِ والعشرينَ ، الثلاثاء ٢٦ يونيو ٢٠١٢م ، فإذا علِمتُم أننا نكتبُ مقالاتنا قبلَ الطبعِ بأربعةِ أيّامٍ على الأقلّ ، يكونُ المقالُ مكتوبًا في الثاني والعشرينَ من يونيو ، وكانَ بعنوان :" فوضى الأصلِ والظلّ والقناع " ، واستهللتُهُ بالآتي:

((" أكتبُ مساءَ الجمعةِ ، وقبلَ أن تحنَّ علينا اللجنةُ العُليا للانتخاباتِ الرئاسيّةِ وتعلنَ اسمَ السيّدِ الرئيسِ الجديد ، وأعيدُ التأكيدَ على أنني قلتُ للسيّدينِ المتنافسَينِ : إني رفضتُكما معًا ، وأصررتُ على موقفي ، وقاطعتُ جولةَ الإعادة ، وهذا معناهُ أنني مُعارضٌ مُحتَمَلٌ ، مع سبقِ الإصرارِ والترصّدِ لأيٍّ منهُما، مع احترامي للمنصبِ ولإرادةِ عُشرِ الشعبِ الذي شاركَ في مسرحيةِ انتخابِ السيدِ الرئيس !

وبما أنّ المؤشّراتِ كلَّها ـ حتى لحظةِ الكتابةِ هذهِ ـ تتّجِهُ ناحيةَ الدكتور محمد مرسي ، فإنني أبادرُ بإعلانِ قلقي ورُعبي ، ليسَ لأنَّ الرجُلَ كانَ احتياطيًّا لا سمحَ اللهُ ، فأغلبُ المبارياتِ الكبرى في كرةِ القدمِ (التي لا نعرِفُها) يحسِمُها الاحتياطيونَ ، ولكنَّ قلقي بسببِ إصرارِ الرجلِ نفسِهِ ـ الدكتور مرسي ـ على أنْ يظلَّ احتياطيًّا ، فمنذُ اللحظةِ الأولى لدخولِهِ المعمَعَةِ وتصريحاتُهُ كلُّها تؤكِّدُ

ذلكَ، إذ لم أضبطْهُ مُتَلَبِّسًا بالقولِ : سأفعلُ كذا وكذا ، أو : أنا أرى أنّ .... ، ولكنَّهُ يقولُ :" إحناح نعمل كذا وكذا ، إحنا شايفين كذا كذا "، فجاءَ ضميرُ الجمعِ "إحنا" (نحن) ليؤكّدَ مخاوفَ معظمِ المصريينَ من أنَّ الدكتور مرسي لنْ يكونَ إلا قِناعًا يخفي تحتَهُ خيرت الشاطر الذي يخفي تحتَهُ فضيلةَ المرشدِ العامِ محمد بديع ، وبذلكَ ، لم يستطعِ الدكتور مرسي أنْ ينسلخَ منْ عباءةِ الجماعةِ ليستخدمَ " الأنا " التي تُعطيهِ وهجَ القوّةِ ، وتعطينا الثقةَ والاطمئنان !"))

ومنذ تلكَ اللحظةِ اعتبرتني ضدّ الرجلِ وجماعتِهِ المحظورةِ التي أصبحتِ الآنَ " الإرهابيّةَ "، ولم أكنْ وحدي ، ولا أدّعي فخرًا وتفرّدًا وتميّزًا، فقد كانت " فيتو " بجميعِ كتّابِها ومحرّريها بما فيهم الكبارُ الذين انسلخوا عن الإخوانِ ووقفوا في صفّ الوطن ، وكانت مئاتُ الأقلامِ التي لا تخشى في حقِّ الدينِ والوطنِ لومةَ لائمٍ تملأُ الصحفَ والمجلاتِ الأخرى جنبًا إلى جنبٍ وفي خندقٍ واحد ، لم نكن مبالينَ بالتهديداتِ ، ولم نكترثْ بجيوشِ النملِ الافتراضي التي تنهشُ سمعتَنا في خراباتِ الانترنت أو قنواتِ المُتاجرةِ بالدين ، كنّا على جبهةٍ واحدةٍ نردِّدُ : الله ... الوطن ... ، انخدعنا في كثيرينَ وساندناهم ، لن ننكرَ هذا ، وعندما تكشّفوا لنا وانكشفت عوراتُهم اعتذرنا لقرّائنا وأعدنا تهذيبَ هؤلاءِ وتأديبَهم وإصلاحَهم ، كنّا نتحرّكُ ـ مثلَ الجميع ـ فوقَ رمالٍ متحرّكةٍ ، وكنّا نتلمَّسُ الوطنيةَ والخوفَ على المستقبلِ لدى أيِّ عابرِ سبيل ، وكانَ من السهلِ أنْ نقعَ فريسةً بينَ أنيابِ محترفي التلُّونِ وركوبِ الموجةِ وسرقةِ الثوراتِ والرقصِ على دماءِ الشهداء (الذين يمارسونَ رقصاتهم وهواياتهم إلى الآن غير مبالينَ بشيءٍ ، ولا يظنونَ أنهم سيقعونَ تحتَ أقدامِ الشعبِ في لحظةٍ ما) .

هل كنّا نظنُّ أنْ تسقطَ دولةُ الإخوانِ بهذهِ السرعةِ القياسية ؟ بالطبعِ لا ، كنّا نظنّها معركةً طويلةً لا مفرّ من خوضها لعدّةِ سنواتٍ ، لكنهم كانوا كرماءَ معنا إذ حفروا قبورهم بأنفسِهم وتسابقوا إليها جماعاتٍ ووحدانا !! جاء استهلالُ مقال " إنما للرقصِ حدود " ليفرضَ نفسَهُ في ثنايا عدّةِ مقالاتٍ تاليةٍ إذ فوجئتُ بكثيرينَ يلتقطونَ جملة"دولة الإخوان الابتدائيّة المشتركة "ويعيدونَ صكّها في كتاباتهم بشكلٍ مفضوح ، فآثرتُ تحبيرَ الوصفَ الذي ابتكرتُهُ وذلكَ بالتركيزِ عليهِ في سياقاتٍ أخرى ، كما قرّرتُ أن يكونَ عنوانًا لأوّلِ مُنتخباتٍ من هذهِ السلسلةِ عندما أصدرُها في كتاب ، غيرَ أنني لم أتوقّعْ أن يكونَ ذلكَ بهذهِ السرعةِ الـ.... فائقة !!

المقالاتُ التي اخترناها في هذا الجزء ، تقعُ بينَ العددِ السابعِ عشر ـ أوّل مايو ٢٠١٢م ـ والعددِ الثاني بعدَ المائةِ ـ الحادي والعشرينَ من يناير ٢٠١٤م (والذي وضعتُهُ هنا قبلَ نشرهِ في "فيتـو ") ـ وهيَ تمثّلُ خطًّا بيانيًّا لحركةِ الأحداثِ وتوهّجِ الكتابةِ في ملاحقتِها ، وكنّا نطمحُ إلى نشرها كاملةً فوجدناها تتجاوز الألفي صفحة، فأشفقْنا على القارئِ ، واختزلناها إلى ما بين أيديكم إلى موعدٍ آخر ، وحرصنا على تذييلِ كلّ مقالٍ برقمِ العددِ وتاريخِهِ ، ولم نفعلْ شيئًا زيادةً عن المنشورِ إلا تصويبَ بعضِ الأخطاءِ التي ظهرت لنا .

ستجدونَ بعضًا من التناقضاتِ والتراجعاتِ طبقًا لتغيّرِ الأحداثِ أو كشفِ حقائقَ لم نكن نعلمها ، وبيدي لا بيدِ عمرو .. أضعُ تراجعي أو تناقُضي أمامَ القارئِ بكلِّ شجاعة ، ولا أضيقُ بالنقدِ ولا الحوارِ الإيجابي ... وننتهزُ الفرصةَ لنشكرَ الإخوانَ على هذا التعاونِ الذي لم نكن نحلُمُ به .

بشير عيّـاد

القاهرة

مساء الخميس ، السادس عشر من يناير ٢٠١٤م

المحتويات

الإبداع في العنبوكة !![1]

من حقّ أيّ مواطنٍ أنْ يختلفَ معَ أيِّ فنّـان ، وأنْ يمتنـعَ عـن متابعـةِ أعمالِـهِ أو الاهتمامِ بها ، ومن حقّ أيّ بني آدمَ أنْ يكرَهَ فنّاناً ما إلى الدرجةِ التـي تجعلُـهُ لا يطيـقُ النظرَ إلى خِلْقَتِه !!

ولا يوجدُ عملٌ على وجهِ الأرضِ يولدُ ويحيا وهو معصومٌ من النقدِ والاخـتلافِ معه أو حولَه ، ولم ينجُ فنّانٌ من الجَلْدِ بكرابيجِ الانتقادِ الـلاذعِ التـي تخـرجُ كثـيرًا عـن حدودِ النقدِ لتدخُلَ في بابِ التجريحِ أو التجريم ، ومِنْ هُنا ، جازَ لكلّ عابرِ سـبيلٍ أن يختلفَ مع الفنّان الكبيرِ عادل إمام في كثيرٍ من أعماله ، بالرغمِ من أنّه أحدُ أهمّ صانعي البهجةِ في تاريخِ الفنّ العربي (ولو كرِهَ الكارهون) .

عادل إمام الذي حوّلَ السـعادةَ إلى مـا يشـبهُ الكِسـاءَ الشـعبيّ الـذي يصـلُ إلى البسطاءِ في كلّ مكانٍ ليقاسـمَهُم همـومهم وآلامهـم ويغسـلَ بالضـحكِ الكثـيرَ مـن أحزانهم وقلقهم ، ولا يخفَى على متابعي قلمي أنني لستُ (على ما يُرامُ) مع فنّ عادل إمام ، ولكن السببَ لا علاقةَ لهُ بالدّينِ من قريبٍ أو من بعيـد ، بـل أراهُ في قمّـةِ أدائِـهِ المتفرّدِ في أفلام " الإرهاب والكباب " و " الإرهابي " و" طيور الظلام " ، ويربطني أمام التلفاز (والعياذُ بالله) عند (كلّ) عرضٍ لها ، فأنـدهشُ ـ مـن جديـد ـ وأصـفّقُ لكلّ الأفكارِ التي قدّمها في هذه الأعمالِ تحديدًا (أي أنني معها شكلاً ومضـموناً) .. وباعتباري مواطناً مُسلمًا غيورًا على دينِهِ فإنني لم أرَ في هذه الأعمالِ ، وغيرها مما قدّم،أيّةَ

[1] العدد ١٧ـ الثلاثاء ١ مايو ٢٠١٢

إساءةٍ إلى ديننا العظيمِ الذي صمدَ أربعةَ عشرَ قرنًا أمامَ جحافلِ الأعـداءِ ولم يضـعفْ ولم يهتزّ ، بل يزدادُ انتشارًا وتوغّلا في الزمانِ والمكانِ ، محفوفًا بصدقِ أبنائِـهِ المخلصـين الذينَ تتطابقُ أعمالُهم مع الإيمانِ الذي وقرَ في قلوبهم ، ومحاطًا باحترامِ عقـلاءِ الأديـانِ الأخرى الذينَ يقدّرونَ ما قدّمه علماءُ المسـلمينَ وفقهـاؤهم ومفكّـروهم ومبـدعوهم وفنّانوهم للحضارةِ الإنسانيّة ،وباعتباري رَجُلَ قانون (مع إيقـافِ التنفيـذ) ، فـإنني أَحْرَصُ الناسِ على احترامِ أحكامِ القضاءِ حتّى ولو كانت على رقبتي ما دُمتُ أستحقّ، غيرَ أنني ـ كملايين المصريين ـ أتوجّسُ خيفةً من (رائحةِ) الحكمِ الصادرِ ضد الفنـان عادل أمام بالحبس ثلاثة أشهر (وإن كنتُ على ثقـةٍ مـن إلغائـه بالاسـتئناف) ، هـذهِ الرائحةُ التي تفتحُ البابَ أمامَ أي مغمـورٍ أو مزنـوقٍ أو مخنـوقٍ أو متضـايق أن يرفـعَ دعوى ضدّ أي كاتـبٍ أو شـاعرٍ أو رسّـامٍ أو أي عـادل إمـام ليتّهمَـهُ بـازدراءِ الـدينِ الإسلامي !! وبدوري أتساءَلُ: مَنْ ذا الذي منحك الحقَّ أيها الفُلانُ أو العِلانُ لتعمـلَ عملين ، عملَك الأصلي الذي لا أعرفُهُ والذي قد لا يعودُ على أحدٍ سواكَ بأيّ خيرٍ أو منفعة ، وعملَك الجديدَ بوصفِكَ وصيًّا على ديننا العظيمِ وأخلاقنا وسلوكنا ، وليكونَ بوسـعِكَ أن تعيـدَ تربيتَنـا وتهـذيبَنا وإصـلاحَنا وتعليمنـا الأدبَ وأخـلاقَ القريّـة !! وأسألك يا هذا الفُلانُ الفُلاني : هل تؤدّي الصلواتِ لأوقاتِها ؟ هل تؤتِي الزكاة وتدفعُ الضرائب ؟ وكم مرّةً خانك لسانُكَ بالكذب ؟ وكم ألف مرّةٍ خانتك عيناكَ بالنظرِ إلى ما حرّمَ الله ؟ وكم ليلةً باتَ قلبُكَ يغلي في نيرانِ الحقدِ والغلّ والحسدِ والكيدِ لعبـادِ اللهِ الذين هم أحسنُ منك عملا ، وأعفُّ منك عينًا ولسانا ، وأطهرُ منكَ رُوحًا وسريـرة ، وأعلى منك قيمةً وقدرًا ، وأقربُ منكَ إلى اللهِ ورسوله ، وأنفعُ منك للناسِ أجمعين ؟

إنني أربأ برجالِ قضائنا المحترمينَ أن تُكالَ لهم الاتهامـاتِ بـأنهم يحـاولونَ محابـاةَ اللونِ الذي يصبغُ شوارعنا بعد الثورة ، وأن يوجّهوا رسـالةً بالغـةَ الدلالـة إلى جمـوع

المبدعين والفنانين من خلال الحكم على أحد الرموز الكبرى ـ عادل إمام ـ ، أو ليُقالَ : إن كان هذا يحدثُ لمن يسمّونه " الزعيم " فما بالنا بالطبقاتِ الدنيا من " رعايا " دولة الفن والإبداع والحضارة ! والرائعُ ـ والمدهشُ في الوقتِ نفسِهِ ـ أن ترفضَ محكمةُ جنحِ العجوزة دعويين أخريين ضدّ الفنان الكبير (وشركاه) ، رائع .. لأنّهُ موقفٌ يتيحُ لنا مساحةً من الأملِ والاطمئنان ، ومدهشٌ لأنّهُ موقفٌ يُدخلنا في دوّامةِ الحَيرةِ والأسئلةِ التي لا تنتهي : لماذا بات عادل إمام مذنبًا ومجرمًا هناك ؟ ولماذا أضحى بريئًا وجميلا هنا ؟

كم انتقدتُ ـ بقسوة ـ أعمالا للفنان عادل إمام منها ما رأيتُهُ ابتذالا ، ومنها ما رأيتُه تمييعا وتسطيحا للقضية الفلسطينية ، واعتبرتُ النموذج الذي جمعَ بين الخطّين معا هو فيلم " السفارة في العمارة " ، انتقدته على أعمالٍ أخرى أسبق .. بالكلمة وبالكاريكاتير الموجع من خلال "ستربسات " عاونني في رسمها فنانو مجلة " كاريكاتير " قبلَ سبعة عشر عامًا ، وكثيرًا ما أختلي بعيدًا عن أطفالي وألعبُ على الكومبيوتر عندما يصرّون على متابعةِ أحدِ أفلامِهِ التي لا أطيقُها ، ولكنني ضدُّ المصادرةِ عليه (وعلى مستقبلنا) ، أو محاسبته ـ بأثرٍ رجعي ـ على أفكارٍ لم نختلفْ معه فيها ـ نحن المسلمين ـ ولم ننزعجْ منها بل صفقنا له بحرارة عندما تجرّأ وقدّمها .

ولذلك ، وبناءً عليه

نحترمُ حكمَ القضاءِ المصري، غيرَ أننا نقفُ جنبًا إلى جنبٍ مع الفنان عادل إمام في خندقٍ واحد ، ضدّ كلّ من يريدون إطفاء مصابيح مصرـ في الأدب والفنّ والإبداعِ بكلّ أشكاله ، ومَنْ يُردْ أنْ يعاملنا باعتباره وصيًّا على الإسلامِ والمسلمين ، فليُرني اسمَهُ في آيةٍ واحدةٍ في مصحفنِا الشريف .

***

عبد الله المصري الغلبان[1]

مُندهشًا .. يقفُ أمامَ لجنةِ الانتخابِ غارقًا في زحامِ الأسئلةِ يرفعُ عينيه فوق مستوى رأسه ، ثم يعيدُهما إلى مكانهما بحزنٍ وانكسار ، يتصبَّبُ حيرةً واستغرابًا وتعجّبًا إذ أصبحَ ـ فجأةً ـ غاليًا ومهمًّا ومثارَ عنايةِ السادةِ المرشّحينَ والذينَ معهم من المطبّلينَ والمزمّرينَ وحاملي توكيلاتِ الابتساماتِ الصفراءِ الباهتة ، وكلّما دارَ في مكانِهِ تساقطَ منه العرقُ ممزوجًا بالغبارِ وعلاماتِ الاستفهام !

في يدِهِ مجموعة من البوسترات المهترئةِ والأوراقِ الممزّقةِ .. تزاحمُ شيكارةَ أرزٍ بيضاءَ عليها شعارُ حزبِ الأغلبيّةِ كهديةٍ متواضعةٍ من أجلِ دعمِ مرشّحِ الحزب ، عبد الله الغلبان يترددُ ويرتجفُ من أعماقِهِ تعتصرُه الظنون خوفًا من أن تكونَ هذه الهديّة المتواضعة بمثابة الرشوة المقنّعةِ .. لكنّه يطردُ الوساوسَ والظنونَ من خيالِهِ عندما يتذكّرُ أنّ الحزبَ حزبٌ دينيٌّ لا يتكلّمُ أعضاؤُهُ إلا مُستشهِدينَ بآياتٍ من القرآنِ الكريمِ وأحاديثِ رسولنا عليه الصلاةُ والسلام ، كما أنّه لم ينسَ السكّرَ والزيتَ والأرزَ وكلّ الهدايا الكريمة التي نالها مع الحملةِ الانتخابيّةِ الأولى على مصر، والرجلُ ـ ككثيرٍ منَ الغلابةِ في برّ المحروسة ـ لا ينسى ما قامَ به حزبُ الحريّةِ والعدالةِ من أجلِ توفيرِ أنابيبِ البوتاجازِ ـ في عزّ الأزمة ـ فكان الحزبُ ، بمنتهى الحريّةِ ، يأخذُ الأنابيبَ من المستودعاتِ ويحملُها رجالُه إلى الغلابة ويوزّعها ـ بمنتهى العدالة ـ التي تحرمُ الآلافَ من الحصولِ على نصيبهم من الغاز ، وكانَ المجلسُ العسكريّ متعاونًا مع الحزبِ

[1] العدد ٢٠ ــ الثلاثاء ٢٢ مايو ٢٠١٢ .

كأحسنِ ما يكونُ ، من أجلِ توفير أنابيبِ الحريّةِ لبعضِ المواطنين بها " لا " يكفل العدالةَ لملايين غيرهم.

كانَ من حُسْن حظّ عبدالله ، وسوء حظّ الملايين ، أن يكونَ قريبًا من مرمى الحريّة والعدالة ، فناله الخيرُ الكثير من هداياهم .. الأرز والزيت ، والأنابيب لطهي الأرز بالزيت ، والسكر والشاي لكي يحبس بعد كلّ أكلةٍ شرعيّة ، وفي كلّ مرّةٍ تحاصره الوساوسُ بحرمانية هذه الرشوة .. يطردها بعصا اليقينِ حتى لا ترتجفَ الملعقةُ في يدهِ أو يتجمّدَ الأرزُ في حلقه !!

بينَ الحينِ والحينِ تباغتُهُ ابتسامةٌ طائشةٌ من أحد الهتّيفةِ مصحوبةً بورقةٍ أو بوستر أو بنكنوت ، عبد الله الذي بُحَّ صوتُهُ من الشكاوَى أصبحَ لصوتِهِ وزن !! يغمضُ عينيهِ ويسرحُ بعيدًا عن الطابور ... وفي لمح البصر تدورُ في رأسِهِ طواحينُ الكلامِ يبتسمُ بمرارةٍ إذ يمرُّ في خياله طيفُ مقدّمة البرامج التي تشبه فرخة الغيط ، تلك الفرخة التي باضت ورقدت على البيض في أذن عبد الله ، وكلّ ساعتين تنتقلُ إلى الأذنِ الأخرى كاك كاك كاك كاك ... وعلى أحبالِ صوتها الجميل تتدلّى صورُ المرشحينَ .. هذا ثوري .. وذاكَ فلول ... وهذا ذيول .. وذاكَ لا محلَّ له من الإعراب !! وفي دوّاماتِ التصفيقِ الحادِ المُفتَعَل يسقطُ رأي عبد الله ويتآكلُ ويذوبُ بفعلِ أحماضِ النصبِ والتدليسِ والألعابِ القذرةِ في مزادِ بيعِ الوطن ! وما بينَ صراخ فراخ الغيط في الفضائيات وبين العناوين التي يختلسها عبد الله من عناوين الصحفِ الـ ... سيّارة .. يهتزّ كلّ شيءٍ ويسقط تاركًا فجوةً في الروح قاطعًا الطريقَ أمامَ كلِّ أمل .. المنافقونَ لا يتغيّرون .. فقط يغيّرونَ الملابسَ ويسارعونَ لأخذِ أماكنهم في مواكبِ التملّقِ والرياء ، الأصواتُ والأقلامُ تمارسُ عادتها القديمة في إصرار عجيبٍ على أن تظلَّ ككلابِ الحراسة .. والشعاراتُ التي أورثتنا الهزائم والديونَ والإحباطَ والخرابَ النفسيَّ يُعادُ

صكّها وترويجُها في طبعاتٍ جديدةٍ غيرِ منقّحةٍ وإطلاقها ـ ببجاحة ـ في فضاءِ الإعلامِ المشمومِ وبراحِ الصحفِ المُباعةِ وخراباتِ الإنترنت ! كلّ الذينَ خرجوا من الجحورِ والسراديبِ إلى النور والهواءِ الطلقِ على جثث الشهداءِ ورائحة دمائهم الزّكيةِ لم يعودوا يتذكّرون الشهداءَ ولا الثأرَ والقصاصَ لهم ! كلّ الذينَ عاشوا دهرًا محرومين من أبسطِ حقوقهم في الحريّةِ والعدالةِ يقاتلونَ الآنَ من أجلِ حرمانِ الأمّةِ منها !

ما هذا يا عبد الله ؟ يتحرّكُ الرجلُ ببطءٍ شديدٍ في طابورِ الأسئلة ، وكلّما زغدهُ أحدهم أفاقَ ليجمعَ الابتسامات الصفراءَ ويلصقها بكيسِ الأرز ، في يدهِ الصورُ التي يكرهها ، والشعاراتُ التي لا يطيقُ لها سمعًا ولا ترديدًا ، وأكياسٌ لا حصرَ لها من الوعودِ البرّاقةِ التي تلمعُ كطحالبِ المستنقعاتِ الراكدة ، ظهرهُ يكادُ ينثني من حِملِ الهمومِ الذي على كتفيه ، وخيالُه مثل عشّةِ الفراخِ التي داهمها ثعلبٌ فراحَ كلّ ما فيها يتقافزُ بلا وعيٍّ لينجو ، فوضى وضجيجٌ وصراخٌ وغبارٌ ودُخانٌ ووو... والحصيلةُ : صِــفـْر !! يفتحُ عينيهِ ببطءٍ وضعفٍ وذلٍّ فتنفرجانِ بصعوبةٍ كستارةٍ باليةٍ على نافذةِ قطارٍ متهالك ، وبصعوبةٍ شديدةٍ يتقدّمُ ويوقّعُ أمامَ اسمِهِ في كشوفِ اللجنة ، ثمّ يلملمُ أشياءهُ وما تبقّى منه ، وبنصفِ عينٍ ينظرُ إلى السيّد رئيس اللجنةِ ويجرُّ قدميهِ باتجاهِ الصندوق .. يغلقُ الستارةَ بما تبقّى في حوزتِهِ من قوّة ، وبيدٍ مُرتعشَةٍ يتناولُ القلمُ ويطالعُ الأسماء ، يسقطُ من يدهِ كيسُ الأرزِ ، والأوراقُ ، والبوستراتُ ، تتساقطُ من أذنيهِ بقايا الشعاراتِ والوعودِ الكاذبةِ فتلوّثُ ملابسه ، وتتلاشى صورُ المخادعين والمنافقينَ وسماسرةِ القيم ....،، ... يستجمعُ عبد الله الغلبان كلَّ قواهُ ويقذفُ القلمَ في فراغِ اللجنةِ وينهارُ باكيًا .

للهِ يا زَمْري[1]

يتوقف التاريخ مندهشاً مستغرباً، ثم يستدير ليكتب صفحة سوداء فى سجل انهياراتنا الحديثة، ويبصق فى وجوه الجميع ويمضى!

وقعنا جميعا فى الفخاخ والأكمنة وبلعنا الطعم المعتق فى السموم ومستنقعات القذارة، وبمراهقة ساذجة رقصنا لانتصار الثورة واندفعنا نصفق ونهرج قبل أن تنتهى سلامة من الغناء، لم نكن ندرى أن السكرة ستكون قاتلة، وعندما تذهب سنفيق ولا نجد فى أيدينا غير «الفوضى الخلاقة» التى وضع لها السيناريو المجلس العسكرى، وتقاسم دور البطولة فيها كل من الإخوان المسلمين وذيول النظام المخلوع، مع الأدوار التقليدية الموروثة التى يتقنها سماسرة الإعلام فى كل العصور.

ثورة بكر شديدة التحضر والنقاء أجبرت العالم على التصفيق والانحناء للمصريين المعاصرين الذين كانوا يحملون وصمة أنهم «لا يثورون» وعندما ثاروا ونسفوا كل النظريات البرمائية فرح بهم العالم كله ولكن لم يفرح بهم المصريون الآخرون، أولئك المنتفعون من العيش فى حظيرة الاستبداد، الراقصون على جثة المستقبل.

فى مهرجان الفوضى المنظمة.. خرج الأبرياء يرقصون فى الهواء الطلق، بينما الحيتان والقروش والثعابين ومحترفو اللعب فى الخفاء يتحركون ويتسللون فى صمت ليلتهموا كل ما تصل إليه أنيابهم، ليتوزع دم الثورة بين قبائل المفجوعين،

[1] العدد ٢١ ـ الثلاثاء ٢٩ مايو ٢٠١٢ .

وفى قلب دوامة الغبار والدخان تنفجر فى وجوهنا قنبلة الانتخابات الرئاسية التى جعلتنا فى موقف لم يتخيل أحد - غير واضعى السيناريو - أن نتعثر فيه!!

خياران «أحلاهما مر» كما يقول أبو فراس الحمدانى، أو «كالمستجير من الرمضاء بالنار» كما يقول شاعر آخر، وإذا كانت هذه الورطة من تأليف وإخراج المجلس العسكرى، وبطولة المذكورين أعلاه، فلا يجب أن نغفر لمعسكر الثورة هذه المراهقة السياسية وهذا الطمع الأعمى فى الانفراد بكرسى السيد الرئيس، وأعنى بمعسكر الثورة الحصان والنسر، الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح، والأستاذ حمدين صباحى، اللذين أغراهما البريق الإعلامى، والانتصارات الوهمية على شاشات القنوات الفضائية التى تدار بنظام الشقق المفروشة! ولم يستجب الزعيمان لنداءات العقل والواقع بأن يتحدا ويضما معهما أبو العز الحريرى وخالد على والبسطويسى، وكان هذا كفيلا بحسم القضية من الجولة الأولى وتفويت الفرصة على الفلول والإخوان! كان حمدين وأبو الفتوح منساقين وراء العبارات الإنشائية والشعارات الرنانة، بينما الحيتان يلعبون على أرض الواقع بتنظيم محكم وتخطيط محسوب، لعب الإخوان على المشاعر الدينية والفتاوى المدعومة بأكياس الأرز والبطاطس والسكر، ولعب «الفريق» على الكتل الانتخابية الضخمة وعلى رأسها أتباع الحزب الوطنى المحروق الذين يلعنون الثورة وكل من يؤيدها، كذلك كتلة المسيحيين الذين أزعجهم الخطاب الإسلامى المتشدد فذهبوا بأصواتهم إلى الضد، ويضاف إلى هؤلاء كتلة لا يستهان بها من الموظفين والتوابع المدنيين الذين يعملون بالجيش أو الشرطة، وأسر العاملين بالجيش والشرطة.

ظل حمدين يكسب الآلاف كل يوم، غير أن الكثير من الذين أعلنوا دعمه على الملأ من الإعلاميين والأدباء والفنانيين كانوا سلاحاً ذا حدين، فبقدر ما كانوا دعماً معنوياً أصبحوا عبئاً ثقيلاً لاختلاف الناس حولهم فمنهم الفلول، ومنهم المستفيدون الآكلون على كل الموائد أيضاً، ومنهم الكذابون المنافقون الذين يحملون على أكتافهم أرشيفاً ملبداً بالبقع ويظنون أن الذاكرة المصرية سريعة النسيان!!

على الجانب الآخر كان الرجل الطيب الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح يتحرك مدفوعاً ببعض المؤيدين من الشخصيات العامة، منساقاً إلى تصديق أوهام الكائنات الاستراتيجية التى تسكن فى أعشاش الفضائيات، وباستسلام شديد اطمأن إلى الانتصارات التى يحققها على ملعب الفيس بوك جنباً إلى جنب مع انتصاراته في ملاعب الفضائيات التى ترقص للجميع وتمارس الدعارة علناً فى الطريق العام!!

أقولها بمرارة، وبعد فوات الأوان: ذنبنا، ذنب الثورة، والشهداء، والمستقبل كله فى رقبة مرشحينا الثوريين وعلى رأسهم حمدين صباحى وعبدالمنعم أبو الفتوح، ولا يعنيني الآن تلك المانشيتات التى تزغرد لما حققاه وما حصداه من أصوات، فالعبرة بالنتيجة النهائية، فكونك تحرز تسعة أهداف ويدخل مرماك عشرة فأنت مهزوم وخاسر للمباراة، ولن تستفيد ولن يستفيد مشجعوك وجماهيرك من أهدافك الملعوبة ومن مراوغاتك المدهشة ومن ترقيصاتك وتلفيتاتك وسبعاتك وثمانياتك.. كل هذا يسقط تحت الأقدام بمجرد أن يطلق الحكم صافرة النهاية معلناً خسارتك للمباراة، وللأسف فإن الذى خسر المباراة ليس حمدين أو أبو الفتوح ، الذي خسر هو مصرالعظيمة التي تكالب عليها أبناؤها لينهشوا ما تبقى منها.. مصر المفجوعة في أغلى شبابها ودمائهم التى لم تجف.. تعض أصابعها على الذين غمسوا أصابعهم

في الحبر الفوسفوري بعد أن منحوا قبلة الحياة لقاتليها ومستغليها فى مفارقة لا تحدث إلا في أفلام الخيال العلمي!!

أفرزت الجولة الأولى صدمة قاسية، وعلمتنا ألا ننساق وراء بريق الأرقام الخادعة، وأن الهوة ستظل واسعة وعميقة بين تفكير البساريا البريئة الساذجة، وبين انقضاض الحيتان والقروش التى تتحرك ببطء وحذر في أعماق الأعماق، فإذا ما اندفعت إلى فريستها على السطح أو على الشاطئ فإنها تلتهمها في لحظة وبلا رحمة أو شفقة!

لك الله يا مصر!! لك الله يا دماء الشهداء، وحتى نلتقي بكم في مناسبة أخرى نترككم فى رعاية الله وأمنه.. و... والله الموفق والمستعان!!

***

آآآآآآآه يا صوووتي[1]

و.... هل سيفيدُ صراخي وأنا أشعرُ أنَّ صوتي يكادُ يفلتُ من يدي كعيارٍ طائشٍ في حفلِ ختانِ ابنِ حضرةِ العمدة ؟ هل كانَ الأستاذ مهموم أبو التشاؤم ـ شخصيًّا ـ يتوقّعُ ما نحنُ فيهِ الآن ؟ هل دارَ بذهنِ السيّد إبليس وذريّتهِ من قبائلِ آلِ الجنِّ الأحمرِ والعفاريتِ الزُّرقِ وأقاربهم ونسائبهم بالخراباتِ المصريّةِ والدولِ المجاورةِ أنْ تنجحَ اللعبةُ الخبيثةُ وندخلَ ، ونتكربس ، داخلَ ماسورةٍ ضيّقةٍ ، اتّجاهٍ واحدٍ يؤدّي إلى جهنم ؟

رأسي مزدحمٌ بالبالوناتِ السوداءِ التي كلّما لامستْ بعضها فقستْ أوهامًا وهلعًا وأمطرتْ حسرةً وندمًا وعدمَ تصديق ! الأبرياءُ يتعلّقونَ بأحبالِ الأملِ الدّايبة ، ويمنّونَ النفسَ بانشقاقِ الأرضِ عن حلٍّ يجنّبنا السّوادَ الذي يملأُ النفوسَ ويغطّي الأفق ، وينذرُ بمزيدٍ من الدّماءِ والشهداءِ المُحْتَمَلِينَ تحتَ وطأةِ الشعورِ بخيانةِ الثورةِ وسرقتها ثمّ قتلها مع سبقِ الإصرارِ والترصّدِ بل والتمثيلِ بجثّتها في مشهدٍ تراجيدي يَصعُبُ تحمُّلُهُ أو وصفُه !

إحدى البالوناتِ السوداءِ فقست في رأسي سؤالا مؤلِمًا : هل استيقظَ الإخوانيُّ القديمُ في قلبِ الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح وجعلَهُ يقنعُ بـــ ، أو يشاركُ في ، لُعبة،

[1] العدد ٢٢ ـ الثلاثاء ٥ يونيو ٢٠١٢ .

أو خطّةٍ ، وصولِ الدكتور محمد مرسي إلى المباراةِ النهائيّة ؟ هل هناكَ شُبهةُ توافقٍ أو سيناريو أسودَ من أجلِ تفتيتِ أصواتِ معسكرِ الثورةِ ليصعدَ فرسُ الرهانِ الإخوانيّ معتمدًا على الكتلةِ المضمونةِ في جيبِهِ ومعها كتلةُ عبادِ اللهِ الخائفينَ من عذابِ جهنم والعياذُ باللهِ بعد أنْ نما إلى علمهم من مصادرَ إيمانيّةٍ وثيقةِ الصّلةِ أنَّ الذي يختارُ مرشّحًا غير الدكتور مرسي لن ينامَ في قبرِهِ وسيجدُ ثعبانًا أصلعَ بانتظارِهِ في ظلامِ القبرِ على شمالكَ وأنت داخل ، يظلّ يلدغُهُ لمدةِ أربعِ سنواتٍ فلا يهنأُ بموتِهِ! كما كانت تذكرةُ الذهابِ إلى الجنّةِ عبرَ صندوقِ الانتخاباتِ مدعومةً ببعضِ الهدايا الرمزيّةِ ـ المدموغةِ بشعارِ الحريّةِ والعدالةِ ـ من الأرزِ والسّكّرِ والبطاطسِ الممنوعةِ من التصديرِ ، بينما حملاتُ معسكرِ الثورةِ لم تكنْ تملكُ إلا الصّدقَ وطهارةَ اليدِ والضميرِ واللسان ، وكنتُ ـ لفرطِ خَيبتي ـ أضعُ الدكتور أبو الفتوح على رأسِ القائمةِ ، وتبنّيتُ الترويجَ له بصفحاتي على الفَيس بوك (٣ صفحات) وكم حذفتُ من معارضينَ تناوبوا سبّي بطريقةٍ ثوريّةٍ عصريّةٍ تستحقّ الدراسة ، وفي مدينة كفر الدَّوّار ـ مسقط دماغي ـ تولّى أشقّائي وأقاربي وأصدقائي مسؤوليةَ الدعوةِ لأبي الفتوحِ والدفاعِ عنه ، ولا أظنّهُ سينسى المؤتمرَ الذي عقدوهُ له هناك ، كما لن ينسى أنّ أهلي وأقاربي وجيراني لم يخونوا عهدهم معه ، ومنحوهُ أعلى الأصواتِ بمدينتنا التي تعادلُ محافظةً (بالرّغمِ من عدم وجودي فيها) ، وكانت صدمتُنا قاسيةً عندما بدأت الشّائعاتُ ترجّحُ أنّ يكونَ هناكَ اتفاقٌ في لُعبَةٍ محسوبةٍ بعنايةٍ إخوانيّةٍ فائقةٍ للفوزِ بالكرسي بأيِّ ثمن .

لسنا ضدّ الإخوانِ ولكننا ضدّ أفعالِهم ، هؤلاءِ الذين ظنّوا أنهم ظلُّ اللهِ على الأرضِ أو وكلاؤهُ المعتمدونَ وما علينا إلا أن نقولَ لهم : سمعًا وطاعة ! أؤلئكَ الذينَ جعلونا مضحكةً للأمم ، ودفعوا أعداءَ الثورةِ ليقولوا : فعلا مصرُ بلدُ المؤمنينَ الأتقياءِ ففيها مجلسُ المؤذّنينَ وحكومةُ الراكعينَ ومنتخبُ السّاجدين ! والحمدُ للهِ على نعمةِ الإسلامِ الذي لا يجعلنا نكذبُ وننافقُ ونلحسُ وعودَنا ، أو نتركُ العصرَ ونركبُ الناقةَ ونذهبُ إلى العصر الجاهلي لنتكلّمَ لغةً جافةً قاسيةً ، فإذا ما تذكّرنا أننا في القرنِ الحادي والعشرينَ تدثّرنا بالقرآنِ واجتزأنا منه ما يروّجُ لبضاعتِنا ، وجعلنا من مواسمِ الانتخاباتِ مناسباتٍ لتوزيعِ الصدقاتِ الجاريةِ من الأكياسِ إيّاها التي يفسّرها الحاقدونَ بأنّها الرشوةُ والابتزازُ وشراءُ الذمَمِ البريئةِ التي لا تعرفُ الفرقَ بينَ الألفِ وكوز الدّرة !

هل خبّأَ الدكتور أبو الفتوح جزءًا من الثورةِ تحت ملابسهِ وألبسنا العمّة ؟ وهل اندفاعُهُ الحميمُ إلى إعلانِ مساندةِ الدكتور مرسي ليس إلا نكايةً في المعسكرِ الآخرِ الذي جنى نصفَ أرباحِهِ من أخطاءِ الإخوانِ وفظاظةِ أسلوبهم وتعاليهم وغرورهم وشعورهم بالزهو والقوةِ وأنهم يكادونَ يلامسونَ النجوم ؟

لن أقولَ جديدًا عندما أذكّر بأنّ قسوةَ الحزبِ الوطني المحروقِ وتعنّتِهِ مع الإخوانِ كانا من أهمّ أسبابِ تعاطفِ الشعبِ مع الإخوان ، ها هم الإخوانُ يرتدونَ الزيَّ القديمَ ويحتلّونَ مساحةَ الغضبِ التي خلت بالانتصارِ اللحظي للثورة (انتصرت لمدة ساعتين على الأكثر) .

لو كانَ الدكتور أبو الفتوح قد ضحكَ علينا فمصيبتُنا أفدحُ من أنْ تُطاق ، ولو اهتزّت ثقتنا فيهِ مثقالَ ذرّةٍ فعلى اللهِ العوضُ في دماءِ الشهداءِ وفي المستقبل ! لقد منحتُ الدكتور أبو الفتوح صوتي بقناعةٍ ورضا (وكنت مسامح فيه) ، بل ملأتُ صفحتي على الفيس زفت بالخيولِ الجامحةِ المتوثّبة ، وعندما حدثَ قضاءُ اللهِ وقدرُه كتبتُ : لكلّ جوادٍ كبوة ، ثمّ أردفتُ بالبيتِ الخالدِ لشاعرِ النيل حافظ إبراهيم :

" **لا تلُمْ كفّي إذا السيفُ نَبا**

صَحَّ منّي العزمُ والدّهرُ أبَى "

هل أذهبُ إلى منزلِ الدكتور أبو الفتوح وأدقُّ البابَ وأقولُ له : " لو سمحت... عايز صوتي " ! ثمّ ماذا أفعلُ في جولةِ الإعادةِ وأنا المواطنُ الإيجابي الذي يصرُّ على أنْ يقفَ في الطابورِ بالساعاتِ من أجلِ أنْ يؤدّي واجبَهُ ..هل أمتنع؟ لن أوافقَ وسأكرهني ، هل أذهبُ وأضعُ صوتي في حصّالةِ الفلولِ ثمّ أغمسُ إصبعي في دمِ الشهداءِ المسمّى حركيًّا بـ " الحبر الفوسفوري " ؟ أم أضعُ صوتي في حصّالةِ الحريّةِ والعدالةِ متغاضيًا عن كلّ هذه الممارساتِ التي لا تعرفُ لا الحريةَ ولا العدالةَ ولا يقرّها الدينُ ولا الأخلاق ! أم أطلقُ صوتي في الفراغِ وأبطلُهُ بيدي لا بيدِ عمرو وأعفي يدي من المشاركةِ في وأدِ الثورةِ وإكمالِ مسلسلِ الإجهازِ عليها وأحمي ضميري من وخزاتِ الشهداءِ الأبرارِ وعتابهم ..!!!

مصيبتُنا ثقيلةٌ وداميةٌ ولها أنيابٌ ومخالبُ وبها عطشٌ متجدِّدٌ لا يهدأ ، والسؤالُ الذي يحملُ المادةَ الخامَ للأسئلة : الذينَ يوظّفونَ القرآنَ لخدمةِ أغراضٍ زائلةٍ تجرحُ

الدينَ وتقتلُ الوطنَ .. ألا يستحونَ من الوقوفِ أمامَ الله ؟ ماذا سيقولونَ في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون ، ولا تشفعُ فيه شعاراتٌ أو صدقاتٌ ظاهرُها الصدقةُ وباطنُها الرشوة ؟ كيفَ يكذبُ المواطنُ منّا ثمّ يهرولُ ليتوضَّأَ ويقفَ ليصلِّي بينما بقايا الكذبِ تتساقطُ من شدقيهِ عندما تمرُّ من فوقها آياتُ الذكرِ الحكيم ! يا ساتر....

صوتي يتأرجحُ بقسوةٍ ويميلُ بشدّةٍ نحو حصّالةِ الدكتور مرسي ، لكنني لا آمنُ مكرَ الأيّامِ فقد أنحرفُ بسرعةٍ في الاتجاهِ الآخرِ أو أطرقعُ صوتي وأبطلُ مفعولَهُ ، غيرَ أنني لن أنسى ما حييتُ أنني أضعتُهُ في الجولةِ الأولى ، وسأبكي عليهِ طويلا إذا صحّت الشكوكُ في حقّ الدكتور أبو الفتوح ، فإذا ما رأيتم مواطنًا مسكيناً منكوشَ الشعرِ جاحظَ العينينَ هائمًا في الشوارعِ يبكي : آآآآآآآآآآآه يا صوتي ، فاعلموا أنّهُ أخوكم في اللهِ ، واطلبوا لي الهدى والرحمة .

***

فوضى الأصلِ والظلّ والقناع[1]

أكتبُ مساءَ الجمعةِ ، وقبلَ أن تحنّ علينا اللجنة العليا للانتخاباتِ الرئاسيّة وتعلن اسم السيّد الرئيس الجديد ، وأعيدُ التأكيدَ على أنني قلتُ للسيّدينِ المتنافسَينِ: إني رفضتُكما معاً ، وأصررتُ على موقفي ، وقاطعت جولةَ الإعادة ، وهذا معناهُ أنني مُعارض مُحتَمل ، مع سبقِ الإصرار والترصّد لأيٍّ منهما ، مع احترامي للمنصبِ ولإرادةِ عُشر الشعبِ الذي شاركَ في مسرحية انتخاب السيد الرئيس !

وبما أنّ المؤشّرات كلّها ـ حتى لحظةِ الكتابة هذه ـ تتجه ناحية الدكتور محمد مرسي ، فإنني أبادرُ بإعلان قلقي ورُعبي ، ليس لأنّ الرجل كان احتياطيا لا سمحَالله ، فأغلب المباريات الكبرى في كرة القدم (التي لا نعرفها) يحسمها الاحتياطيون، ولكن قلقي بسبب إصرار الرجل نفسه ـ الدكتور مرسي ـ على أن يظلّ احتياطيا ، فمنذُ اللحظة الأولى لدخوله المعمعة وتصريحاته كلها تؤكد ذلك، إذ لم أضبطه متلبّسًا بالقول : سأفعل كذا وكذا ، أو : أنا أرى أنّ .... ، ولكنه يقول : إحناح نعمل كذا وكذا ، إحنا شايفين كذا كذا ، فجاءَ ضميرُ الجمعِ إحنا (نحن) ليؤكد مخاوف معظم المصريين من أن الدكتور مرسي لن يكون إلا قناعًا يخفي تحته خيرت الشاطر الذي يخفي تحته فضيلة المرشد العام محمد بديع ، وبذلك ، ولفرط براءته ـ بالفعل ـ لم يستطع الدكتور مرسي أن ينسلخ من عباءة الجماعة ليستخدم "

[1] العدد (٢٥) – الثلاثاء ٢٦ يونيو ٢٠١٢.

الأنا " التي تعطيه وهج القوة وتعطينا الثقة والاطمئنان ! رئيس الجمهورية ـ المُحتَمل ـ يتردد مكانه ويتلعثمُ في ردوده ، ولا يتجاسرُ على التحدّث بضمير المفرد خوفاً من الوقوع تحت طائلةِ العتاب أو ما لا نعرفه من قوانين الجماعة ! والذي زاد الطين بلّة هو موافقته على إعلان فوزه بالرئاسة دون انتظار لقرار اللجنة ، ودون احترام للقانون الذي يوجب التريث حتى تنظر اللجنة في أمر الطعون المقدمة من المعسكر الآخر ، وفي نوع من التحدي وفرض سياسة الأمر الواقع لم يتردد الدكتور مرسي ـ باعتباره السيد الرئيس الجديد ـ في توجيه كلمة إلى الشعب في الرابعة فجرا، وتوالت الخروقات القانونية من السيد الرئيس لتصل إلى ذروتها في تصريحاته في مؤتمره الصحفي ـ الجمعة ـ وجهره بـ "لاءاته " التي هي لاءات الجماعة ، وعلى رأسها : لا لحكم المحكمة الدستورية بحل مجلس الشعب ، لا للإعلان الدستوري المكمل ، لا لمنح رجال الشرطة العسكرية والمخابرات العامة حق الضبطية القضائية، هل هذا يُعقلُ من رجل قد يحمل على كتفيه دولة بحجم مصر ؟ كيف يليقُ بالسيد الرئيس الذي سيسهر على تطبيق القانون أن يجاهرَ ويعلنها على الملأ بأنه لا يحترم القضاء ولا يقيم وزنا للمحكمة الدستورية العليا ولا يحترم قرارا للسيد وزير العدل ! أليس هذا دليلا على أنه لن يستطيع الانسلاخ من قيود الجماعة ليعمل لصالح مصر ؟

منذ سقوط الفرعون في الحادي عشر من فبراير ٢٠١١م ، وجماعة الإخوان تلعب على كلّ الأحبال من أجل مصالحها الضيّقة بعيدا عن الثورة وشهدائها ومصابيها وأهدافها ، فبمجرد وقوع الوهم من فوق عرشه والجماعة لا همّ لها سوى الاستئثار بكلّ الغنائم ، ولهذا شاهدنا عروضًا حيّة لأغرب وصلات الرقص السياسي ، وقد ساهم تردد المجلس الأعلى للقوات المسلحة وفشله الذريع في إدارة

الفترة الانتقالية إلى استفحال مطامع الجماعة التي راحت تلعب من وراء ظهر الجميع ، ورفعت المجلس العسكري إلى مراتب أولياء الله الصالحين عندما كان اللعب معه على ما يرام ، وخالفت كلّ قوى الثورة ، واختلفت معهم ، في مواقف ومليونيّات لا حصر لها ، وعندما اختلفا ـ المجلس والجماعة ـ صرخت الجماعة مستنجدة بالشعب : إلحقونا ، إلحقوا الثورة ! وبكلّ جرأة وغرابة أطلقوا على الدكتور محمد مرسي ـ في جولة الإعادة ـ " مرشّح الثورة " !! أية ثورة ؟ لا ندري!! إن كانوا يقصدون ثورة الخامس والعشرين من يناير فإننا نؤكد أنهم كان لهم فضل كبير في صمودها إلى تحقيق أحد أهدافها وهو خلع المواطن إيّاه ، كان شباب الإخوان أبطالا وفرسانا في الأسبوع الحاسم أو رأس مثلث الثورة بدءًا من جمعة الغضب وانتهاءً بموقعة معيز العصر الجاهلي، ومع سقوط الطاغية قفزت الجماعة للصيد في العكر وتقاسمت دور البطولة ـ مع المجلس العسكري ـ في قتل الثورة ووأدها وشلّ حركتها حتى لا تكمل نجاحها وتحقق أهدافها ، وبعد أن كانت ثورة نباهي بها الأمم ، أصبحت عورة ومضحكة وجرحًا غائرًا أعمق من جرح يونيو ٦٧ ، وفي يقيني أنّ قادة الجماعة في قرارة أنفسهم الآن يدركون أنهم قتلوا الثورة ، ولو أنهم ظلّوا مع القوى الثورية في خندقٍ واحد لقفزوا بمصر خمسمائة عام إلى الأمام قبل أن ينتصف ٢٠١١م ، ولكنهم غسلوا أيديهم بسرعة وراحوا يجمعون الغنائم فضربونا في مقتل ، وطاحوا بنا إلى ظلمات العصور الوسطى ، وأجبروا البسطاء والغلابة ومحدودي الصبر على الكفر بالثورة والثوار ، وجعلتهم يلعنون كلّ مَنْ ينادي باستمرارها ، وألقتهم في أحضان الفلول وذيول النظام الذي لم يسقط ، بل عاد أكثر قوة وثقة ومكرًا ودهاءً ، بعد أن ساعدته الجماعة بأطماعها وأنانيتها واندفاعها الأهوج في أن يكشف عورات الجميع ، وأعطته

الفرصة لكي يلعب في وضح النهار ويتحدّى مشاعرنا ويناصر مرشّح الفلول وأحد أركان النظام ليصل إلى المباراة النهائية ، ولا أدري هل حسمتها اللجنة لصالحه أم لصالح الدكتور مرسي الذي يدّعي أنه مرشّح الثورة ، وهو ادّعاءٌ في غير محلّه ولا علاقة له بالثورة ، ولو احترم الإخوان دماء الشهداء وتضحيات الشعب لما نقضوا عهدهم بعدم ترشيح أحد في انتخابات الرئاسة ، ولوقفوا بشبابهم ورجالهم ونقودهم وأرزهم وسكرهم وبطاطسهم خلف مرشّح ما من أبناء الثورة الفعليين وليكن الدكتور أبو الفتوح الذي يحمل بداخله إخوانيّا قديما من الصعب تخليصه منه ، وفي الوقت نفسه يحمل رؤى عصرية وقيما إنسانية متحضّرة منفتحة على كلّ أطياف المجتمع المصري بشفافية ووضوح .

هل يستطيعُ الدكتور محمد مرسي ـ إذا أصبح رئيسا ـ أن يكون رئيساً لكلّ المصريين ، وأن يكون هو الأصل وليس الظلّ أو القناع ؟ هل يتمكّن السيّد الرئيس من إخراج السيد المرشد والسيد خيرت الشاطر من تفكيره وصوته وملامحه ويتكلّم ـ بقوة وثقة ـ بضمير الأنا المفرد ليمنحنا القوة والثقة ، أم سيرضى بأن يظلّ واجهة للجماعة وتفكيرها وأيدولوجيتها و ـ كما قال البعض ـ طزّ في مصر ؟ هل يفعلها الدكتور مرسي ويكون بالفعل أول رئيس بعد الثورة ، أم سيسمح بنقل مقر الجماعة ـ المحظورة ـ إلى حديقة القصر الجمهوري ؟

أريد أن أدقق في ملامح الدكتور مرسي ، فلا أرى طيف المرشد أو الشاطر، وأن أسمع صوتا قويا يقف مع الحق والقانون ولو على رقبته ، وعندها قد أحقق رغبة أعمامي وأنضم إلى حزب الحرية والعدالة ، وأكتب شعرا في المحظورة !

***

الست هيلاري كلينتون

وملابسهـــا المبلـولـة[1]

لا أدري .. لماذا كلّما رأيت وزيرة الخارجيّة الأمريكية الست هيلاري داين رودهام أشعر أنّها مبلولة ، أو أنها ترتدي ملابس أختها الكبيرة !! هل لأنّها جاءت بعد ثلاثة وزراء خارجيّة أمريكان من ذوي الحضور الطاغي الذي يسمّيه أهلُ الفرنجة " الكاريزما " ؟ وأعني بهم مادلين أولبرايت وكولن باول وكونداليزا رايس السمراء الفاتنة قاتلة القلوب وساحرة العقول والأفهام !

عندما كانت مادلين أولبرايت وزيرة لخارجية أمريكا في الفترة من ٢٣ يناير ١٩٩٧ / ٢٠ يناير ٢٠٠١ ، كانت الست هيلاري تتخبّط في دموع الندم والحسرةِ جرّاء فضائح زوجها أبو تشيلسي السيّد ويليام جيفرسون كلينتون (بيل كلنتون باللغةِ العربيّة الفصحى) الذي كان يمارسُ التحرّش في عشش فراخ البيت الأبيض ، وتناسى أنه رئيس أمريكا ومُرعِب العالم ، وجعل قدوته مُراهقي أتوبيسات النقل العام وقطار أبو قير بالإسكندرية طرفنا ! لم يكن السيّد الرئيس حديث العهد بالتحرّش ، بل ـ والحقّ يقال ـ كان يحمل على عاتقه تاريخا كبيرًا من البلاوي والفضائح والعلاقات الجنسية المتعددة مع موظّفات ومتدرّبات (ومتعاونات) منذ أن كان حاكمًا لولاية أركنساس ، ومنها علاقته بالمغنية /

[1] العدد ٢٦ – الثلاثاء ٣ يوليو ٢٠١٢

الموظفة جنيفر فلاورز ، وعلاقته بالموظفة بولا جونز ، لكنّه وقعَ في شرّ أعماله عندما نصبت ليندا تريب (كبيرة موظفات البيت الأسود) كمينا وجرّت مونيكا لوينسكي الثرثارة في الكلام ، وعندما وجدت ليندا أن الموضوع وصل للبراميل راحت تسجّل محادثاتها التليفونية مع الدبابة مونيكا التي اندلقت في الرغي وحكت أدقّ التفاصيل عن علاقتها بحبيب القلب بيل ، وعندما وصلت مونيكا إلى قصة الفستان الأزرق والآثار الكلنتونيّة الملتصقة به ـ يع ـ قالت لها ليندا: لا تغسلي الفستان واحفظيه بالبقع الرئاسية حتى يقع الفيل ونلفّه في المنديل ! ووقع الفيل بسبب بقعة الفستان ، ولم يستطع أن يخفي غلّه ونقمته على الغلبانة ليندا التي ربّما كانت تقوم بتربية يتامى ، فقام بنقلها من البيت الأسود إلى البنتاجون (وزارة الدفاع) وظلّ متربّصًا بها لآخر يوم في رئاسته وقام بفصلها من العمل قبل أن ينصرف بدقائق ،أصرّ على الانتقام من السيّدة القوية التي رفضت أن تشهد زورا في قضيته مع بولا جونز ، ولكي تحمي نفسها من ابتزازاته سجّلت لصديقتها الجميلة مونيكا التي تصغرها بما يقرب من ربع القرن ، وكانت الفضيحة بجلاجيل (على رأي الراحلة مديحة كامل) .

هذا التاريخ المديد من التحرّش ببنات الناس الذي ينفرد به بيل كلينتون رئيس أمريكا الأسبق (الثاني والأربعون) وزوج وزيرة خارجيّة أمريكا الحالية ، كان من نتيجته أن أورثها أحمالا من العُقَدِ والاكتئاباتِ والأمراض النفسية والطبيعة العدوانيّة التحرّشيّة المشتركة ، أي حوّلها إلى بُقجة من الشكّ والارتيابِ والهلاوس والتوهّمات المستعصية ، وبدلا من وضعها في مصحّة نفسية تستمتع فيها بالهدوء والاستماع إلى شرائط شعبان عبد الرحيم وعماد بعرور جعلوها وزيرة خارجيّة

لأمريكا ، ومن شروط هذا المنصب أن يكون صاحبه ضليعا في التحرّش موهوبًا في حشر مناخيره في الشؤون الداخلية للدول ، وفي الملابس الداخلية لدول أخرى ، وإن كان كولن باول قد استقال من ذلك المنصب بنوع من الشياكة والارتفاع ، فإن كونداليزا قد أكملت المسيرة بعده حتى انتهت الفترة الرئاسية الثانية لجورج دبليو سي الذي تحرّش بأفغانستان فحوّلها إلى أفغ فقط ، ثم استدارَ إلى العراق فحوّلها إلى العراك وزرع فيها اليتم والخراب والدمار وملأ أرضها الخصبة ببذور الشقاق والانقسام و..... عليه العوض !

مع مولانا فضيلة الإمام أوبامة وِلد حسين بو عمامة جاءت هيلاري كلينتون لتتقيّأ أمراضها النفسية وميولها التحرشيّة ـ الفطريّة والمُكتَسَبة ـ في وجوهنا جميعا فلم تكف عن التحرّش بإيران من أجل عيون إسرائيل وقالت ـ أثناء حملتها الرئاسية وقبل أن تكون وزيرة للبتاعة دي ـ : " إذا فكّرت إيران في مهاجمة إسرائيل فسوف نمحوها من على وجه الأرض " ومسلسل التحرّش بإيران وغيرها عرض مستمر على مدار الساعة وعلى جميع القنوات ، أي لا يضحك أحدٌ عليكم ويوهمكم بأن العرض " حصري" هنا أو هناك ، وعندما قامت الثورة المصرية في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م وقعت الإدارة الأمريكية في حالة من التخبّط غير المسبوق فراحت تميل حيث تميل الرياح ، مرّة مع المخلوع ومرّة مع الثورة ، و" ارقصي ياللي مانتش غرمانة " ، وعندما اقتربت ساعة الحسم ظهرت الشجاعة الأمريكاني و" طلع لهم صوت " ، وراحوا ينادون بضرورة تخلّي الأخ المخلوع (الذي كان في نظرهم أحكم الحكماء) عن منصبه وتحقيق مطالب الشعب و... الله الموفّق والمُستعان !

من بعد سقوط طوبة واحدة من النظام السابق (فالنظام كما هو) تعددت الرقصات الأمريكية على مسارح شؤوننا الداخلية بمناسبة وبلا مناسبة ، مرة أوباما، مرة المتحدث باسم البيت بتاعهم ، مرة الأخ المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكانية التي يسمونها البنتاجون ، ويسميها إخواننا أهل الشام البنتاغون ، ومرّات عدّة كانت البطولة للسفيرة طرفنا آن باترسون ، لكن نصيب الأسد كان من نصيب السيّدة هيلاري كلينتون ، ذلك الكائن الهلامي الذي يشغل حيّزاً من الفراغ ، ويتدحرجُ مثل العُملة الممسوحة !

تعددت تدخّلات وزيرة الخارجية الأمريكانية لدرجة أنّك لو وضعتها في مواجهة بعضها لوجدتها تتناقض وتتناطح ، ولكن لأننا ننسى بسرعة فإننا نثور مع كلّ جديد ونهدأ لتبيض السيّدة الوزيرة في آذاننا بهدوء ، وهذا من صفات الثائر الحقّ !

كانت أطرف نكتة أمريكانية عابرة للقارات هو هذا التدخل السمج قبيل إعلان نتيجة جولة الإعادة بين الأخوين محمد مرسي وأحمد شفيق ، إذ تحرّشت خالتك أم تشيلسي بالمجلس العسكري شخصيّا ووصفته بما لا يليق وليس من حقّها ، وطالبته بما لا ينبغي لها ولا لمن وراءها في واشنطون وتل أبيب .

لقد حوّلنا نظام المخلوع ـ العيّان الآن ـ إلى فردة شراب متهالكة لا قيمة لها ولا وزن ، وانبطحت مصر العظيمة بفعل الخونة وكلاب السلطة لتصبح في حجم الليمونة ويتلاشى دورها ووجودها من أجل عيون بني آدم طلب من أبيه أن يجعله رئيسا للجمهورية من بعده ، وكأنه يطلب منه أن يشتري له بسكلتّة ! تناست أمريكا أن هناك دماءً أريقت وأرواحًا قُطِفَت وبيوتا ملأها الحزن إلى الأبد من أجل

أن ترفع مصر رأسها مرة أخرى ، وإذا كان المجلس العسكري قد تغاضى عن تحرّشات كثيرة فليس عن ضعفٍ ولكن لكي لا يفتح جبهات أخرى هي أصغر من أن تشغل البال ، وإذا كان الإخوان ـ بارك الله فيهم ـ قد فتحوا قنوات الاتصال مع الأمريكان فهذا غيرُ مستبعدٍ منهما ، ولكن ليس معناه أن تتطاول أمريكا وتظنّ أنها في ٢٠١٠ وليس في ٢٠١٢ !! أو أن تظنّ مصرَ كلها إخوانا ، نحن ننتقد المجلس العسكري ، وننتقد الإخوان ، ولم يعد هناك مَن يخاف أو يرحم ، لكن التدخّل الخارجي لا وألف لا ، لا أمريكا ولا غير أمريكا ، عقارب الساعة لن تعود إلى الوراء ، فإن كانت هيلاري موجوعة من مونيكا وتنتقم منها في الآخرين فلن ندفع الثمن ، فعلى تلك الأمريكانية أن تنكف عن حشر مناخيرها في أمورنا ، وإمّا أن ترتدي الحجاب وتنضم إلى معتصمي ميدان التحرير وترقع بالصوت الحيّاني : " الشعب .. يريد ... إعادة البرلمان " و.... آهو دا اللي ناقص !

***

إنّما للرَّقص حدود[1]

في دولةِ الإخوانِ الابتدائيّة المشتركة .... لن تستطيع أنْ " تغمّض عينيك " ، لن تكونَ لديكَ القدرة على التخيّل أو التوقّع أو تصديق ما تراه، نحن الآن في مرحلة تعلّم "ركوب العَجَل " في حديقةِ القصر الجمهوري ، وما عليك ـ أيها المواطن العادي ـ إلا أن تلزمَ اليمين دائمًا أثناء السير ، وأن تأخذ كامل الحذر فقد تضيق بهم الحدائقُ الرئاسية فيخرجون إلى الشوارع فتُفاجَأ ـ والعياذُ بالله ـ بمن يلبس فيك بالعَجَلَةِ أو الموتوسيكل أو الاسكوتر أو التوك توك ، اعتبر نفسك ـ على طول الخط ـ في "منطقة خَطَر " ، واحترس من المراجيح التي لم تكن معروفةً في العصور القديمة ، فهي مراجيح ترقصُ في كلّ الاتجاهات ، ثم تعطيك وصلة طويلة من " حَبّة فوق وحَبّة تحت " (مع الاعتذار لخالد الذكر أحمد بن عدويّة ، رضيَ اللهُ عنه وأرضاه).

منذ أن نجح مستشارو السوء في أن يقنعوا السيّد الرئيس بانتهاك حكم المحكمة الدستوريّة العليا بحل مجلس الشعب ونحن ـ مصر ـ نتحرّك فوق رمال متحركة !! تحوّلنا إلى مضحكة للعالم ، عدا أمريكا راعية الخروج على الشرعية والمحرضة الدائمة عليها ، وكانت هدية السيد الرئيس إلى قطاع السياحة المشلول أن قامت معظم دول أوروبا الشقيقة بإلغاء حجوزاتها السابقة حيث لا يليق أن ترسل

[1] العدد ٢٨ – الثلاثاء ١٧ يوليو ٢٠١٢

رعاياها إلى دولة لا تحترم القانون ، كما جاء الرد السريع من البورصة بخسائر وصلت إلى ثمانية عشر مليار جنيه ، ولكنني لم أندهش لردود الفعل العالمية ولا المؤشرات البورصوية البرمائيّة ، ولكن كانت صدمتي من الكائنات الاستراتيجية التي احتلت أوكار الفضائيات المنحطة ، هؤلاء الراقصون مع كل مطبلاتي ، الآكلون على كلّ الموائد ، الآخذون بالجنيه والدولار والريال والدينار ، وبرغم ذلك فإن الصدمة من الكائنات الاستراتيجية تظلّ في الحدود المتعارف عليها دوليا ، وتهون ـ مليون مرة ـ أمام صدمتي ممن يسمّونهم فقهاء القانون الدستوري الذين وضعوني في موقفٍ مُحرِجٍ أمام أطفالي باعتباري من أبناء حقوق الإسكندرية ، والذي يحدثُ في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والانترنتّيّة جعلَ نصف المتحدّثين ـ على الأقل ـ كاذبين ومنافقين ولا يفقهون شيئا في القانون ، وهذا يسيء إلى سمعتي أمام أطفالي وجيراني الذين أصبحوا ينظرون إليَّ بنوع من الريبة كلما جمعتنا الصلاة في مسجد الحيّ .

عن نفسي ... أنا ضد قرار السيّد الرئيس من اللحظة الأولى ، وقد صرخت عندما رأيت الخبر على شريط قناة النيل الإخباريّة ، وقلت : يا لسوء البداية ، أمن أجل عيون الكتاتني وشركاه نضربُ بحكم المحكمة عُرضَ الحائط ؟ وقلت : حتى لو كان الحكم معيبا إلى درجة البطلان ما كان للسيد الرئيس أن يهدره وهو على الدرجة الأولى من سُلَّم الديموقراطية (المزعومة) ، كان عليه أن يترك الأمر لمجموعة من الكتاتنية ليقوموا بالنخربة وإقلاق المحكمة بالطرق القانونية كما يحدث في الدول المحترمة ، لكن أن يفعلها الرئيس بنفسه فهذه هي الطامة الكبرى ، ولن أقول كلاما معادا ، غير أن هذا القرار جعلني أتذكّر حركة " فتح الصدر " في

ميدان التحرير التي أراد أن يثبت بها أنه محميٌّ بالله وبنا وليس بالقميص الواقي ، وأعيد ترجمتها إلى أن " كلّ الأمور ستؤخذ هكذا ... بعرض الصدر "!!

تتكاثرُ الأخطاء فتفقس فقهاء قانون يجلبون العار لكل المصريين وخصوصا أمثالي من أبناء كلية الحقوق ، وأبادر فأقول إنني لا أقصد الذين جاءت آراؤهم ضد رأيي لا سمح الله ، ولكن إذا اختلف فريقان ـ كبيران ـ فأحدهما كاذب ومنافق ويعمل انطلاقاً من أهوائه الشخصية وليس من قواعد القانون الذي أفنى عمره في دراسته ثم تدريسه ! اختلفَ الفريقان وأصبحت الهوّة بينهما كالمسافة بين المشرق والمغرب ، وكلٌّ يعضّ على أسنانه ويتمسّك بأسانيده ودفوعه ، فكيف تستقيم الأمور أمام المواطن الغلبان الذي لا علاقة له بكلّ هذا الرغي وهذه الثرثرة إذا لم نستطع نحن ـ أبناء القانون ـ أن نستوعب ما يحدث أمامنا ؟

اللافت للنظر أن الصحف الكبرى ، وعلى رأسها " الأهرام " ، شاركت في توضيح هذا المفارقة العجيبة ، بوضع الضدّين وجها لوجه ، وما عليك إلا أن تضرب كفاً بكف أو تخبط رأسك في أي حيط (على أن تحترس من البوية) ، ولا أدري هل فعلت الصحف ذلك من قبيل إتمام الواجب ، أم من قبيل فضح هؤلاء وإرباك المجتمع ؟ أمّا القنوات والصحف الإخوانية فهي في حالة مندبة مستمرة ولا يعوّل عليها ولا على المتحدّثين فيها ، فكلهم في اتجاه واحد : الثورة تضيع (والثورة تستجير وتستغيث من تمحكهم فيها) ، و" الشعب يريد تطهير القضاء" (القضاء الذي أعطاهم كلّ حقوقهم وحافظ عليها من إخراجهم من غياهب السجون حتى وصولهم إلى الأغلبية البرلمانية المنحلة ، ثم رئاسة الجمهورية) ، ثم ـ المصيبة الكبرى ـ استمرار الدعوات إلى مليونيات بميدان التحرير الذي أعلن عن قرفه وراح يتقيّأ

الزفارة والروائح الكريهة من كثرة ما تُنتهكُ براءته التي كانت في أجمل ثمانية عشر يوما في تاريخ مصر !

الغريب ، والمُضحِك المُبكي ، هو خروج الإخوة الإخوانيين علينا بالقول " إن الذين يعارضون السيّد الرئيس وينتقدون قراره هذا يريدون تكبيله وتعطيله عن تنفيذ برنامج المائة يوم الذي وعد به "! هذه المجموعة من الزمّارين والمبرراتية يجب وضع كاتم صوت على أفواههم حتى لا يسيئوا إلى الرجل الذي هو رئيس كلّ المصريين ، ومَن يحاول تعطيله أو تكبيله فهو خائن ، إن الذين يعارضون أو ينتقدون فإنهم ينفذّون طلب السيّد الرئيس في خطابه في ميدان التحرير ، هذه المعارضة وهذا الانتقاد هما "التقويم " من وجهة نظر المُعارض أو المنتقد ، فإن كان على حق فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر ، واتهامهم بتكبيل الرئيس بهذا الانتقاد معناه أننا أمام رئيس ضعيفٍ تهزه جملة من هنا وكلمة من هناك ، ونحن لا نقبل هذا في حقّه.

الإعلام المصري مليء بالثقوب ، والقضاء المصري لا يخلو من البقع والبثور، ووجهات النظر الخاصة النابعة من الأهواء بها فجوات ومهالك ، أما موقف فقهاء القانون الدستوري الذي أخجلني بهذا الانقسام والانشقاق فهو أنفاق مظلمة تقودنا إلى انعدام الثقة في القانون وأهله وفي القضاء ورجاله ، وتحوّل "رمز العدالة" الجميل إلى راقصة خليعة ترقص على إيقاع الأهواء الخاصة القاتلة ، ولذلك أقول لكلّ الزمّارين والطبّالين والمشخللاتيّة والذين فضحونا : إنّما للرقص حدود !!

***

حتّى لا تطيرَ الحَصانة !![1]

أتصبّبُ خجلاً منذُ أن قام الدكتور محمد سعد الكتاتني ـ رئيس مجلس الشعب المنحل ـ بإحالة حكم المحكمة الدستوريّة بحلّ المجلسِ إلى محكمة النقض لتقولَ قولتها فيه !!

سبب خجلي هو أنّ الرجل كان رئيسًا للمجلس الذي مهمّته التشريع لا يعرف المحكمة التي يلجأ إليها لتحمي حصانته ومجلسه !!، وإذا كان السيد رئيس المجلس لا يعرف المحكمة المختصة بالفصل في أمرٍ ما .. فعليه العوض ومنه العوض !! هذا الأمر حمّال أوجه (وهو غير غير حمّال الأسيّة) ، فإذا كان السيد الكتاتني لا يعرف فعلا فعليه أن يحملَ مطرقته ويعودَ إلى جامعة المنيا ليواصل محاضراته في " علم النبات " للدارسين بكلية العلوم ، وفي هذه الحال ـ الحال وليس الحالة ـ قد يفيد الوطنَ أكثر فيما يتعلّق بمكافحة دودة القطن وذبابة الفاكهة وجرَب التفاح ومحاربة حشيشة الزمّير .... . أمّا إذا كانَ يعرف ولكنه يقصد المماطلة والتعطيل والالتفاف على حكم المحكمة من أجل سواد عيون الحصانة والسيارة الفارهة والبدلات والحراسة والمنظرة والفشخرة والحاجات دي ، أو بدافع الاستماتة من أجلِ قتل حكم المحكمة الذي يعني تنفيذه عدم حصول " الحرية

---

[1] العدد ٢٩الثلاثاء ٢٤ يوليو ٢٠١٢م.

والعدالة " الإخوانية على ربع ما حصلوا عليه في الانتخابات الأخيرة ففي هذه الحال يكون الأمر أشدّ قسوة ومرارة ، فتفضيل مصلحة فصيل ما بالدولة على مصلحة الوطن وسمعته يتجاوز حدّ الجريمة إذا كان مقصودًا من رئيس المجلس التشريعي بشخصه وصفته ، فكلنا زائلون ويبقى الوطن ، لكن أن نلاعب القضاء لعبة " حاوريني يا كيكة "، ونجمع عدة مئات من " الإخوة الثائرين " ونرسلهم أمام مجلس الدولة ليرهبوا القضاة المحترمين (الأفذاذ) ويطاردوهم ويقذفوهم بأقذع الشتائم والألفاظ البذيئة التي لا ينبغي أن تخرج من لسانٍ ـ يدّعي أنّه ـ يردد القرآن أو يعملُ به ، هذه الشتائم وهذه اللافتات التي تجرح العيون والمشاعر كانت توجبُ أن يصدرَ السيد الرئيس أمرًا إلى السيد وزير الداخلية بأن يقبض على هؤلاء المنفلتين لإعادة تربيتهم وإصلاحهم وتهذيبهم فربما كانوا مندسّين أو عواطلية وأصحاب سوابق أو فلولا والعياذ باللهِ ويريدون تشويه صورة الإخوان ومَن يسمّونهم الإسلاميين بصفة عامة ! كان لا بد من اغتنام الفرصة والقبض على عيّنةٍ من هؤلاء لنعرف أصلهم وفصلهم ، فالفرق شاسع بين حرية التظاهر والتعبير عن الرأي وحرية قلة الأدب والبذاءة والاعتداء على أعظم قلاعنا ، قلعة القضاء ، علناً جهاراً نهاراً أمام أعين العالم وقنواته الفضائية الشمتانة !

حركة الدكتور الكتاتني تدخل في باب ما يسمّيه الخبثاء أمثالي بـ " الحركات القرعة " كيفما كانت نيّته أو هدفه ، وإذا استمرّ ـ هو وشركاه ـ في الالتفاف والمماطلة فأقترحُ عليه أن يستفتي نيابة المرور ثمّ نقطة شرطة مستشفى الدمرداش فالجمعية الزراعية بقرية البسلقون ... وهكذا لآخر ما في هذه الدائرة الفارغة !

هذه الحركة تجبرني على مطالبة القائمين على وضع الدستور (إذا لم يلحقوا بالمجلس المنحل) أن يفرضوا مادة تشترط في رئيس مجلس الشعب أن يكون حاصلاً على ليسانس الحقوق ـ على الأقل ـ ليكون واعيا بدورة التشريع والرقابة وأنواع المحاكم ودرجاتها واختصاصاتها ، وأن يكون على علم بمبادئ القانون فالفرق كبير ـ في مقام التشريع ـ بين دارس القانون وغيره من المواطنين ولو كانوا من العلماء المصنّفين عالميا في تخصصاتٍ أو علوم أخرى ، وكلنا نعرفُ أن الراحل العظيم الأستاذ الدكتور محمود حافظ كان أستاذاً في علم الحشرات ، ولم يمنعه ذلك من أن يكون رئيسا لمجمع اللغة العربية (ورئيساً للمجمع العلمي ، وهو الوحيد الذي جمع بينهما بعد طه حسين) ، وقد ظلّ رئيساً للمجمع حتى رحيله عن مائة عام إلا ثمانية عشر يوما متأثّرا بحزنه على حريق المجمع العلمي (أو حرقه). غير أن الهوّة واسعة بين مجلس الشعب وغيره من المؤسسات والهيئات والكيانات الأخرى ، فالخطأ في تعريب كلمة أو إعرابها أو إدخالها في جملة مفيدة ... غير الخطأ في وضع تشريع قد يهلك أمّة بكاملها أو يعرقل مسيرة طائفة من الشعب أو يقلب ميزان العدالة !

تناسى الكثيرون مصلحة الوطن ، واستماتوا في الدفاع عن أغراضهم الخاصة التي قد تصل إلى المطامع ، وارتكبوا كلّ المخالفات والتجاوزات وهم يدركون تمام الإدراك أن حكم المحكمة الدستورية أصبحَ نافذا مثلما الرصاصة التي خرجت من البندقية إلى قلب الهدف ، وأنهم مهما حاولوا فلن يستطيعوا إعادة الرصاصة إلى البندقية وإنقاذ "قلب الهدف " !! ، كما أنهم يدركون أنّ الحصانة قد تمنح حاملها فرصة ابتزاز السيّد المحافظ أو تهديده وإجباره على الموافقة له على البناء على الأرض

الزراعية و.. طزّ في القانون وفي الدولة ، كما قد تمنحُ حاملها الآخر فرصة بيع السولار والمواد البترولية بالسوق السوداء إذا كان يمتلك بنزيمة (آه .. بنزيمة) ويفلت من يد أمين الشرطة الخائف المتردد فلا يقبض عليه وهو في حالة تلبُّس يتعطّلُ فيها مفعول الحصانة ، وقد تتيحُ لحاملها الثالث فرصة الإفلاتِ من يدِ مباحث الآدابِ عندما يُضبط متلبّسًا بممارسة الفعل الفاضح ـ اللهم إني صائم ـ في الطريق العام ، لأنهم ـ رجال المباحث والضبط ـ أصبحوا مكتوفي الأيدي أمام فصائل معينة من المجتمع ، بحصانة أو بغير حصانة ، خوفاً من تليفونات البهواتالكبار وتعنيفاتهم وتوبيخاتهم (أقصد وزير الداخلية وأتباعه من مديري الأمن حتى لا تفهوني بالخطأ) ، غير أنها ـ الحصانة ـ لا تشفع لحاملها عندما يبتلعه القبر أو يقف أمام الله في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون ، سيقف الجميعُ يعضّون أصابع الندم وهم يحملون على أكتافهم عار خيانة الأمانة وثقة الناس الأبرياء المخدوعين ، ستسقط الألقاب والوظائف وكلّ ألوان الخداعِ البرّاقة ، وستكون الحصانة بمثابةِ مصنعٍ للسيّئات والكبائر فتقود حاملها إلى جهنم وبئس المصير ، ولذلك أنادي أهل الدستور أن يُراعوا شروطا معينة ، حاسمة وقاسية ، فيمن يتجرّأ ويتقدّم لرئاسة مجلس الشعب حتى لا نفاجأَ بمثل ما باغتنا به السيّد رئيس مجلس الشعب المنحل ، وذلك حتى نحفظ للمجلس هيبته ، وللقضاءِ قدْرَهُ ومكانته ، وحتى نأمن قلقَ المترددين والمرتعشين الذين يقضون دورتهم البرلمانيّة مُعلّقينَ في أحبال الارتباكِ يصارعون الإسهالَ والفزع والرعبَ خوفًا من أن تطيرَ الحصانة !!

***

حقنة الإخصاء والإقصاء[1]

أعرف أن " الإخصاء " ضعيفة لُغوِيًّا ، ولكنها مع هؤلاءِ تصبحُ صحيحة إذ لم يتركوا شيئًا صحيحًا إلا ولعبوا فيه وأضاعوا كتالوجاته ليأخذونا إلى الظلمات والسراديب ، ويعودوا بنا إلى الجاهليةِ الأولى !

كنتُ أعدّ مقالا وداعيًّا أحيي فيه الدكتور كمال الجنزوري ، الفدائي البطل الذي حملَ على كتفيه ما لا يطيقه جبل ، ولكنه لم يعجب ! وكنتُ أريد أن أتساءلَ عمّا وراء الحرب ضد محمد أبو العنين وشركاته (ولي عليه ملاحظاتٌ لا حصرَ لها) ومَن المستفيد من تخريب المشروعات الناجحة بالرغم من الصراخ ليلَ نهار من أجل أن نزقّ العَجَلَة ـ عجَلَة الإنتاج ـ ولا أظنّ الأمر يخلو من مؤامرة على أبو العنين (أحد رموز الفلول ، ولكنه ـ في نهاية الأمر ـ رجل أعمال ناجح ، وفي رقبته آلاف الأسر ! وإن كانت له أخطاء فالقانون قانون على الجميع) .

كانت الأفكارُ تتزاحمُ وتتقاتل ليفوز في النهاية السيد الدكتور أحمد فهمي ـ رئيس مجلس الشورى ـ وتابعه الباشمهندز فتحي شهاب الدين ، رئيس لجنة الثقافة

---

[1] العدد ٣٠ – الثلاثاء ٣١ يوليو ٢٠١٢م

والإعلام بالمجلس المذكور ، والذي قد يعرفُ في كلّ شيء وأيّ شيءٍ إلا الثقافة والإعلام !

قبل كلّ شيء .. لا أدري سبباً منطقيّا لوجود مثل هذا المجلس الكسيح الذي وصفه البعض بأنه مجرد قهوة معاشات ! بينما أراه أدنى من ذلك ، هو شيء هلامي لا قيمة له ولم يفعل شيئًا يُذكر منذ زرعه السادات في صحراء الديموقراطية الوهمية في العام ١٩٧٩م ، ولو أنفقنا ما يستنزفه هذا الذي لا قيمة له في بناء مساكن للشباب ، أو علاج الغلابة أمثالي ، أو إنشاء مشروعات صغيرة لملايين العاطلين لكان أعظم وأكرم ، لكن أن ننشئَ هذه الكيانات الشكلية الفارغة ونلقمها ملايين الجنيهات في كلّ عام فهذا هو السّفه إلى حدّ الجنون ، ولو أبقى الدستور على خيال المآتة هذا ، فعليه العوض ومنه العوض !

رئيس المجلس الحالي أستاذ في العلوم الصيدلية (الفارماكولوجي) ، وهو ـ كقرينه رئيس مجلس الشعب المنحل ـ قد يفيد الوطن في مجالٍ آخر غير هذا هذا التمثيل الوهمي ، فقد يكون لأبحاث الدكتور فهمي وتجاربه المعمليّة المتفرّدةِ دورٌ مهم في محاربة دودة البلهاريسيا أو لدغة العقرب أو عضّة الحنش أو قرصة الناموسة، لكن أن يتصدّى المجلس ـ برئاسته ـ لابتكار طريقة لقتل الصحافة المصرية ووأدها بشكلٍ لم يخطر ببال أباليس الحزب الوطني المنحط (ابن عم المنحل) فهذا من عجائب الأقدار التي حدفتها الثورة المباركة على رأس الشعب المصري الثائر الغلبان ، ذلك الشعب الذي لو كان يعلم بأن ثورته سيتم السطو عليها في

وضح النهار والمتاجرة بها بلا خجل وبلا تأنيب من ضمير لما قام بها ! الشعب قام بثورته من أجل الحرية والعدالة لا من أجل حزب " الحرية والعدالة "!! الحريّة لكلّ الشعب وفي مقدّمتها حريّة الرأي التي يريد مدّعو الحرية أن يخمدوها ويردموا عليها ! حريّة الرأي التي تعني في المقام الأول تلك الآلاف المؤلفة من الأقلام الشريفة التي أضاءت تاريخ مصر على مرّ العصور بالرغم من وجود مئات أو آلاف الأقلام النجسة التي لا تستسيغ الشرف ولا تعرف الكرامة ولا تسمع عن الأمانة والصدق، غير أن قطار الزمن لا يرحم ، ومصفاة الزمن بعيون واسعة لا تستبقي إلا مَن يستحق البقاء ، وإذا كان الحزب الوطني المنحط ـ بكل جبروته ـ لم ينجح إلا في استمالة عدد من هؤلاء البيّاعين والطبّالين ، ولم يستطع أن يكسر شوكة حَمَلَة رسالة التنوير والتثوير المقاتلين بأقلامهم وآرائهم من أجل المستقبل ، فكيف لنا أن نتخيّل أن يلعب هذا الحزب " النونو " بمقدّرات الصحافة ورجالها؟ هذا الاختراع الخبيث من أناس قد يطيرون في لحظة بحكم من المحكمة لا يجب الاستسلام له أو القبول به ، لا أحد يستطيع إطفاء نور الصحافة أو تكسير الأقلام أو تكميم الأفواه،" عايزنا نرجع زي زمان ؟ قل للزمان ارجع يا زمان "! هذا الوهم ، الحمل الكاذب ، الذي يعيش فيه سارقو الثورة لا يعدو أن يكون حفنة من غبارٍ في أعماق الصحراء في ليلة سوداء عاصفة ! أغلبيتهم الوهمية سقطت في الوحل بسقوط المجلس المنحل ، أشجار الكراهية تملأ الشوارع الآن وتلقي ثمارها المرة في أفواههم، السحب من الرصيد على المكشوف ، والنزيف لن تمنعه حقن الدكتور فهمي ولن

توقفه الوصفات النباتية للدكتور الكتاتني ، الشعب خرج من القمقم وأفاق تمام الإفاقة، وإن كان الإخوان لا يدركون أن شعبيتهم تتآكل فهنيئا لهم الوهم وأحلام اليقظة .

حلم السطو على الصحافة وإقصاء أهل الرأي المستنير لصالح القادمين من الظلمات ليجرّونا إليها لا يليق أن يصبح حقيقة ، لا أتخيل أن يقبل الصحفيون المحترمون بذلك ، وإن كانت هناك قلّة من راكبي الموجة ومن أهل القفز في سلّة المنفعة الخاصة أو " فئران السفينة " كما يقولون ، فلا أظن أن يقبل السواد الأعظم من حمَلَة رسالة التنوير ـ ولو كره الإخوان ـ أن يتحكّم فيهم السيد الدكتور أحمد فهمي وواحد اسمه فتحي شهاب الدين علاقته بالصحافة ـ في أقصى تجلياتها ـ لا تزيد عن كونه قارئا بالصدفة ، وقد لا يكون قد رأى تسعين بالمائة من الصحف المصرية إلا بعد أن زقّته الصدفة الهباب ليكون رئيسا للجنة الثقافة والإعلام بذلك المجلس الاستنزافي الذي لا مبرر لوجوده ولا لبقائه ، والذي أحلم بحلّه وإنهاء وجوده إلى الأبد ، هذه المكيدة الخبيثة ليست سوى سطر أو درجة في بروتوكولات العابثين الجدد ، الحالمين بالمستحيل ، القابضين على الوهم ، الذين يظنون أن الأيام تمشي بظهرها ، وأن المارد المصري الذي خرج من القمقم سينحني ويُقبّل يد كبيرهم، ثمّ يرقص لهم " عشرة بلدي " ويعود إلى قمقمه لينام نومة أبدية!!

هل تنجح خطة الدكتور فهمي وتابعه شهاب الدين في إلقاء القبض على رؤوس الصحف المصرية وإدخالها في سرداب الظلمات ؟ لا أظنها تنجح وإن زيّنت

لهم شياطينهم ما يصنعون ، وإن كان ذلك كذلك فليس أمامي ـ الموقّع أعلاه ـ سوى أن أدعو إلى إضراب شامل في جميع الصحف ـ حكومية وخاصة ـ لمدة أسبوع لا تخرج فيه ورقة واحدة بها حرفٌ واحد إلى الشارع ، وليأتِ الأخ فهمي وتابعه شهاب الدين وشياطينهما بمن يكتب ويُخرج ويطبع ويوزّع ، ليس أمامنا سوى أن نقاتل من أجل إفساد مفعول هذه الحقنة الخبيثة القاتلة ، وإلا فلنجلس من الآن لنتلقّى العزاء في كرامتنا وشرف رسالتنا ، ونعلن عن هزيمتنا أمام واحد اسمه فتحي شهاب الدين قذفته الصدفة ليتحوّل من قارئ بالصدفة إلى صاحب الرأي الأوّل على أعظم أسياد الرأي في هذا الوطن الذي يصنعُ الأبطال و..... العجائب!!

***

بشير عيَّــاد

يرقصُ بـالعصا على أنغام : يا تـأسيسيَّة يااااا[1]

لو كان الفنان الكبير محمود شكوكو ـ يرحمُه الله ـ بيننا .. لأتيتُ به وفرقته الموسيقيّة مدعومةً بخلاصة عازفي فرقة حسب الله التاسع عشر ، ولكتبتُ لهم كلّ يوم أغنيةً جديدةً نشاركُ بها ـ ((نُقطة)) ـ في أفراح الجمعية التعاونية الاشتراكية التأسيسيّة لكتابة الدستور وتوزيعه على بطاقة التموين ، هذه الجمعيّة المحظوظة التي لا يختلف سبعتاشر تمنتاشر على بطلانها ، وعلى عدم تمثيلها لكلّ أطياف المجتمع المصري الذي تكتب له هذا الدستور !! الجمعية المخطوفة " لَوي دراع "..و " عيني عينك " ويحتج عليها ويرفضها تسعون بالمائة من المصريين ! يتفانى القائمون على الأمر في تدليلها وتدليعها وهدهدتها من أجل أن تنام هادئة فتحلم أحلاما سعيدة ، وبعد أن تقوم من النوم وتغسل وجهها .. تجلس تكتب لنا الدستور الجديد ..بخط النسخ مرّة ، وبخطّ الرقعة مرّةً أخرى !

فعلى طريقة " يا مهلبيّة يااا " نتابع خطوات هذه التأسيسيّة منذ أن كانت "نُطفة" في رحم الغيب ، وعندما شاءت الأقدار أن تصبح جنيناً ثم مولوداً ، جاء المولود مشوّهاً وبه كل العيوب الخلقية والصحيّة والقانونية والدستوريّة والزراعيّة! وعلى طريقة لعبة الاستغماية التي نحتل فيها المركز الأوّل عالمياً تُدار لعبة الطعن في

---

[1] العدد ٣١- الثلاثاء ٧ أغسطس ٢٠١٢م

شرعية هذه البتاعة أمام القضاء .. التفافات ،ومماطلات ، وطلبات ردّ ، وتأجيلات ،وعصابات للبلطجة والتهديد وإرهاب رجال القضاء حتى لا تخرج من منصَّتهم الرصاصةُ القاتلة التي تودي بأحلام سارقي الحاضر ..الطامعين في المستقبل ، والذين خرجوا إلى النور فجأة فأعماهم البريق .. والذين لم يدركوا ـ إلى الآن ـ أن مصر صعبة المضغ ، وأنها أكبر من مساحة أفواههم المفجوعة ، وإمعانا في إثبات قانونية لعبة الاستغماية التأسيسية وصلنا إلى مرحلة :

خلااوووويص ؟؟

لسَّــه

أجيب البوليس ؟؟

لسّــه

وأعني بذلك إلقاء الحكم ببطلان الجمعية من عدمه .. في سلّة ٢٤ سبتمبر ، وهي مدّة كافية لكتابة الدستور في كراسة الواجب المنزلي خمسَ عشرة مرّة ! وأسارعُ فأقول إنني لا أشكّ مثقال ذرّةٍ في ضمير القضاء وفي مبرر التأجيل ، غير أنّ النفس أمّارةٌ بالسوءِ ، كما تعلمون ، ويشفع للقضاء أنهم ـ أعني المتحدّثين الرسميين وغير الرسميين ـ قد صرّحوا بأنّ السيّد الرئيس سوف يدعو الشعب ـ اللي هو احنا ـ للاستفتاء على الدستور قبل ٢٤ سبتمبر موعد النطق بالحكم في شرعية التشكيل التأسيسي للتأسيسيّة ! فإذا كان هذا الكلامُ صحيحا فلماذا لا نلغي القضاء ونحوّل المحاكم إلى ذكريات أثريّة ومزارات سياحية لكل الباحثين عن الحرية والعدالة ؟ لو صحّ أن السيّد الرئيس يريد قطع الطريق على حكم قضائي يبيّن الحد الفاصل بين الحقّ والباطل فلا أشكو ضعفي وقلّة حيلتي إلا إليك يا ربّي ، وأتضرّعُ إليكَ وأنا في

موقفٍ لا يعلّمُه إلا إيّاك يا أرحم الراحمين أن تقبل دعائي وتلطف بالبلاد والعباد فلا ملاذ لنا إلا أنت ، ولا مفرّ إلا إليك !!

ماذا فعلت التأسيسيّة إلى الآن ؟ عجين في عجين ، طواحين كلام وتصريحات إعلاميّة ، مللنا الوجوه ، والتصريحات ، وجهّزنا " لاااا " الضخمة المدويّة لنرشقها في ورقة الاستفتاء على الدستور الباطل ـ مقدما ـ لبطلان الأيدي التي كتبته أو بعضها ، وبعض الباطل إذا اختلط بغير الباطل أفسده وجعله باطلاً ، سنقول "لا "لهذا الدستور ، وسنصمد مهما يطل الزمن حتى يأتي مَن نرضى عنهم ونرى فيهم مصر العظيمة كلّها ، ونلمسُ في أرواحهم رائحة الحبّ والحقّ والعدل والإنسانية ، وما أكثر المصابيح في بلادنا لكنهم يصرّون ـ بجهالةٍ ـ على إطفائها وإخمادها ، لكن النور أقوى من الظلام مهما يكن النور ضعيفا والظلام دامساً وقاسياً وثقيلاً !

الغريب أن الذين يعرفون أنهم نواة البطلان وتاج رأسه .. هم الأعلى صوتًا والأكثر ضجيجًا ، وأجدني أشدّ الناس إشفاقا على الأعضاء (الشرعيين) من الرموز الوطنيّة والطاقات الإنسانية والفكرية والذين ما كان لهم ـ ولا يليق بهم ـ أن يوضعوا في قائمة واحدة وتحت أيّ مسمّى مع فلان وعلاّن وفلانة وترتانة ، ولا أدري كيف واتتهم القوة ، ومن أين جاءوا بهذه العزيمة ليصبروا إلى اليوم ولا ينسحبوا من هذه المهزلة التي لن تفضي إلا إلى مهازل أكبر وأضخم وأوسع ؟ تحت أي مبرر يواصل هؤلاء الكبار المسيرة ولا تستوقفهم الإشارات التحذيرية ولا تنبههم الأضواء الحمراء المتناثرة على طول الطريق الملبّد بالمطبّات الصناعية والمنحنيات الخطرة ؟

ولأنّ جراب الحاوي لا يخلو من الغرائب والعجائب ، فقد طلعت علينا الجمعية الاشتراكية إيّاها بلعبةٍ جديدة تتلوها لعبة أخرى ، أما اللعبة الجديدة فهي استضافة الرموز ليتحدّثوا عن رؤيتهم أمام أعضاء الجمعية ، وكان على رأس هؤلاء الجرّاح العالمي الدكتور مجدي يعقوب الذي انشغلت عن حديثه بالشخص الجالس إلى يساره وكم وددت أن يجبده الدكتور مجدي على حين غِرّة ويجري له عملية جراحية تزيل من وجهه هذه التكشيرة ، وتمحو من زفيره صهد الغلّ والغضب ، وقد أعلنوا ـ ضمن هذه اللعبة ـ أنهم سيتصلون بالدكتور أحمد زويل من أجل الاستماع إلى رؤية سيادته وكيفية إخضاع الدستور للفيمتو ثانية وتطبيقاتها، ولا أعرف هل اتصلوا به أم لا ؟ وحتى لا يتعبوا في البحث عن أرقام تليفوناته أقول لهم إنها مع أحمد المسلماني !

وأما اللعبة الأخرى ـ والأنكى ـ فهي اعتزام الجمعية الطواف حول العالم للاستماع إلى آراء الجاليات المصرية في عدد من الدول ! وهنا أحاول أن أستدعي محمود شكوكو وإسماعيل ياسين وعمر الجيزاوي وننصب سرادق الفرح ونفتتح الليلة الأولى من ليالي " ألف ليلة وليلة ٢٠١٢"!!

يا أصحاب هذه الجمعية ..توفيرا للجهد والوقت والمال .. يوجد في داخل مصر عشرات الجاليات المصرية التي لم تحترموها ولم تلتفتوا إليها على رأسها جالية " اتحاد كتّاب مصر " وموطنها المختار ٩ شارع حسن صبري بالزمالك ، كما توجد جاليات رجال القانون ، والأطباء ، والمهندسين ..... إلخ ، وتوجد جاليات مصرية كبيرة بمدينة الإسكندرية ، ووسط الدلتا ، وخط القناة ، وسيناء، والصعيد ، والجالية الأشهر بالطبع هي الجالية النوبيّة ! وبإمكانكم الانتشار في عربات المترو

والقطارات وأتوبيسات النشل العام (آه نشل ، فقد امتلأت بالحرامية في غياب الشرطة) لتلتحموا بالجاليات المصريّة عن قُرب وتعرفوا اتجاهات رأي الناس . أمّا إذا كنتم تريدون بالفعل أن تتجاهلوا الجاليات المصرية المقيمة بمصر لتذهبوا إلى المقيمين بالخارج فليس لي إلا أن أستفسر منكم : مَن سيدفع تكاليف السفر والذي منّه ؟

وحتى لا يتهمني البعضُ بمعاداة خالتي التأسيسيّة ، ولفشلي في استدعاء الفنان الكبير محمود شكوكو وزملائه ، فقد قررتُ أن أقوم بالدور وأقدّم لهذه التأسيسيّة وصلة رقص بلدي بالعصا ، فقط أستأذنكم لمدة دقيقة ... أضبط الحزام وأخلع النظّارة ...و .... رقّصني يا جدع !!

***

أتســـاءلُ عَـــن ، وأرفضُ

رســـائِل هــذا المواطـــن[1]

فيما يشبُه التسلُّلَ من الحارات الخلفيّة ، بدأت بعض الصحف الكبرى ـ وعلى رأسها " الأهرام " للأسف المرير ـ وبلا أدنى مبرر شرعي أو قانوني ، تهتم وتنشر تقريرا أو ملخّصا لبدعةٍ يسمّونها " رسالة المرشد إلى الأمة "! هذا المواطنُ / المرشدُ يقودُ جماعة من الناس لم يعد أحد من خارجها يتعاطفُ معهم بسبب مواقفهم المتتالية التي أجهضت الثورة وأوقفت نموّها ـ بالاشتراك مع المجلس العسكري في أيّام العسل التي دامت طويلاً ـ ثمّ السطو العلني على ما تبقّى من أشلائها وسرقتها جهارًا نهاراً ، هذه الجماعةُ التي ربّما لا تحمل ترخيصا إلى اليوم ، أنجبت حزبًا كبيراً صنع وجوداً في الشارع المصري وحصلَ به على الأغلبية في انتخابات مجلس الشعب المنحل ، وكذلك مجلس الشورى الذي يجب أن ينحلّ وينتهي وجوده إلى الأبد ، فلماذا لا تنخرط الجماعة وتذوب في الحزب وتخرج من عباءتها القديمة المحظورة ؟ لماذا الإصرار على بقاء هذه الجماعة التي تخلط الدين بالسياسة فتخطئ في المقادير وتفسد الاثنين معًا ؟

مرشد الإخوان المسلمين مواطن عادي لا يزيد على أيٍّ منّا ولا ينقص ، هو ـ في نظر القانون ـ مجرد رقم على المجموع العام ، فبأيّ حقّ وأيّة شرعية وأيّة مرجعية

---

[1] العدد ٣٢ – الثلاثاء ١٤ أغسطس ٢٠١٢م

يقوم هذا المواطن بتوجيه رسالة إلى الأمة ؟ وأيّة أمّة ؟ الأمّة الإسلامية على إطلاقها في مشارق الأرض ومغاربها ؟ أم الأمة المصريّة فقط ؟ إن كانت الأولى فلا أظن مسلمي العالم سيتركون " مُرشديهم " ويجلسون واضعين أياديهم على خدودهم بانتظار رسالة " مُرشدينا " ، ولا أظن أحدا ـ في الدنيا ـ سيقبل وصاية عليه من غير الأزهر الشريف باعتباره المرجعية الشرعية التاريخية التي أعزّ اللهُ بها الإسلام ـ وبمصر ـ بعد وفاة رسولنا الكريم عليه أفضل صلوات ربّي وسلامه ، ولذلك لن يبتلع رسالة هذا المرشد إلا بعض الواقعين تحت بنج الجماعة في أيّ مكانٍ كان ! وأمّا الأخرى ـ وأعني الأمة المصرية العظيمة ـ فهي عُنصران أحدهما مسيحي (أرفض أن يعتبره البعض أقليّة ، ثكلته أمّه كلّ مَن يعتبرهم كذلك) هذا العنصر المسيحي أتحدّى أن يوجد بين أفراده مواطن واحد يقبل الوصاية من المواطن المرشد الذي تحظى جماعته بالرفض التلقائي من كل ما هو مسيحي ، بالرغم من الشعارات الكاذبة والأحضان الكاذبة والقبلات الكاذبة والوعود البرّاقة الخادعة ! فإلى أيّة أمّة يتوجه هذا المواطن برسائله الأسبوعيّة ؟

هذا المواطن يعدّ عالمًا في مجال الطبّ البيطري ، وقد يكون له ولتلاميذه أيادٍ بيضاءُ وأفضالٌ لا حصر لها على نصف بهائم القطر المصري ، فالرجل تنقّل بين عدة جامعات ، وفي كلّ جامعة كان له تلاميذ ، ربما ينتشر معظمهم الآن في ربوع الوطن من أجل محاصرة الحمّى القلاعية والسهر على إبراء الخرفان المبشومة أو العنزات التي تعقرها الذئاب أو ترفسها الحمير الطائشة ، وهو ـ المواطن المرشد ـ مصنّف ضمن أعظم مائة عالم على مستوى العالم في مجال الطبّ البيطري ، وهذا شيء مشرّف لمصر ولكلّ المصريين بالطبع ، وقد يعني أن له الكثير من الأيادي البيضاء أيضًا على الكثير من حيوانات العالم في المشرق والمغرب ، وربما في فظائع كبيرة مثل

جنون البقر الذي اجتاح أوروبا فأصاب أبقارها ، وعندما انتقلت العدوى إلى منطقتنا العربية اختارت ـ للأسف ـ بعضا من المواطنين الذين يحتلون مناصب مرموقة في هذه المنطقة المنكوبة .. لم يفلح معهم طبّ الدكتور المرشد ، ولا عبقرية تلاميذه ، ولم نجد لهم دواءً إلا في الثورات التي خلعتهم ، وبعد أن خلعتهم وأراحتنا من جنونهم الحيواني ، وبعد أن أفقنا وجدنا ثورتنا العظيمة ـ نحن ـ أخذها الغراب وطار !!

وأعود لأتساءل : في أي يوم وأي وقت ، وكيف ، ولماذا يقوم المواطن المرشد بتوجيه هذه الرسالة ؟ هل قفز ـ فجأة ـ ليكون أعلى من قامة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر (الأولى بتوجيه هذه الرسالة إن كان لها محلّ من الإعراب)؟ وهل هي الخطوة الأولى في تقويض صرح الأزهر العظيم (على طريقة الحفر تحت المسجد الأقصى) ؟ لم أجد في سيرة المواطن المُرشد حرفًا يمتّ بأدنى صلة لعلاقته بدراسة الفقه أو الشريعة أو أيّ من علوم الدين ، وهو ـ هنا ـ لا يزيد عنّي ـ مثلاًـ إلا فيما يتعلّق بمجال الطبّ البيطري ، بينما أتفوّق عليه في دراستي للشريعة وأصول الفقه ، ناهيكم عن اللغة العربية وآدابها ، وبذلك أكونُ في طليعة غير المحتاجين لرسالةٍ من مواطن مثلي لا يرقى مضمونها بأية حال إلى ما في عقلي ويقيني ، وهناك الملايين ممن يتفوّقون عليّ في دراسة الشريعة وعلوم الدين عامة ، ومَن لا أساوي نِكلة إلى جوارهم في مضمار لغتنا العربية وآدابها ، ومن ثَمّ فهم في غنى عن مثل هذه الرسائل التي لا تقف على أرضية قانونية ثابتة ، ولا تمثل إضافةً ذات قيمة لأي مواطن منهم، ولا ترقى إلى أن تكون إضافة إلى أي مواطن متوسّط التعليم !

الشيء اللافت للنظر أن كثيرين من أعضاء الجماعة بارعون في العلوم ، الفيزياء والكيمياء والنبات والصيدلة والطب والطب البيطري ..... إلخ ، وقد يكون من

الأنفع لمصلحة هذا الوطن ومستقبل أبنائه أن يضع هؤلاء أيديهم في يدِ الداعين إلى الجامعة العلمية الزويلية ، وأن يتركوا الحديث في الدين لرجال الدين، واللغوصة في السياسة لمحترفيها ، لكن القفز اللا شرعي لاقتناص كلّ الأدوار في وقتٍ واحد فليس في صالح الوطن ولا الإخوان ولن نجني منه سوى الكثير من ثمار الفُرقة والانشقاق والزغللة ، وإذا كان معظم رموز جماعة الإخوان ، وعلى رأسهم المواطن المرشد ، قد ذاقوا الأمرّين في ظلمات السجون والمعتقلات ، فهذا لا يبيح لهم أن ينتقموا منّا ويسوّدوا عيشتنا بأية حال من الأحوال ، ومن هذا المنطلق أحذّر من مضاعفات ما يسمّونه " رسالة المرشد إلى الأمة " (ولا رسالة الرئيس الأمريكي يا خيّ) ، فهي بداية حفر ناعم أملس في نفق مظلم قد يبتلعنا جميعًا ويعزز الانقسام بين المسلمين الإخوانيين والمسلمين غير الإخوانيين، وبين المسلمين والمسيحيين ، فوق ذلك هذه الشخبطة على تاريخ الأزهر الشريف ورجاله وعلمائه الذين أضاءوا العالم كلّه لأكثر من ألف عام قبل وجود الجماعة ومرشديها وأعضائها ، فإذا أصرّ المرشد المذكور على ارتكابها أسبوعيا فليرسلها بالإيميل إلى من يريد من المريدين ، كما بإمكانه أن يرسلها بالموبايل بنظام الرسائل القصيرة التي يسميها الفرنجة **sms**، أما إذا أصر المواطن المرشد على إرسال رسالته الأسبوعية إلى الأمة على الملأ ومن خلال الصحف الكبرى فإنني ألتمس منه أن يقول : " رسالتي إلى الأمة ، ما عدا المواطن بشير عيّاد وأولاده"!!

***

في الهواءِ الطَّلْقِ مَــعَ

هشام قنديل ووزيرِ النقلِ والتكْييف[1]

كان الدكتور هشام قنديل ، رئيسُ الوزراء ، ومعه الدكتور محمد رشاد المتيني ، وزيرُ نقلِهِ ومواصلاتِه ، يستقلّانِ القطارَ من القاهرةِ إلى الإسكندريّةِ للمشاركةِ في افتتاحِ محطةِ سيدي جابر ، غير أنّهما ـ يا وِلداهُ ـ تعرّضا لموقفٍ مُحرجٍ يندى لهُ جبينُ السككِ الحديديّةِ في العالمِ كلِّه ، إذ تعطّلَ التكييفُ في عربتينِ من القطارِ إيّاهُ فتوجَّهَ عددٌ من الركّابِ إلى السيدِ رئيسِ الوزراءِ ووزيرِ نقلِهِ للشكوى ،فاتّخذَ السيدُ وزيرُ النقلِ والمواصلاتِ والحاجات دي قراراتٍ ثوريّةً على رأسِها التحقيقُ مع رئيسِ الإدارةِ المركزيةِ للمسافاتِ الطويلة .... إلخ إلخ ، كما أمرَ السيّدُ الوزيرُ بـ '' ردّ قيمةِ التذاكرِ لركّابِ العربتين ''!!

وضعتُ الجملةَ الأخيرةَ بينَ الأقواسِ لأنّها تحملُ في طيّاتها جريمةَ إهدارٍ للمالِ العام ، فإنْ كان السيدُ الوزيرُ قد أمرَ بردّ قيمةِ التذاكرِ '' كاملةً '' وتمَّ التنفيذُ (طبقًا لصحيفةِ '' الأخبارِ '' ، ٢٦ أغسطس ٢٠١٢م ، ص٣) فيا لسوءِ البدايةِ ، أو ـ كما قالَ السابقون ـ : '' أوّل القصيدةِ كُفر''!! فباعتباري ضليعًا في القانونِ وقواعدِ اللغةِ العربيّةِ وركوبِ القطاراتِ الفاخرةِ بين القاهرةِ والإسكندريّةِ حيثُ مسقط

---

[1] العدد رقم ٣٤ – الثلاثاء ، ٤ سبتمبر ٢٠١٢م

دماغي بكفرِ الدّوّارِ ووجودِ نصفِ العائلةِ والأقاربِ بالإسكندريّة ، وعلى مدارِ ربعِ القرنِ من أيّامِ " المجري الأبيض " إلى أيّام هشام قنديل ووزيرِ النقلِ تبعه ، أقولُ لسيادتِكم إنّ مقابلَ التكييفِ في التذكرةِ الواحدةِ أربعةُ جنيهاتٍ لا غير في المسافةِ المذكورة ، وإنْ كانَ هناكَ كرمٌ زائدٌ من الدولةِ ووزيرِها فكان ينبغي ردُّ أربعةِ جنيهاتٍ فقط عن كلّ تذكرةٍ وليس ردّ الثمنِ كاملاً !! ولو أنني أعرفُ رقمَ القطارِ أو صفةَ سيادتِه (توربيني ــ إسباني ــ فرنساوي) لحدّدتُ لكم الرّقمَ الذي ضاعَ على الدولةِ من هذهِ الفنجرةِ التي لا تحدثُ حتى في أمريكا أو اليابان ، فمثل هذه الأعطالِ الفنيّةِ مُتعارفٌ عليها في أعتى العائلاتِ الحديديّةِ في العالمِ ، وأعتقدُ ـ والعياذُ بالله من كلمةِ أعتقد ـ أنَّ الضيفينِ الكبيرينِ كانا على متنِ أحدِ القطاراتِ عابرةِ المحطّاتِ مثل التوربيني أو الإسباني ، وهذا معناهُ أنّ المصيبةَ كبيرة ، وأنّ ما ضاعَ على الدولةِ رقمٌ فادحٌ وفاضحٌ فتذكرةُ الدرجةِ الثانيةِ في عرباتِ كبيريِّ العائلةِ القطاريّةِ المصريّةِ خمسةٌ وثلاثونَ جُنيهًا فما بالُكم بالأولى ؟!! ولذلك يلجأُ الغلابةُ ومحدودو الدّخلِ من أمثالي إلى السفرِ على الدرجةِ الثانيةِ في القطارِ الأخيرِ (الفرنساوي) لأنّه يتيحُ لي فرصةَ الحجزِ بنصفِ التذكرةِ لأطفالي الأبرياء (وهذا ممنوعٌ في القطارينِ الكبيرينِ) لأوفّرَ سبعينَ جُنهًا ذهابًا ومثلَها إيابًا بما يكفي لشراءِ الشموعِ وعملِ مراوحَ يدويّةٍ عند انقطاعِ الكهرباءِ الذي جعلنا ـ نحن المصريين ـ نعيشُ أسوأَ صيفٍ ، ولو طالبنا بمقابل " حقّ التكييفِ " من وزيرِ الكهرباءِ كما فعلَ زميلُهُ وزيرُ النقلِ لخربنا خزينةِ الدولةِ الخربانةِ أصلاً !!

وباعتبارِ السيّد رئيس الوزراءِ من هواةِ التصويرِ والزياراتِ المفاجئةِ ، فإنني ألتمسُ من سيادتِهِ أنْ يصطحبَ السيّدَ وزيرَ النقل ـ (والسبعمائة مصوّر إيّاهم) ـ

ويقومَا بعملِ زيارةٍ مفاجئةٍ لعرباتِ الدرجةِ الثانيةِ في القطارِ الفرنساوي ـ الذي أعرفُهُ جيّدًا بحُكمِ العِشْرَةِ الطويلة ـ وأتحدّاهُما لو تحمّلا الروائحَ الكريهةَ التي تنبعثُ من كلِّ مكانٍ ، وأتحدّاهُما لو تحمّلا منظرَ الستائرِ والمقاعِدِ والنوافذِ المتهالكةِ ،وأتحدّاهما أن يتحمّلا مجرّدَ أن يبصُقا في دوراتِ مياهِ الدرجةِ الثانيةِ بهذا الزفتِ الفرنساوي ، أو أنْ يتحمّلا ضجيجَ موبايلاتِ الصِّيَّعِ الجُدُدِ وما ينبعثُ منها من أغانٍ رقيعةٍ ، أو رائحةَ الدخانِ التي تحاصرُنا مما بينَ العرباتِ خصوصًا في القطاراتِ القادمةِ من الإسكندريّةِ ليلاً بحجّةِ أنّ هؤلاءِ الواقفينَ داخلَ العرباتِ أو الواقفينَ يدخّنونَ فيما بينها ينتمونَ إلى الشرطة " وما حدّش يقدر يكلّمهم " (هذا بعد الثورةِ المباركةِ ، واسألوا محصّلي القطاراتِ المحترمين) !!

عن نفسي أقول : يغور التكييف في مقابلِ أن نسافرَ في هدوءٍ ونظافةٍ وبما يليقُ بأطفالِنا الصغارِ الذين يرفضونَ دخولَ دوراتِ المياهِ القذرةَ فنضطرُ لإلباسِهم ملابسَ واقيةً من الـ ....، حتى نصلَ إلى المنزلِ بالقاهرةِ أو الإسكندريّة ، لا يهمّ التكييفُ في قطارٍ متحرّكٍ فالحرارةُ تطاقُ أمامَ منظرِ الصراصيرِ التي تلعبُ الكرةَ تحت المقاعدِ ، وضجيجِ موبايلاتِ " قُلالاتِ الأدب " وأدخنة المتسللينَ بين العرباتِ بحجّةِ أنّ "ما حدّش يقدر عليهم "!!

مواطنٌ مثلي يعولُ زوجةً وثلاثةَ أطفالٍ وأربعةَ موبايلاتٍ لا يجازفُ بركوبِ التوربيني أو الإسباني إلا إذا كانَ بمفردِهِ وعلى ذمّةِ ندوةٍ أو مؤتمرٍ بمكتبةِ الإسكندريّةِ أو مركزِ الإبداعِ أو قصرِ التذوّق ، ولا أطالبُ إلا بأبسطِ حقوقِنا الآدميّةِ عندما نسافرُ في أعيادِنا أو واجباتِنا العائليّةِ وسواها ، ولو طالبتُكم بمقابلِ ما لاقيتُهُ من قرفٍ وتضجّرٍ لكانَ لي في رقابِكم خمسةُ ملايينَ على الأقلّ ، ولكننا نتحمّلُ

ونقولُ هذا بلدُنا وهذهِ ظروفُنا ، ودائمًا نسبقُ كلامَنا ونختتمُهُ بالحمدِ للهِ والشكر لله، فكُلّنا فلاحونَ وصعايدة ولن نسيحَ من الحرّ أو نتجمّدَ من البرد !! ولن أحكي عن قطاراتِ الدرجةِ الثالثةِ أو الضواحي حتّى لا أُوقِعَ القرّاءَ العاطفيينَ في دوّاماتِ اليأسِ والإحباطِ والبكاءِ المستمرّ .

سيّدي رئيس مجلس الوزراء المحترم : أقولُ لكَ " سيّدي " احترامًا لمقامِكَ وأنت أصغرُ منّي سنًّا واستبشرتُ بكَ خيرًا وقلتُ : أخيرًا " عشت وشفت " رئيس وزراء أصغر منّي ويشرّفُ جيلي كلَّه ! ولكن تراجعت آمالي واهتزّت طموحاتي بعد أن وجدتُ لديكم ميلاً جارفًا إلى التصويرِ والظهورِ الإعلاميّ أكثرَ مما نتمنّاهُ في النهوضِ بالدولة ، وما دُمنا في "مقام السككِ الحديديّةِ " فإنني أذكّركم بالزيارة المفاجئةِ لكم للخطّ الثاني لمترو الأنفاق ، تلك الزيارة التي لم أرَ فيها سوى جيشٍ من المصوّرينَ يغيبُ عنه جنديٌّ واحدٌ فقط هو الذي كان يقومُ بواجبِهِ المقدّسِ في التقاطِ الصورة !! هل تحسّنَ الأداءُ في مترو الأنفاقِ بعد هذه " الخضّة"؟!!.. أقسمُ بالله لم يحدث !! فالمتسوّلونَ أكثرُ من الرّكّابِ ، والباعةُ المتجوّلونَ لم يبقَ لهم سوى أن يبيعوا الحشيشَ والبانجو داخلَ عرباتِ المترو ، والصيّعُ ينقسمونَ إلى قسمين : الأوّل يتبادلُ النكاتِ والألفاظَ البذيئةَ بصوتٍ مسموعٍ يجرحُ الحجر (بالإضافةِ إلى فوضى الموبايلات) ، والآخر .. يتأبّدُ في الأبوابِ ويعطّلُ إغلاقَها (ويقصّرُ عمرَها) ويعطّلنا ،، أين شرطةُ المرافق ؟ أين موظفو هيئةِ المترو الذين يجبُ منحُهُم حقَّ الضبطيّةِ القضائيّةِ داخلَ القطارات ؟ لماذا لا يتمّ فرضُ غراماتٍ فوريّةً على هؤلاءِ المخرّبينَ وحلقُ رؤوسِهم زلَبَطَّة ودهنُها ميكروكروم ليسيروا في الشوارعِ والمدارسِ والجامعاتِ كالأغنامِ المُستوردة ؟

هل أحدّثكم عن عدمِ وجودِ دوراتِ مياهٍ للركّابِ بمعظمِ المحطّات ؟ هل أحدّثُكم عن حالِ الدوراتِ الموجودة ؟ أخجــلُ من ذلك !! أمّا كارثةُ الكوارثِ فهي البواباتُ الخربانة التي يعملُ عليها المئاتُ من الشبابِ الرومانسي العطوفِ " الحنيّن " فلا يسألونَ أحدًا عن التذكرةِ ، ولا يمنعونَ داخلاً أو خارجًا بل يوزّعونَ الابتساماتِ كأنّهم في مطارِ القاهرةِ ويعملونَ في الدعايةِ السياحيّة ، ولا يدركونَ ـ هم ووزيرُ نقلِكَ ومواصلاتِكَ ، المسؤولُ الأوّلُ بالطبع ـ أنّهم يضيّعونَ على الدولةِ ملايينَ الجُنيهاتِ كلَّ شهرٍ ، والعبدُ للهِ يحملُ اشتراكًا سنويّا في المترو ، حتّى لا تظنّوا أنني أكتبُ من وحيِ همسِ الشياطينِ في الهواءِ الطّلْق !!

سعادة رئيس الوزراء ... نريدُ أنْ تديرَ الدولةَ من مكتبِكَ لتحقّقَ إنجازاتٍ ملموسةً على أرضِ الواقعِ ، ولا نريدُ أن تُنهي دورتَكَ بتحقيقِ رقمٍ قياسيٍّ من ألبوماتِ الصورِ التذكاريّة ، وإذا كانَ السيّد وزير النقلِ يطمحُ في أنْ يظلَّ قريبًا من سيادتكم لتخفيفِ وطأةِ الحرِّ إذا انقطعت الكهرباءُ أو تعطّلت أجهزةُ التكييفِ ولا يلتفِتُ إلى الخرابِ الذي ينهشُ قطاعَ السّكَكِ الحديديّةِ في القطاراتِ والمترو ، فإنني أقترحُ عليهِ أن يقومَ بتخفيفِ وطأةِ الحرِّ عن سيادتكم مستخدمًا في ذلكَ نسخةً من صحيفةِ "الحريّةِ والعدالة ".... لسانِ حالِ الحزبِ الوطنيِّ في ثوبِهِ الجديد .

***

يا مْحَنِّي دِيلِ المحظورة !![1]

ماذا تفعلُ لو كنتَ مكاني ؟

أنْ تجدَ نفسَكَ محاطًا بوجوهٍ عابسةٍ ، وألسنةٍ كالمناجلِ تحصدُ سيرةَ الناس ، ولا تخجلُ من التفوّهِ بألفاظٍ خارجةٍ خادشةٍ للحياءِ ، وإذا سألتَ أحدَ المواطنينَ : مَنْ هؤلاءِ ؟ تجدهُ يقولُ لك : إنهم تبع المحظورة !! محظورة ؟ نعم ، ويتكلّمونَ في الدين، وقالَ اللهُ ، وقالَ الرسولُ ، ويهرولونَ إلى صلاةِ الجماعةِ ، وقبلَ أنْ يُنقَضَ وضوءهم يتسابقونَ في لعنِ كلِّ مَنْ يخالفُهم الرأيَ ، أو يطالبهم بأنْ يتحوّلوا من محظورة إلى غير محظورة !!

جيوشٌ من المناجلِ المسنونةِ تعملُ ـ كما وصفناها ـ مثلَ مراوحِ السقفِ الخربانةِ التي لا تعطي غير الضجيج !!

محظورة ، كانت تتقنُ العملَ في الخفاءِ ويزعجُها النورُ ويرعبُها الضوءُ ، فلما خرجت ـ فجأة ـ على رفارفِ الثورةِ المسروقةِ اندفعت بلا فراملَ لتدخلَ في كلّ شيءٍ بلا رحمةٍ ولا هدى ، وبين ليلةٍ وضحاها استطاعت أن تقتنصَ كلَّ شيءٍ بسببِ غباءِ أهلِ الثورة ، وتواطؤِ المجلسِ العسكري الذي أرادَ أن ينفَدَ بجلْدهِ بعد أن تورّطَ في دماءٍ كثيرةٍ وخرابٍ كثيرٍ لا يقلانَ عمّا تورّطَ فيهِ المخلوعُ وعصابةُ السوءِ التي تشاطرُهُ المرحَ والمتعةَ في منتجعاتِ طُرة الآن !!

---

[1] العدد ٣٩- الثلاثاء ٩ سبتمبر ٢٠١٢م.

إنّهُ لمن نكدِ الدّهرِ الذي بكى منهُ زميلي أبو الطيّبِ المتنبّي قبلَ أكثرَ من ألفِ عامٍ أن تجدَ الهتافَ الرسمي للمحظورةِ وتوابعها في القاهرةِ والأقاليم : "ثوّار ... أحرار... ح نكمّل المشوار "!! مَنْ الذي أعطى المحظورينَ صفة الثوّار ؟ هم آخرُ مَنْ نزلَ الميدانَ وأوّلُ مَنْ غادرهُ ، تمامًا مثلَ الذي يدخلُ المسجدَ مع إقامةِ صلاةِ الجمعةِ ويهرولُ خارجًا بمجرّدِ أنْ يقولَ الإمام : السلامُ عليكم ورحمةُ الله!!

وقد لا يصدّقنا القادمونَ بعدَ مائةِ عامٍ عندما يقرأونَ تاريخَنا المليءَ بالبقعِ ، ويجدونَ أنّ أوّلَ برلمانٍ جاءَ بعد أعظمِ ثورةٍ في بداياتِ القرنِ الحادي والعشرينَ كانت أغلبيتُهُ تنتمي إلى جماعةٍ محظورةٍ ليسَ لها الحقُّ في أن تمارسَ عملا سياسيًّا قبلَ أن توفّقَ أوضاعها ، وقد يعتبرُ هؤلاءِ القادمونَ مجيءَ أوّلِ رئيسٍ مُنتَخَبٍ بعد هذهِ الثورةِ المكلومةِ من هذهِ المحظورةِ أيضًا نوعًا من الأساطيرِ التي لا يصدّقُها إلا الخبراءُ الاستراتيجيّونَ الذينَ يدركونَ قسوةَ ما فعلته بنا أيدي المجلسِ العسكري المرتعشةُ التي نالت الكثيرَ من المديحِ والتقريظِ من السيّدِ الرئيسِ في خطابِهِ بمناسبةِ الذكرى التاسعةِ والثلاثينَ لانتصاراتِ أكتوبر !! ذلك الخطابُ الذي يقولُ الخبثاءُ إنّ كلّ الذين حضروه بالاستادِ كانوا من المنتمينَ إلى المحظورة ، ويبدو أنّ وجود رئيس مجلس الشعب المنحل ، د. الكتاتني ـ بلا مُبررٍ أكتوبري أو استراتيجي ـ بين الحضور هو الذي جعلَ الخبثاءَ يقولونَ بهذا ، وكنتُ ـ بحُسنِ نيّة ـ أظنّ أنّ الكتاتني سلّمَ الحتّة البي إم دبليو ، وطلّقَ المنحلّ طلقةً بائنةً وراحَ إلى حيثُ مكانه الطبيعي في أبحاثِ العلومِ النباتيةِ ومكافحةِ دودةِ القطنِ وذبابةِ الفاكهةِ وهذه البلاوي ، إلى أن رأيتُ صورته وهو يسحبُ استمارةَ ترشيحٍ لرئاسةِ حزبِ " الحريّةِ والعدالةِ " المنبثقِ عن المحظورة ، بالتزامن مع تدخّل محمد البلتاجي لدى رئيس مجلس

الشورى ليأخذَ منه مفاتيحَ المجلسِ المنحلّ إذ جمعوا عددًا من أعضاءِ المأسوفِ على حلّه ، ودخلوا المجلسَ بلا مبرر قانوني ليتبادلوا الحديثَ حول كيفية الالتفاف على حكم المحكمة الدستورية الذي منح كلًّا منهم لقبَ نائبٍ سابق ، ووأد أحلامَهم بالعودة للنوم تحت قبة البرلمان مرّةً أخرى !! هذا نوعٌ من الاستهبالِ الذي تحميهِ دولةُ الإخوانِ الابتدائيةُ المشتركةُ بأسوأ مما فعلَ المجلسِ العسكري الذي عاقبَ الشعبَ على قيامِهِ بالثورةِ فسلّمَ البلادَ لمن يتعلّمونَ فيها ألف باء السياسة ، وهو استمرارٌ للاستهتارِ الإخوانجي بالأمّةِ وبالقانونِ وبالسلطةِ القضائية ، واستعراضٌ ممجوجٌ يستفزُّ المواطنينَ ويدفعُهم إلى التساؤلِ عن سرّ صمتِ الرئيس ـ الذي أحبّوهُ برغم أنَّ معظمهم لم يختاروه ـ على هذهِ الحركاتِ المشينةِ والمسيئةِ لكرامةِ الشعبِ وسيادةِ القانون ! إذا كان هؤلاءِ يريدون أن يتآمروا أو يشقّوا جيوبهم ويتباكوا على مجلسهم المنحل ، فليجلسوا في مقهى أو على الكورنيش ، أو في مقرّ المحظورةِ أو يبتكروا أيّ حائطِ مبكى غير حائطِ المجلسِ المحرّمِ عليهم شرعًا الآن .

كانَ كثيرونَ منّا ضد انتخاب الدكتور مرسي في الجولتين ، لم نعطه في الأولى، ولم نذهب في الإعادة ، إلا أننا تعاطفنا معه وأدركنا أنه بالفعل يختلف كثيرًا عن هؤلاء ، وأنه أصبح رئيسًا لكلّ المصريين ، لكنه ترك الحبلَ على الغاربِ للذين يتحدّثونَ باسمِهِ ، وأصبحت ألسنتُهم كالمناجلِ التي تحصدُ ما يزرعه الرجل ـ بصدق ـ في قلوبِ المصريين ، والمحيّرُ هو الوضعُ القانوني لمرشدِ الجماعةِ : بأيّ حقّ يعطي دروسًا أسبوعيّةً في الدينِ والسياسةِ من داخلِ مسجدٍ تابعٍ للأوقاف ؟ هل هو مرشدُ كلّ المصريين ؟ أم مرشد جماعة ما تزال محظورة ؟ المرشد مكانه في أي مقرّ للجماعة ، أما المسجد فلا ، لا هو رجل دين ، ولا هو لكلّ المصريين ، وإعطاؤه

الدروس داخل المساجد هو نوعٌ من اغتصابِ السلطةِ واستعراضِ القوة ، هذا مكان رجال الدين ، وأعني بهم علماء الأزهر وخطباءَ المساجدِ الذين عيّنتهم وزارةُ الأوقاف ، المكان الطبيعي الذي يستطيعُ المرشد أن يفيدَ الوطنَ من العملِ فيه هو مجال الطبّ البيطري ، بأن يشارك في مراقبة العجول الاسترالية والواردات الأفريقية من الحيوانات الحيّةِ ليحمي الغلابة من الأمراضِ والكوارثِ التي نطالعها يوميًا في الصحف ، وقد شطح المرشدُ شطحةً قاسيةً في حقّ الانترنت (الذي كان سببا في خروجهم إلى النور تحت مظلة اللاشرعيّة) ، وجاء السيد الرئيس في خطابه الاكتوبري ليقول : كله مكتوب في صفحة رئيس الجمهورية !! فما ردّ السيد المرشد الذي اعتبر الانترنت كخّة ؟؟

لن أتحدّثَ عن عصام العريان الذي يسحبُ من رصيد الرئيس على المكشوف كلما ظهر أو تحدّثَ أو تثاءب ، ولا عن صبحي صالح المقاتل الذي علم بقيام حرب أكتوبر وهو يتناول الغداء في بيتهم !! ولا عن لاعقي الملاعقِ الذين يسبّحونَ بحمدِ المحظورةِ ويلعنونَ منتقديها ويكفّرونهم علنًا على شاشات القنواتِ الدينيّةِ التي يجبُ غلقها مثلما أُغلقت قناةُ الفراعين وتسببت في الموتِ كمدًا لأكثرَ من عشرةِ ملايين دكر بطّ ! ولن أتساءلَ عن سبب تجاهل السيّد الرئيس لمأساة التأسيسيّة التي قد تكونُ الشرارةَ التي تلتهمُ الأخضر واليابس ، لكنني أكلّمُ نفسي من تكشيرة المستشار الغرياني خصوصًا عندما كان يتحدّثُ عن منال الطيبي واستقالتها التي أحرجتهم جميعًا ، المستشار الغرياني يبدو ملكيًّا أكثر من الملك ، ويظنّ أننا سنأخذُ الدستور بالعافية ، كالحقنة الشرجية ، ويبدو أنهم ـ جميعا ـ يتناسون أن الشعب الذي أسقط دولة المخلوع وأنهى ستين عامًا من الاستبداد والظلم والقهر والفسادِ

ليس بقادرٍ على إسقاطِ حتّة دستور مسلوق، أو مجلس منحل يريدون إعادته إلى الحياة بعد أن أكله الدود وأصبح رميماً !

أمّا أغربُ ما في دولةِ الإخوانِ الابتدائيةِ المشتركة (والتعبير لي ، وتمت سرقته) فهو المدعو محمد البلتاجي ، الذي اكتشفت أنه بلدياتي ، والحمد لله الذي جعلني آخذ مساراً لا ألتقي به فيه ، فذلك الذي ظهر في نهايات الثورة يحاول أن يظهرَ في الصورة ، فيمسك الميكروفون لحمدين صباحي ، أو يهيّئُ المكان للشيخ المستورد ليُلقي خطبة الجمعة من ميدان التحرير ، أصبح البلتاجي الآن متحدّثا لا يهدأ ، وليس لديه مانع من أن يتفوّه على الهواء بألفاظٍ من معجم بيوت الدعارة ، ويحملُ لنا التكشيرة المصطنعة ليبدو قويّا ، وتشعر أنه يخاف أن يبتسم فلا يعرفه أحد ، فإذا ما اضطرته الظروف للابتسام يُخرجُ من جيبه ابتسامةً مُستَعْمَلَةً باهتةً ويرتديها ، ثم يخلعها ويضعها في جيبه ، وهو يمثل مع عصام العريان طرفي المقص الذي يأكلُ ما تبقّى لدى الناس من كيانِ الجماعة إيّاها ، وكلّ الذي يهمهما ـ وأمثالهما ـ ما قاله الشاعر القديم :

يا محنّي ديل المحظورة
موّتني وأطلع في الصورة !!

***

بينَ الشرعيّة الثوريّة والشرعيّة بالتقليّة

موقعة القضاء على القضاء !![1]

في مقالٍ سابقٍ قلتُ لكم إننا في مرحلة تعلُّمِ ركوبِ العَجَل والتكاتك في حديقةِ القصرِ الجمهوري ، غيرَ أنّ ما نراهُ الآن يجعلنا نتمنّى أن نكونَ بالفعلِ قد وصلنا إلى مرحلة تعلُّم ركوب العَجَل ، فها نحن نعيش أزهى عصور الفوضى والارتباكِ إلى الدرجةِ التي جعلتنا مضحكةً للأمم !!

منذ انتهاءِ أجمل أيّامِ الثورةِ في ميدانِ التحرير (٢٥ يناير/ ١١ فبراير ٢٠١١م)، ونحن ـ المواطنين والدولة والمستقبل ـ مثل الكرة التائهة بين أقدام اللاعبين الهواة واللاعبين الحواة !! اللاعبون الهواة قفزوا من حيث لا نعلم ـ ولا يعلمون ـ وشاركوا الحواة في اللعب بلا دراية ولا موهبة ، وعندما خرجوا من الدور التمهيدي ، انصرفوا إلى تشكيل الائتلافات والتحالفات ، وكلّ الكلمات التي آخرها "فات " فتحوّلوا إلى فعلٍ ماضٍ حتى وإن ضمّوا بينهم كثيرين من الشباب الذين كانوا وقود الثورة ، أما الحواة فقد انتهوا إلى فريقين أساسيين هما المجلس العسكري الانتقامي وجماعة المحظورة ، ويبدو أنّ الفريقين قد اتفقا أن يتقاسما النتيجة ، وأن يظلّا معًا حبايب ، ولكن لأنّ كلًّا منهما لا يأمَنُ جانبَ الآخر فقد آثر

---

[1] العدد ٤٠- الثلاثاء ١٦ أكتوبر ٢٠١٢م .

اللعبَ على انفراد .. في الضلمة ، وفي ثقافة الذئاب تسود قاعدة '' اتغدّى بيه قبل ما يتعشّى بيك ''!! ولأن المجلس العسكري غلبان وعلى نيّاته وليس له في أي شيءٍ ولا يعرف إلا كيف يقتلُ الثورة ويئد كلّ الأحلام ويضيفُ إلى أيّامنا السوداء أياما جديدة وخرابا ودمارًا ودماءً تضيع هدرًا وظلما وعدوانا ، فقد صحا هذا المجلس الغلبان ـ فجأة ـ على حزمة خوازيق ، ولم يجد كباره في أيديهم سوى غبار الوهم ودُخان الذكريات والبطولاتِ الوهميّة التي صنعتها الآلة الإعلامية للمحظورة في مرحلة تخدير هذا الكائن الورقي قبل التهامه ، وبعد أن تمّ تشفيره ورفعه من الخدمة آن للمحظورة أن تلحِّنَ ما كتبه الزميل طَرَفَة بن العبد في إحدى مجلّات الحائط بالعصر الجاهلي :

خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري !

ليصبح هذا نشيدها وقانونها ، وعلى المتضرر أن يلجأ إلى القضاء الذي تقاتل المحظورة من أجلِ القضاء على رموزه وشرفائه مستخدمةً في ذلك أسلحةً قضائية مضروبة ومغشوشة ومشمومة ومكشوفة ورائحتها تزكم الأنوف .

سلسلة من الالتفافات والدورانات من أجل إلغاء حكم المحكمة الدستورية العظيمة بإعدام مجلس الكتاتني وشركاه ومنحه لقب المنحل ، خصوصا بعد أن جاءت البداية من السيّد الرئيس ، شخصيّا ، والذي كان قد أقسم على أن '' يحترم الدستور والقانون ''، وبعد أيّامٍ معدودة وجدناه يحاول إحياء هذا الميّت الذي لا يحييه سوى الخالق الأعظم جلّ جلاله ! ولأن الكتاتني لا تهون عليه العِشرة فهو لا يطيق فراق الحتّة الـ '' بي ـ إم ـ دبليو '' ، ولذلك فَقَدَ توازنه وراح يلتف ويلتوي ويدق كلّ الأبواب القضائية من أجل إهانة أم القضاء وتشويه حكمها ، ومع تزايد الصفعات القضائية لأهل المحظورة فإنهم لم يستوعبوا الدرس ولم يحاولوا أن

يتعلّموا كيف يحترمون دولة المؤسسات التي يقاتلون من أجل خرابها وإعادتها إلى عصور ما قبل التاريخ بنوعٍ من الجهلِ ، أو عدم الخبرة ، أو الاستهبال ، فما نراه لا يقلّ في تفاهته عن اختلاف مجموعة من العيال على لعبة الاستغماية ، وما هذه الأشكال والألسنة التي تتحدّث باسم المحظورة في أجهزة الإعلام إلا دليلٌ على أننا نمشي بسرعة الصاروخ إلى الوراء ، ومصيبتنا السوداء أنّهم يتحدّثون باسم الدين ويحاولون أن يكونوا الأوصياء عليه وعلينا ، ويركبهم شيطان الغرور والتكبّر والاستعلاءِ فيرفعون أصواتهم بترابِ الكلامِ ويتفوّهون بألفاظٍ قبيحةٍ وعباراتٍ قذرةٍ ويصغّرون خصومهم ويسفّهونهم ، وكلّ خصومهم على حقّ ، حتى الذين نختلف معهم في أشياءَ كثيرة !!

كانت الصحافة صيدا سهلا وتم إسقاطه بسرعة غريبة (لم أكن أتصوّرها)، ووقعت الصحف الحكوميّة في غمضة عين في قبضة المحظورة لتتحوّل معظم الأقلام إلى أبواق نفاق ، ومنصات دعائية تدافع عن إنجازات السيّد الرئيس التي لم يعلُق في ذهني منها سوى صلواته تحت الحراسة المشددة التي لا أعرف موقف الملائكة الكرام من وجودها وهم يكتبون هذه الصلوات !! كما أصبحنا نتقيّأُ "نهضة " بفعل المقالات الباردة الفارغة للكاتب الكبير ياسر علي الذي أتوقّع أن تكون سببا رئيسيّا في تدهور جريدة "الأهرام "وضعف توزيعها في يوم السبت ، كما أصبحنا ، أيها القارئ المؤمن ، نأخذُ الحقنة الأسبوعية المسمّاة "رسالة المرشد " من خلال صحفنا المنكوبة ، وآخر رسائل المذكور يقولُ فيها : "آنَ الأوان لتحرير الأقصى "!! طاب نحرر مصر الأوّل ، وأكرر : ما صفة هذا المواطن الذي يهبدُ هذه الرسائل البرّمائية التي تنقلها الصحف السقعانة ؟؟ طهقنا من القول إنه يمثّلُ جماعة

محظورة ولا يليقُ أن تسمح له سلطات الدولة بأن يُلقي دروسًا في المساجد ، أو أن يوجّه لنا هذه الرضعات الأسبوعيّة المليئة بالألبان المستوردة الفاسدة ، وقلنا إن أنسب عمل لمكتب الإرشاد هو الإرشاد الزراعي والحيواني (إذ يوجد بينهم علماءُ زراعيون ونباتيون ومتخصصون في البيطرة وعلى رأسهم مرشدهم ، وليس مرشدنا) !!

والغريب ، أخي المؤمن ، أن هؤلاء التقاة أصبحوا يصبّون جام غضبهم على الزفت الانترنت ، وأنا أصبّ جام غضبي عليه أيضا لأنه كان سببا في انخداع الناس فيهم ، وشارك في تمكينهم وركوبهم (وسوف ينزلون ، لا تيأس) لكن استغرابي ـ من هجومهم على النت ـ هو هذا العدد من جيوشهم الجرّارة التي تملأ هذا الملعب الافتراضي بالسفالات والشتائم والاعتداء على حُرمات الشرفاء من المواطنين المخلصين لهذا البلد وحاضره ومستقبله ، جيوش المحظورة على الانترزفت تجعلك تكره اليوم الذي دخلت فيه الكهرباء إلى بلادنا ، أما المناجل التي كتبنا عنها سابقًا فيكفيهم أنهم لن يحصدوا لمحظورتهم إلا ثمار الكراهية (والصناديق موعدنا) ، وسوف يجلسون يرددون قولَ الشاعر الأُموي سيّد بن زعبلّة : " الناس نهضتها السبت والحد ،، واحنا نهضتنا ما وردت على حَد "!!

أرادت القوى الوطنية أن تتملْيَن (تقوم بمليونية) لحساب السيّد الرئيس على وعوده التي لم يجبره عليها أحد ، والمسماة في كتب التاريخ الحديث : "وعود المائة يوم "، ففكر أهل المحظورة في كيفية ركوب هذه المليونية لإفسادها ، وجاءتهم الفرصة على طبق من ذهب بحكم البراءة للجميع في موقعة الجمل !! من حقّ المواطنين أن يعترضوا على الوعود التي لم يحققها السيّد الرئيس (فالمخلوع كان يعمل رئيسا قبل خلعه بثورة هؤلاء المواطنين ، تلك الثورة التي ركبتها المحظورة

وسرقتها تحت حراسة المجلس العسكري)، ولكن ليس من حقّ أحدٍ أن يعترض على أحكام القضاء !!! عيييييييب أيها المراهقون !! لا يوجد حكم قضائي ـ في العالم ـ يحظى برضا الجميع ، فهناك طرفٌ محكومٌ له ، يقابله طرفٌ محكوم عليه ، بالله عليكم هل سيرضى الطرفان ويفرحان ويهللان ؟ القاضي ـ أيها المراهقون ـ يحكم من خلال الأوراق والأدلة ، وعندما لا يجد في الأوراق وأحراز القضية ومشتملاتها ما يدين المتهم فليس أمامه سوى الحكم بالبراءة ، وزمان .. علّمنا أساتذتنا العظماء في كلية الحقوق بالإسكندرية أن إفلات مائة مجرم من العقاب خيرٌ ، ألف مرّة ، من معاقبة بريءٍ واحد ، لكن : كيف يركب المحظورون المليونية ليحوّلوها من محاسبة الرئيس إلى محاسبة القضاء ؟

تصل الدراما إلى أعلى ذروة عندما يتم إقصاء النائب العام الدكتور عبد المجيد محمود ليعمل سفيرا ، بحجة تهاونه في حقّ الشهداء !! هل وكيل النيابة أو القاضي هو الذي يجمع الأدلة ؟ هاتوا مسؤولي الشرطة العسكرية والحرس الجمهوري الذين استلموا مجرمي الموقعة فهم بداية الخيط !! هاتوا المسؤولين بوزارة الداخلية وأمن الدولة الذين دمّروا كلّ الأدلة ، لكن أن تمسكوا في رقبة القضاء والنيابة والنائب العام فهذا جهلٌ وعبط واستهبال وضحك على العقول ، أما إقالة النائب العام بما يخالف الدستور فمصيبة أخرى تضاف إلى سجل محاولات القضاء على القضاء ، وإذا كانت قلوبكم يا أهل المحظورة تأكلكم وتحترق بسبب شهداء موقعة الجمل ، فقد ارتكبتم موقعة أشد وأنكى ، واعتديتم بغباء وقسوة على الذين

يكشفون عوراتكم وشعاراتكم الكذابة وتجارتكم بالدين، فماذا أنتم قائلون ؟ وماذا أنتم فاعلون ؟

بالرغم من أنني لم أعمل في مجال القانون إذ أقسمتُ على ذلك عندما تخطّاني قرار رئيس الجمهورية المنشور في الصحف في ٩نوفمبر ١٩٨٣م عندما لم أجدني بين المعينين بالنيابة العامة ، بالرغم من ذلك فإنني أشعر بفخر لانتصار رجال القضاء الشرفاء في معركتهم الأخيرة من أجل كرامة القضاء وليس النائب العام فقط ، هذه الصفعة لن يمحوها الزمن ولو قالوا إنها جاءت بعد ألف التماس ، هذا الموقف البطولي من مجلس القضاء الأعلى أعطانا الأمل مرّةً أخرى في قدرتنا على الوقوف أمام محاولات التفويت وسرقة الدولة ، وبالقدر نفسه جعلنا نتحسّر على نقابة الصحفيين التي استسلمت أمام واحد اسمه فتحي بمجلس الشورى الذي سينحلّ!!

ولا أجدُ ما أختم به إلا بيتًا من بائية شوقي الطويلة (أوّل أمس ، الأحد ، ١٤ أكتوبر ٢٠١٢م ، كانت الذكرى الثمانون لرحيله) :

عَجِبْتُ لمعْشَرٍ صلُّوا وصاموا

ظواهرَ خَشْيَةٍ ، وتُقًى كِذابَا !!

***

شَخْبَطاتٌ بِرّمائيّة
على ملامحِ الذَّاتِ الأبنــوديّة[1]

" ... أنتَ ستنجحُ لا شكّ..

ستبقي لسنواتٍ سِتٍّ قادمةٍ

إن شاءَ اللهُ تبارَك!

أقسمتُ : ستنجحُ لا شكّ..

وما أنا ممن . إن ذهبَ لينتخبَ . اختارَك!

***

لكأني بكَ يومَ الفوزِ جلستَ.

وأجلستَ بجوارِكَ سمسارَك

وتهيّأتَ لتستقبلَ زوّارَك

***

[1] العدد ٤١ – الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ٢٠١٢م .

وابتدأتْ بالطبلِ طقوسُ الحفلِ :

فهذا الشيخُ عن الأزهرِ يلعبُ بالدُّفِّ

وبالصاجاتِ المطرانُ..

وبالطبلةِ هذا الشاعرُ من أبنودْ

كم طبّلَ قبلَكَ لـ "الساداتِ.."

وكمْ غنّى للثورةِ من قبلُ..

وصارَالآنَ يبيعُ الشعرَ بكيسِ نقودْ! "

هذا الاستفتاحُ ـ أعلاه ـ أجزاء من مطوّلة الشاعر المتفرّد الدكتور حسن طلب "مبروك مبارك "، التي نشرها قُبيلَ إعادة تنصيب المخلوع في الانتخابات الوهمية التي جرت في ٢٠٠٥م ، ونُشرت في صحيفة "القدس "وعدة صحف عربيّة ، ولم يتجرّأ على نشرها في مصر سوى " الدستور "، ثم صدرت القصيدة في ديوان خاص في موقف جريء من شاعر صادق شجاع ، لم تثبت إدانته بوضع رأسه في الرمل أو ممارسة رياضة مسح الجوخ أو تقبيل الأيادي والأكتاف ومسح أحذية مَن يملكون مفاتيح الحظائر والدكاكين !!

اخترت المقطع أعلاه ليكون عُكّازًا أتوكأ عليه في هذه الوقفة التي نتعجّب فيها من مواقف الشاعر الزجّال عبد الرحمن الأبنودي الذي يمثّلُ واحدة من أغرب علامات الاستفهام المستعصية على الإجابة ، فبالرغم من كونه مكشوفًا للجميع ، إلا أنه يجيد القفز واللعب على الحبال وغسيل المواقف والضحك على الكثيرين خصوصا أبناء الأجيال الجديدة المضحوك عليهم إعلاميّا !!

كنتُ من المخدوعين في المذكور وشعره ، ولكنني ـ مع الوقت ـ اكتشفت أنه يتكئ على كثير من التراث الشفاهي للصعيد ، وعلى أعمال ذائعة لمطربين كبار وشعراء غيره ، فنششته مقالا قاسيا بمجلة " كاريكاتير " ـ الله يرحمها ـ في بدايات ١٩٩١ ، فهاجمني كثيرون من حُرّاسه القُزْعُمِلّات الذين لم يقرأوا شيئا من أعماله ، وكان في هجوم هؤلاءِ ما جعلني أتابع أعمال الأبنودي ومواقفه بنوعٍ من الانتباه ، كما أعادوني لقراءة كلّ أعماله السابقة لكي لا أظلم أحدا ، لكنه عاجلني بأغنية رديئة كانت أسوأ بداية لمطربة مسكينة اسمها منال ، ظهرت بها في حفل شم النسيم ـ ١٩ أبريل ١٩٩٣ ـ وكانت هذه البتاعة ـ للأسف المرير ـ من ألحان بليغ حمدي الذي أعتبره واحداً من أهم ملحني مصر وفلتاتها بعد أن ملأ النصف الثاني من القرن العشرين بروائع يصعب حصرها ، ولو لم يلحن سوى " ظلمنا الحب " و"كل ليلة وكل يوم " و"فات المَعَاد " التي غنتها أم كُلثوم لكفاه ذلك ، فساءني أن ينزل من قمم كبار الشعراء عبد الوهاب محمد ومأمون الشناوي وأحمد شفيق كامل إلى كلمات ركيكة رديئة ميّتة تأنفها الأذن ويأباها الذوق السليم ، كانت الأغنية بعنوان " لما مِلت " وكان مطلعها يقول :

لما مِلت ومِلت لي

من يوميها الكون حِلِي

لكن الأغرب والأعجب والذي كاد يجعلني أحطّم التليفزيون أن أجد بليغ يلحن التراب التالي :

يا حبيبي يا ملاكي

ياللي جاي تقول فداكي

إنت ف وجودك وجودي

إنت في هلاكك هلاكي !!

لم أتمالك نفسي ، كغيور على الشعر والأصالة وسمعة بليغ حمدي ، فأعطيتها طريحة تليق بهذا الفعل المشين في العدد ١٢٥ من " كاريكاتير " (٢٨ أبريل ١٩٩٣م) ، وشاء القدر أن تكون هذه الأغنيةُ آخرَ عمل يظهر لبليغ قبل رحيله ، كما أماتت المطربة المسكينة ولم تنجح معها محاولات الإحياء على أيدي ملحنين وشعراء آخرين ، فاختفت وتلاشى وجودها .

في تلك الأثناء بدأ "مهرجان القراءة للجميع "، ولم نندهش لصدور أعمال الأبنودي في بداياته فهذا شيء عادي ولا يثير ريبة الخبثاء أمثالي ، ولكن فوجئنا ـ مع مرور السنوات ـ بتصدّر أعمال المذكور قائمة المهرجان ، وتصدّره قائمة الأعلى أجراً، وأصبحت له ليلة خاصة في معرض الكتاب السنوي ، ثم احتل ليالي قصور الثقافة بهلاهيل السيرة الهلالية بأجور خيالية أيضا ، وتوالت مكافآته من الوزير المزمن فاروق حسني إذ سخّر الأبنودي مقالاته في " يوميات الأخبار" وفي الزوايا الأخرى التي يكتب فيها لمديح مبارك والست والفنان العالمي فاروق حسني ومعارضه ، فكيف لا تتصدّر أعماله مهرجان قراءة فاروق حسني؟ تلك الأعمال التي أصبحت طعاما للفئران في مخازن الهيئة بعدما لم يجد ما يملأ به هذه الإصدارات (نشر جميع ما كتب) فراح ينتج قصصا للأطفال ، وكنت تجد اسمه على الغلاف في حالة ورم غريب وتضخّم رهيب إلى درجة أن أصبح أكبر من العنوان !! ثم جاءته المكافأة الأغرب وهي منحه الجائزة التقديرية في الشعر في إهانة غير مسبوقة للشعر وللجائزة فما يكتبه لا يتعدّى حائط جائزة من قصر ثقافة ، لكن الوزير الفنان أمر موظفيه بمكافأة " الشاعر الكبير " وزيادة في الكرم الحاتمي منحوه جائزة مبارك قبل أن تهدأ حرائق التقديرية (وهو ـ الأبنودي ـ لا يعنيه معنى الجائزة ، ولكن تعنيه

الفلوس) ، وبعد أن وضع وزارة الثقافة (ومنافعها) في جيبه ، استدار على وزير الإعلام الغلبان أنس الفقي، وقام بتلبيسه هلاهيل السيرة الهلالية ليعرضها التليفزيون المصري على جميع قنواته في أوقات متميزة في رمضان ٢٠١٠م ، بكام ؟؟ أنا أعرف ، لكن اسألوه ، كم مشاهدًا تابعها ؟ ولا مشاهد واحد ، وكان يتصل بالفقي خمس مرات في اليوم ـ على طريقة محمد عبد الوهاب ـ ليطالب بالوقت المتميز !

ظلّ الأبنودي لاعباً مطيعاً في ملعب الوزير المزمن ، ولاعبا غريبا في دنيا الإعلام ، فإذا سألوه في صحيفة " الميدان " عن عصر جمال عبد الناصر يرد : كان عصر ابن كلب ، وإذا سألوه السؤال نفسه في صحيفة " العربي " الناصرية قال : كان عصر العزة والكرامة ، وراح يبكي على أطلال الزعيم الخالد ويكتب فيه الزجل الرديء الذي ينمّ عن عجز وبلادة ! كما وصل به الأمر إلى أنه لم يعد يرى سواه على الساحة بالرغم من أنه لو جلس على قرافيصه ومعه أعماله الكاملة في كفة وقصيدة واحدة لأحمد فؤاد نجم في الكفة الأخرى لرجحت كفة نجم وأطارت المذكور في الهواء ، فنجم مقاتل صادق وشاعر حق ، وهو ـ مع الشيخ إمام ـ صوت المقهورين وأنين مصر العظيمة لا مصر الإعلامية التي أضاعوا ملامحها طوال ستين عاما سوداء ! ولأنه لا يرى سوى نفسه فإنه يسمّي أعداءه ومنتقديه : الصراصير ، وإذا سألوه عن رأيه في الشعراء الشباب يقول : ليه ؟ هوّ أنا مُتّ ؟ وعندما اعتمد اليونسكو أبحاث الشاب محمد عبد الحافظ في السيرة الهلالية ، هدد الأبنودي بإحراق ما عنده ، وما عنده هو مجهود جابر أبو حسين وشركاه ، واسألوا عطيات الأبنودي ... الشاهدة الصادقة التي لا تخشى في الحق لومة لائم !!

والمواطن هذا لم يكتفِ بنفي وجود الأحياء بل لا يريد أن يكون في تاريخنا سواه أيضا فراح يقاتل من أجل أن يثبت أن ابن عروس تونسي وليس مصريّا ، ولأنه ـ الأبنودي ـ كان واحداً من ندّابات هزيمة يونيو فإنه لا يطيق سيرة عبد الرحيم منصور لأنه مغنّي النصر المتفرّد ولأنه بلدياته (قناوي مثله) ! وعندما جاء انتصار أكتوبر كان الأبنودي خارج البلاد ويحاول تلبيس الموضوع لأمن الدولة الذي أصبح الحيطة المايلة الآن لكل المدّعين !!

كان شعراء الأغنية ـ في ١٩٦٧ ـ ينامون في مبنى الإذاعة ويكتبون بلا مقابل ، إلا شاعرًا واحدا تساءل : هو احنا حنكتب ببلاش ؟ متناسيا بحار الدماء التي تراق على أرض المعركة ، والوطن الذي يفقد أجزاء من جسده ، وأستغرِبُ للمهللين لأغنية "عدّا النهار "وهي تحمل في ثناياها " وبلدنا ع الترعة بتغسل شعرها " هذا الوصف الذي يوحي بالقذارة ، قذارة الانحلال والتفكك ، فمن تغسل شعرها على الترعة ليست أبدا ـ ولن تكون ـ محترمة في أعين الآخرين !

ظل الأبنودي يسبّح بحمد مولانا المخلوع وقرينته ووزيرها المفضّل ، ولما ذهب للعلاج على نفقة الدولة عدة مرات ـ لم يفعلوها مع عبد الوهاب المسيري وفردة حذائه تعادل قبيلة من الرجال ـ عاد الأبنودي في ٢٠٠٨ وعندما سُئِلَ في لقاء تليفزيوني عن إحساسه عندما اتصل به السيد الرئيس للسؤال عن صحّته كان جوابه : حسّيت ان ابوي ماماتش !! ، ومرت الأيام وقامت ثورة يناير وقفز الأبنودي وركب الموجة الرائجة ببتاعة زجلية اسمها " الميدان " قفز بها إلى هيئة الكتاب ونال عنها جائزة و... وو..وو .... إلخ ، وأصبح متحدّثا باسم الثورة والثوار ، وفي يقيني أنه كان يجهز بتاعة زجلية مضادة يمدح فيها مبارك وعياله

ومراته وأمن دولته لو فشلت الثورة ، وكان حصاد الحالة الأبنودية العجيبة أن أصبح له حضور يومي في صحيفة ''التحرير '' يكتب فيها مربعاته على نسق ابن عروس الذي ينفيه ، وعلى نماذج عبد الستار سليم وعفاريت قنا ، وهي ـ مربعات الأبنودي ـ من أسوأ ما ابتلتنا به ''التحرير'' فلو عقدنا مقارنة بينها وبين التبوّل اللاإرادي لغضب منّا التبوّل اللإرادي واعتبرها إهانة ، كما يصر الأبنودي بها على استعمال اسمه الوارم من أغلفة كتبه بمهرجان ''القراءة للجميع ''والأحرى أن يُكتَبَ اسمه عليها ببنط ٩ وتوضع صورته بالمقلوب ، الحسنة الوحيدة أنه بدأ يستفيد من تجارب أشبال التحرير أسامة عبد الصبور وأحمد عمار وأشرف توفيق ، وبدأ يكتب في أبحر شعرية في حياته ما لمسها ، لكنه ـ للأسف ـ يقتلها بكلمات مسكينة تجاري ما يحدث في الشارع العام ، وهي عملية ابتزاز ميؤوس منها بعد أن نجح في أخذ كل ما يريد ، وبالرغم من كل ذلك يدّعي الفقر والحاجة في كل حواراته بصورة تهين كلّ مَن ينتمي إلى معسكر الشعر !!

هو ـ ومعه رفيقه في الكفاح الغنائي المضروب عمّار الشريعي ـ من عجائب الثورة السبع ، سأتناولهما معًا في دراسة طويلة بعنوان '' تحت السّجر يا وهيبة '' ، ولن أبالي بقُزْعُمِلات الإعلام المغيّبين ، ولن أخاف إلا الله ،، وكلّ ما أشك فيه ـ إلى درجة كبيرة ـ أن نجد المذكور '' بيلعب مع الإخوان '' !!

***

تعلَّمُوا الدَّرسَ من باخوميوس !![1]

كان السابع عشر من مارس ٢٠١٢م يومًا فارقًا في حياةِ المصريينَ جميعًا لا المسيحيينَ منهم وحدَهم ، إذ فُجِعَ غالبية أبناء هذا الشعب بنبأ رحيل البابا شنودة الثالث الذي كان نموذجًا للوطنيّة والعطاءِ الإنساني اللامحدود، ولذلك كان الحزن تلقائيًّا وصادقًا ، وأظهرَ من المصريينَ أرقى مشاعرهم في براءتها ونقائها ، ورأينا الآلاف من المسلمين المصريين يضعونَ صورة البابا شنودة على صدر صفحاتهم بالموقع الشهير الـ " فيس بوك " مطرّزةً بالآيتين الجليلتين اللتين نودعُ بهما موتانا المسلمين : " إنّا لله وإنَّا إليهِ راجعون " ، و" يا أَيَّتُها النَّفسُ المطمئنّةُ ارجعي إلى ربّكِ راضيَةً مرضيَّةً فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي"صدقَ اللهُ العظيم !!

بتلقائية شديدة لم يستطع المسلمون الأنقياءُ من أبناء هذا الشعب أن يفرّقوا بين رأس الكنيسة المسيحية وبين" الغاليين " من أعزّ الأهل والأقارب عندما يرحلون، وازدحمت الشوارع بمئاتِ الآلاف من المسلمين حول الكاتدرائية والكنائس الكبرى يشاطرون إخوانهم المسيحيين الأحزان في هذا الموقفِ الجليل ، بالرغم من أن البابا ظلّ يعاني تحت وطأة المرض في سنواته الأخيرة ، وكثرت سفرياته إلى الخارج لتلقّي العلاج ، وكان احتمالُ الموت يطلّ برأسه بين الحين والحين ، وعندما

[1] العدد ٤٣ – ١٣ نوفمبر ٢٠١٢م.

حدثت الوفاة انصهر الجميع كأنهم روحٌ واحدة ، يودّعون رمزاً مصريّا كان ـ وسيبقى ـ اسما كبيرًا في كتاب الوطن وتاريخه ولو كره الأغبياءُ والمتعصّبون .

وكما كان الحزنُ كبيرًا وعميقًا كان الخوفُ كبيرًا ومُريعًا أيضاً ، فالبلاد تسبحُ في دوّامات الفوضى والغوغائية والاستهبال واللامبالاة ، وتتخبّط في ظلمات الفتن والمكائد وتتمزّق بين أنياب الصائدين في العكر الباحثين عن مصالحهم الشخصية ولو كان على جثّةِ الوطن ومستقبل أبنائه ، وكأن المخلوع لم ينخلع ،دولةٌ بكاملها ترقصُ في عُرسِ الفوضى على طبول مجلس عسكري مسكين عديم الخبرة يعزف بعشوائية لا مثيل لها بمصاحبة فرق عشوائية مثله قادمة من ظلمات المجهول تحمل الحقد على المجتمع ، وتغلي وتفور بروائح الخبث والكراهية للآخر ، فاتحدت على رقابنا مقصّات الهواة والخبثاء في آن واحد ، وضاعت الثورة تحت موائد الخداع والتواطؤ ، وتبدد الأمل في أيةِ بارقةٍ تمضي بنا إلى الأمام ! ولأن البابا شنودة كان رمزًا للهدوء والحكمة ، فقد جاء الخوف من فراغ مقعده عارمًا وعميقًا خشية أن يصل الانفلات إلى الكنيسة وينفرط عقد المسيحيين في دوامة الانفلاتات التي يعجّ بها الشارع المصريّ والتي لم يهتد أحد إلى تفسيرٍ لها وكأنّ إبليس ـ بشحمِهِ ولحمِهِ ـ هو الذي يخطط ويدبِّرُ ويُشْرِفُ ويديرُ ويشارك في ارتكابِ المذابح وإعدام الأدلّةِ والشهود .

كان القدرُ رحيمًا بالمصريين وجاء بحكيمٍ عظيمٍ في اللحظة الحاسمة وهو الأنبا باخوميوس ، الرجل المفعم بالعقل والحكمة والهدوء والرزانة ورجاحة الفكر، وفوق ذلك كلّه هذا الترفّع والزهد في المناصبِ وبريق الأضواء ، جاء الرجلُ وكأنه يرتدي البابا شنودة قلبًا وقالبًا ، وبدا صبورًا قليل الكلام لا يضعُ

حرفًا إلا في مكانه ، ومع الوقت بلغ حبّ المصريين جميعا له بما يليق أيضا برمزٍ مصريٍّ عظيم ، واتحدت أمنيات المسلمين والمسيحيين في أن يكون هذا الرجل بابا الكنيسة المصريّة ، ثمّ تحرّك عدد من الأساقفة تحرّكا واقعياً على الأرضِ وطلبوا منه تحقيق رغبة الشعب في أن يكونَ البابا ، فاعتذر برشاقة وأعلن أنه سيكمل رسالته في الفترة الانتقالية حتى اختيار البابا الجديد وتسليمه أمانة الكنيسة ، ثم يعود إلى مركزه القديم ليواصلَ دورَهُ ولن يبقى بعدها يومًا واحدًا.

لم يكن الأنبا باخوميوس ديكتاتوراً مستبدّاً برأيه ، كان يرجع إلى المجمع المقدّس في كلّ الأمور المهمة حتى يكون الرأي جماعيّا ، وربما كان تاريخه الإداري ـ الموازي لتاريخه الروحي ـ من أهم دعائم نجاحه في تجاوز الفترة الانتقالية للكنيسة بنجاح (فترة انتقالية للكنيسة داخل فترة انتقاليّة للدولة) ، فقد بدأ مسيرته الروحية وهو في الثالثة عشرة من العمر ، وفي زمن قياسي تجاور دوره القيادي والإداري مع الدور الروحي ، وكان قربه من أوجاع الناس ومشكلاتهم قد ساعده على وضع حزمة من الأسس أو المبادئ التي تصلح للتطبيق في كلّ زمان ومكان وليس بين رعايا الكنيسة فقط ، ينادي الأنبا باخوميوس بألا يُحرَمَ جائعٌ من طعام ، وألا يُحرَمَ مريضٌ من علاج ، ولا شاب أو فتاة من زواج ، ولا طالبٌ من تعليم ، ولا معاقٌ من إعالة ، ولا عاطلٌ من عمل ، ولا سجينٌ من رعاية ، ولا مؤمنٌ من إيمان ، وألا تُحرَمَ خدمة روحية من إقامة ، وألا يُحْرَمَ إنسانٌ من مأوى . هذه المبادئ الإنسانية لا يراها إلا ذوو القلوب الرحيمة ، ولا يقدر على تطبيقها إلا ذوو العزم من الرجال ، ولذلك خصص الأنبا باخوميوس يوما في الأسبوع لأصحاب الشكاوى من رعايا الكنيسة ، ولم يكن يغلق بابه في وجه أيّ طارق ، وظلّ قابضًا على الجمر متغاضيًا

عن كلّ بريق للمنصب ، غاضًا طرفه أيضا عن كلّ الانتقادات والأقاويل التي ينثرها الآخرون هنا وهناك ، وعندما تم فتح باب الترشّح للكرسي البابوي ، أدار العملية بحياد وحكمة وعدالة من بدايتها إلى نهايتها ، وفي الرابع من نوفمبر ٢٠١٢م بدا وكأنه يحتفلُ بعدة أعيادٍ في لحظةٍ واحدة : أن وفّقه الله في قيادة سفينة الكنيسة في هذه الفترة العصيبة ، وأن نجح في إدارة عملية اختيار البابا الجديد بامتياز ، وبدا ، وهو يعلنُ اسم الأنبا تاوضروس ، وكأنّه فَرِحٌ بانتهاءِ مهمّته هو ، كان البياضُ الذي يطرّزُ المكان يشي بالفرحة والخروج إلى بر الأمان ، وجاء الأنبا تاوضروس وكأنه امتداد لأطيافِ سابقيه وفي مقدمتهم البابا شنودة والأنبا باخوميوس ، ولذلك عمّت الفرحة كلّ الحواري والشوارع والميادين والبيوت إلا مَن لاذوا بشرنقاتهم وأغلقوها على أنفسهم ! وكانت الفرحة أكبر وأعمّ ولم تفرّقْ بين مسلمٍ ومسيحيٍّ عندنا في محافظة البحيرة ، بوجه خاص ، لكونها موطن خدمة الأنبا باخوميوس والبابا الجديد الأنبا تاوضروس الثاني الذي جاء يوم اختياره في يوم عيد ميلاده في مصادفة تستحق الفرحة والتفاؤل بها .

ضرب الأنبا باخوميوس المثلَ الأعلى للكبار ، فعندما تكون كبيرا يكون من العيب أن تأتي الأفعال الصغيرة ، من العيب أن تتكالب على منصب أو بريق ضوء أو منفعة خاصّة آنية تضعك في سلّة واحدة مع الخونة والكذّابين والمزيّفين والمتاجرين بالشعارات الرنانة من أجل تخدير الشعب لتسهل سرقة حاضره ومستقبله وتشويه ماضيه ، كان بإمكان الأنبا باخوميوس أن يميلَ مع إلحاح البعض ويقبل ويجعلهم شمّاعة جاهزة للرد على الآخرين ، لكنه آثر أن يأخذ قراره من قرارة روحه وضميره ، ظلّ صوته مرآةً صادقةً لهذه الروح وهذا الضمير ، ليقول إن

الكذب والخداع مرفوضان من أيّ رجل ، فما بالنا لو حدثا من رجل دين ، أي دين، وربّما جاءه الرد العملي سريعًا على ما أسداه إلى زملائه وتلاميذه ورعايا الكنيسة المصريّة ، إذ لم يعترض أحد من المرشّحين ، كما سارع الأنبا رافائيل والقمص رافائيل أفا مينا (اللذان وصلا إلى القرعة الهيكلية مع البابا الجديد) إلى تهنئته والإعلان عن سعادتهما بهذا الاختيار وقالا إنهما يضعان نفسيهما في خدمة الكنيسة ورهن إشارته لمعاونته في كل ما يحتاج إليه من أيٍّ منهما . هذه الروح هي التي تقود إلى الأمام وإلى الأمان ، روح بعيدة عن الخراب النفسي وأمراض الحقد وأغلال الضغائن ، وليتنا نتعلّم الدرس ونعيه .

بقدر ما كان حزن المسلمين يوم رحيل البابا شنودة جاءت الفرحة طاغية في يوم ميلاد البابا الجديد الـ ١١٨ للكنيسة المصرية الرائدة الأنبا تواضروس الثاني ، وفي الوقت الذي أهنّئُ فيه كلّ إخواننا المسيحيين وأتمنى معهم كلّ الخير لوطننا بمسلميه ومسيحييه ، فإنني أطالبهم بالكفّ عن الشكوى فالهمّ مقسومٌ علينا بالتساوي ، وإن كانت هناك مشكلات خاصة وعويصة فلنصبر عليها ونتركها للحكماء والعقلاء ، كما أرفض ترديد نغمة "الأقلية " التي تصيبني بالعصبية والنرفزة كلما سمعتها أو قرأتها ، فالمسيحيون ليسوا أقلية ، ولا أراهم ـ ولم أشعر ـ أنهم كذلك ، وسوف أُسْقِطُ من نظري كلّ مسيحي يخرج علينا ليقول إنه سيهاجر ، الذي يقول مثل هذا الكلام لم يشعر بقيمة الوطن ولا طعم الانتماء إلى ترابه ، أما الذي ذاق طعم الانتماء الحق فإنه يدفع عمره ثمنا لذرةٍ من ترابه ولا يستسلم مثلما تستسلم الأسماك الصغيرة لتيارات الموج القاسية ، ومن كل قلبي أدعو الله أن يمنّ علينا باختفاء القبلات والأحضان الوهمية بين رجالِ الدين (الإسلامي والمسيحي)

كلّما ظهرت مشكلة صغيرة أو كبيرة ، طهقنا ومللنا هذه المشاهد الكاذبة الموروثة من عصور النفاق والكذب ، ننادي بأعلى صوت بضرورة تطبيق القانون على الكبير والصغير ، لا فرق بين مسلم ومسيحي ، سيادة القانون والمساواة في حق التقاضي وتنفيذ الأحكام (على رقبة التخين) هي الطريق الأمثل لقتل المشكلات في مهدها ، لكن الشعارات والأحضان والقبلات والصور التذكارية وموائد الوحدة الوطنية فلم تطفئ لنا ناراً ولم تحلّ لنا معضلة .

أدعو الله لمصرنا الحبيبة بالتقدم والازدهار والرفعة بأيدي كلّ أبنائها الأوفياء مسلمين ومسيحيين ، وأدعو كلّ المتكالبين على المناصب والكراسي وحرامية المواقف الذين ينصبون على الشعب الغلبان وينهبون مستقبله أن ينظروا للأنبا باخوميوس ويتعلّموا ويتكسفوا على دمّهم ، هذا ..... لو كان عندهم دمّ!!

***

الطبخة مشمومة ، والشارع قرفان !![1]

" وكمْ ذا بمصرَ منَ المُضْحِكاتِ
ولكنَّـهُ ضَحِكٌ كالبُكا ." !!!

لو لم يقلْها الزميل أبو الطيّبِ المتنبّي (رحلَ عن هذه الفانية قبلَ ألفٍ وسبعٍ وأربعينَ سنة) لاجتهدتُ حتّى أقتربَ من المعنى ، لكنه أراحنا وارتاح قبل أن يرى ما نراه ، ولو امتد به العمر وطالت إقامته بمصرَ وأوقعه حظّه السيِّئ في إحدى الحفر التي نتدحرجُ فيها لفرّ عائدًا من حيث أتى سيرًا على الأقدام غير عابئ بما يلاقيه شعبه المطحون بطواحين الفتن التي زرعها الأمريكان في أرض العراق !!

ولو كان الشهداء الذين بذلوا أرواحهم فداءً لمستقبل مصر ، ورحّبوا بالموت مبتسمين من أجل أن يخلعوا جذور الاستبداد والطغيان التي ضربت في أعماق التربة المصرية ، لو كانوا يعلمون أن تضحياتهم ستُفضي إلى ما نحن فيه الآنَ لارتضوا أن يعيشوا حُرّاسًا لكرسي المخلوع ولحرامية نظامه وكلابه السعرانة ، بدلاً من هذه الفوضى وهذا التخبّط وكلّ ألوان التخلّف التي أتحفنا بها الهواة من أجل إعادة مصر ـ صانعة التاريخ ـ إلى عصور ما قبل التاريخ !

حراميّة الثورة أشدّ جُرما وخسّة من حرامية النظام المخلوع ، والذين قاتلوا من أجل أن يقتلوا الثورة في مهدها أشدّ غدرًا من القنّاصة الذين اصطادوا أجمل ورود

---

[1] العدد ٤٤ – الثلاثاء ٢٠ نوفمبر ٢٠١٢م .

الميدان ، والذين تواطأوا وأخفى كلّ منهم جزءًا من الثورة في ملابسه الداخلية هم اللصوص وشيوخ المنصر الأخطر من حرامية مبارك الذين اكتفوا بسرقة عدة مليارات من الدولارات وعدة ملايين من الأمتار من أرض الوطن الذي يُستباح الآن من كلّ جانب ويُباعُ حاضره ومستقبله في مزاد رخيص !!

الهواة الذين ركبوا ونصّبوا أنفسهم متحدّثين باسم الثورة شركاء في الخيانة وبيع دماء الشهداء ! الإعلاميون الذين قفزوا من حضن المخلوع ومراته وعياله وزبانيته وبطانته إلى مربع الثورة يستحقون أن يُجلدوا على ألسنتهم ويُسحَبوا على وجوههم في مياه المجاري الطافحة في كلّ شوارعنا الآن !! الأدباء والفنانون والكتّاب الذين لحسوا جوخ المخلوع وشفطوا خزائن عصره الميمون يستحقون التجريس على ظهور حمير عرجاء تزك بهم في الحواري والميادين والشوارع وفي القرى الجائعة مع قيام الأطفال بتوبخيهم بكلماتٍ لم تكن مُستعملةً في العصر القديم (طه حُسَين) وما تيسّر من الحركات القبيحة !!

المجلس العسكري ، الراعي الرسمي للخراب ، هو ليس الجيش المصري ، المجلس مجموعة من الإداريين الفاشلينَ يتحمّلونَ مسؤولية الإدارة بأخطائها وحسناتها ، أما الجيش المصري فخارج إطار النقد ، وهو ـ وسيبقى ـ فوق رؤوس الجميع ومحل الاحترام والاعتبار والتقدير . مجلس الهواة العسكري ـ سأظل أصرخ طالبًا محاكمته أو محاكمتي ـ أدار الدولة بعشوائية ـ تحدّثني نفسي الأمّارة بالسوء أنها لم تكن عشوائية بقدر ما كانت مقصودة ـ من أجل وأد الثورة أو إيقاف نموّها ، وهناك علامات استفهام لا حصر لها لا مفر من الإلحاح المستمرّ للإجابة عليها ، كما أن المجلس يظلّ مسؤولا ـ جنائيًّا ـ عن كلّ الدماء التي أريقت من لحظة إعلان تخلّي

المخلوع أو المُتَخلِّي وترك الدولة لهذا المجلس البائس ، فإذا كان القضاء قد أدان مبارك والعادلي (فقط) عن جريمة قتل الثُّوّار خلال الأيام الثمانية عشرة ، فإن الحكم ينسحبُ على مَنْ أداروا بعد تلك الأيّام ، ويُضاف إلى ذلك كلّ هذا الضياع الذي ترتب على قراراتهم وتصرّفاتهم المرتبكة وعلى رأسها الإعلان الدستوري الذي أصابنا ـ مصر ـ بالشلل التام فقد تحوّل إلى مفرخة تفقس كلّ صباح عشرات المساوئ التي لا طاقة لنا بها !

وإن كانت المُضحكات المبكيات التي رصدها المتنبّي وهو تحت الترابِ لا تنتهي ، فإن أغرب نكتة هي أن يتحدّث الإخوان ، وهم جماعة محظورة ، باسم الثورة ، وتأبى العجائب أن تتركنا نهدأ فتلاحقنا بكلّ جديدٍ مدهش فيصبح الإخوان أغلبية في البرلمان المغشوش ، بعضهم دخل البرلمان بقناعة الجمهور ، والبعض راح محمولاً على الزيت وأكياس السكر والأرز منتهية الصلاحية ،والبطاطس المرتجعة من التصدير ، أما الذين ركبوا أنابيب البوتاجاز فكانوا أسرع وصولا من الآخرين ، غير أنهم تناسوا فضل المجلس العسكري الذي سمح لهم وساعدهم وأباح لهم سرقة الأنابيب من الشعب ليعيدوا الضحك بها على الشعب (والصورة تتكرر الآن) ! ومن غرائب تلك العجيبة أن يلد لنا هذا المجلس المنحل (اللغة هي التي تقول إنه منحل ، ولا دخل لي) جمعية تأسيسية لسلق الدستور بتشكيلٍ عجيبٍ غريبٍ (من بركات سيدنا المجلس العسكري أيضاً) ، يسمح هذا التشكيل للأعضاء الحاصلين على توكيل التعامل باسم الإسلام أن يفرضوا علينا أيّ دستور يرونه ، بينما تقف القوى المدنية والليبرالية والعلمانية (داخل الجمعية) وقوف المتفرّج ، وتبلغ المهزلة منتهاها عندما نرى كلّ طوائف المجتمع ضد هذا

الشيء المسلوق فرائحة الشياط التي تتسرّب من المسوّدات التي تُطرحُ إعلامياً أو تتمشى في ظلمات الانترنت تصيبنا بالغثيان ، لا أقول من الركاكة وضعف اللغة وتهافتها واهترائها ، ولكن من الثرثرة الزائدة واللت والعجن ، ثم المضمون الفارغ أو القاتل ، الفارغ الذي يشبه ما قاله الشاعر القديم عادل إمام في مسرحية " شاهد ما شافش حاجة " : "دي كانت رقّاصة .... وبترقص "!! والقاتل هو ما يتعلّق بتكتيف الحريّات والتضييق على عباد الله في كلّ شيء تحت ستار الأخلاق ومبادئ الدين والشريعة ، وكأنهم يضعون دستورًا لدولةٍ كافرةٍ قادمةٍ من ظلماتِ الجاهلية الأولى قفزا إلى العصر الحديث على أيدي هؤلاء الذين ورثوا الثورة أو وجدوها في حجورهم وهم نائمون في ظلال الوهم !!

أتسكّعُ بين الفضائيات والصحف ومنتديات الانترنت ومواقعه ، وأقرأ الشارع العام فلا أجد إلا طوفانا من الغضب والكراهية ورفض هذه الجمعية بمَن فيها وما طبخوه ، العمال يرفضون ، الفلاحون ، المعلّمون ، الأطباء ، المهندسون ، الرياضيّون ، العواطلية ، ربّات البيوت ، باعة الأنابيب والسكر والزيت والبطاطس، الفلول ، الليبراليون والعَلمانيون والإعلاميون وكلّ مَن ينتمي إلى طائفة الكفّار (حسب تصنيف بعض متحدّثي الجمعية)، الوفديون الأصليون ، الأحزاب الجديدة كلّها ، المسلمون والمسيحيون ، الأرض والنهر والشجر والطيور والأهرامات وأبو الهول .... إلخ ، إلا بعض البعض من كلّ هذه الطوائف ، ثمّ يخرجُ علينا رئيس الجمعية متجهّمًا مكفهرًّا عابسًا رافضًا كلّ رأيٍ أو نقدٍ أو اختلاف، وتراه يتحدّث بغضب ويتساقط منه الكلام فتشعرُ أنه يحملُ على كتفيه هرمين من الثلاثة ، وأنه ـ وحده ـ منوطٌ به تقرير مصير هذا الشعب الغلبان

المغلوب على أمره، والذي لم يبلغ سن الرشد بعد !! كلّ هذا اللغط ، وكلّ هذا الرفض ، ورئيس الجمعية وأعضاؤها يصرّون على استمرار الطبخ ! هم مدركون أنهم يصنعون أكلةً مشمومة ومُسمّمة ، لا تسمن ولا تغني من جوع ، هي مثل الحمل الكاذب أو الجنين المعيب الذي يولد ميّتا ، لكنهم يواصلون ويضاعفون لهيب النار فينبعث الشياط أكثر وأكثر ولا يعيرون الرفض الشعبي اهتماما ، ولا يضعون غضبته في الاعتبار ! نزيف مستمر من الجهد والوقت والمال في أشياء خارج المستقبل وخارج الزمن ، مشاورات ومحاورات ومناورات واستضافات واستفاضات ، وفي السرّ يكتبون ما يريدون وكأننا سنشربه مثل دواء الكحة أو سيحقوننا به كالحقن الملوثة التي أورثتنا الأمراض المستعصية ! أناس يقفون ضد الشارع العام الذي لم يعد يؤمن بالبطاطس والسكر والزيت وأنابيب البوتاجاز ، الشارع الذي أفاق وخرج عن الطوق لن يبيع إرادته بالرشاوى المقنّعة ، ولن يرهن مستقبله في سجن الشعارات الرنانة الفارغة التي ذاق مرارتها في الستينيات (آآآآآآآآه،، وما أدراك ما الستينيات)، هذا التخدير والتهديد والتخويف بجهنم الحمراء والعياذ بالله لم يعد يهز شعرة في أذن أي مؤمن يعرف الله حقّا ويراه في ضميره ويراعيه في أعماله وأقواله ، جهنم الحمراء ، وبئس المصير ، للكذّابين والمنافقينَ والشتّامينَ الذين يسبّونَ الناس ويكفّرونهم وسيّئي الأخلاق والمُرائين والراشينَ والذين يأمرون الناسَ بالبرّ وينسونَ أنفسَهم ولا تطابقُ أفعالُهم أقوالَهم...

وإذا كان وكلاء الإسلام في الجمعية المذكورة يقاتلون من أجل سلق الدستور في مياه حمضانة وعمل فتّة عليه يطعمون بها الشعب الغلبان قبل صدور أحكام قضائية لتحويلها إلى جمعية منحلة مع المجلس المنحل الذي سقاناها ، فما الذي يجبر

الأعضاء الآخرين (المدنيين أمثالنا) على الاستمرار ؟ الكنيسة أعلنت الانسحاب ، أهلاً وسهلاً ، بينما أعلن المدنيون التجميد (حتى كتابة هذه السطور) فهل يريدون الاستمرار كمراقبين حتى لا يضع لنا الآخرون شطة زيادة أو سمّ فار في هذه الطبخة ؟ تسعون في المائة من القوى الفاعلة ومن طوائف الشعب أعلنت رفضها (واستحلفت) للدستور وللإخوان وتصرّ على قول : لااااااا ، واحسبوها مرة أخرى: أنا، والفلول والمسيحيون بالكامل ، والليبراليون والعلمانيون والفنانون..... وكل مَن ينتمون إلى فسطاط الكفرة ـ طبقا لتصنيف اتحاد وكلاء ديننا الحنيف ـ يقفون ضد هذه الجمعية وطبختها المشمومة ويصرخون : مش واكلين ، فلماذا ، أيها الأعضاء المدنيون ، تستمرون في هذه اللعبة ولا تقفزون من هذه السفينة المثقوبة المحكوم عليها بالغرق ؟ هل هناك مقابل مادي ، بدلات ومنافع ، أو مغريات تعادل بيع السمعة وملء سِيَرِكم الذاتية بالبقع والثقوب ؟ كثيرون منكم ، أعرفهم معرفة شخصية ، أكبر من أي إغراء وأضخم من أي صيتٍ مغشوش أو مشموم ، يجبرونني الآن على إعادة قراءتهم من جديد استعدادا للكنسلة والتدليت من الذاكرة ومن المستقبل!!

كان من الواجب أن نحترم بلادنا ونفي لدماء الشهداء ، لكننا وقعنا في أيدي الهواة الذين يتعلّمون فينا ، ويظنونَ أننا سننام ونستسلم ، الدائرة دائرة ، دستور مرفوض مقدّمًا ، وإذا نجحتم في التزوير والتفويت فالثورة جاهزة مرّة ـ ومرّات ـ أخرى ، يعني ـ باختصار ـ طبختكم المشمومة ..... اشبعوا بيها !!!

***

صَرْخَةٌ في قلبِ المأساة :

صوّتي يا تهاني ..

ضاعت أغلى الأماني !![1]

إذا كان الدكتور عبد المجيد محمود ـ النائب العام المُقال ـ قد دخلَ التاريخ باعتباره جبلاً ثقيلاً لم يتزحزح بقرارٍ جمهوري ، وظلَّ خلعُهُ شاقًّا ومُضنيًا ، واستوجبَ عملية جراحيّة ـ بدون بنج ـ وهي إصدار إعلان دستوري (باطل ، إلا أنّه حقق المُراد) ، فإنّ السيّدة تهاني الجبالي قد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، إذ تمّ تفصيل مادة على مقاسها في مشروع الدستور (ذات نفسه) ، ولم يكن يتبقّى سوى ذكر اسمها رُباعيّا ، مع تاريخ الميلاد ومحلّ الإقامة !

غيرَ أنّ المأساة لم تقف عند حدّ قطع الطريق على المستشارة المذكورة ، ولكن أصيبَ معها سبعةٌ آخرونَ ـ أبرياء ـ أبرزهم زميلها المستشار حاتم بجاتو ، لكنّها ستظلُّ بطلةَ الأفيش المزمنة على شاشاتِ التاريخ القضائي والدستوري ، وسوف توضعُ إلى جوار كثيراتٍ من أيقونات الحِراك المصري مثل كليوباترا وأوزوريس ونفرتيتي وشجرة الدّرِّ ... ، ويبدو أنّها موعودة بإثارة اللغط والضجيج حول كلّ خطواتها ، بالرغم من أنّ تاريخها يشهدُ لها بالتفوّق ، والمناصب التي تبوّأتها تشرّفُ

[1] العدد ٤٦ – الثلاثاء ١١ ديسمبر ٢٠١٢م.

كلّ مصري ، والأوسمة والدروع التي حصلت عليها تعادل حمولة سيارة نقل بمقطورتين ، لكنّ سيئتَها الكبرى أنها محسوبة على "شجرة الضُّرِّ "، امرأةِ المخلوع، التي جاءت بها من معسكر القضاء الواقف ، كمحامية ، لتصبح أوّل قاضية في تاريخ القضاء المصري ، وليس كأية قاضية إذ قفزت رأسًا إلى أعلى هيئة في بلادنا وهي المحكمة الدستوريّة العليا !

بدأت تهاني الجبالي ، المولودة بمحافظة الغربيّة في العام ١٩٥٠م ، حياتها العملية بقسم الشؤون القانونيّة بجامعة طنطا ، لكنّها لم تُكمِل المسيرة هناك وقدّمت استقالتها لتعملَ بالمحاماة ، وبسرعة البرق تقافز اسمها إلى الأسماع ولمع مصريّا وعربيّا ودوليّا ، وجاءت القفزة الكبرى في يناير ٢٠٠٣م عندما صدر القرار الجمهوري بتعيينها ضمن هيئة المستشارين بالمحكمة الدستوريّة العُليا ، ما أثار ردود فعلٍ كثيرة كانت في غالبيتها رافضة ومتعجّبة بل ومُستهجِنة ، ولم تسلم من الهمز واللمز والغمز والاتهام بأنها مسنودة بسيّدة القصر الرئاسي ، شخصيًّا .

بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير المسروقة ، فرضت تهاني الجبالي ـ نائب رئيس المحكمة الدستوريّة ـ حضورها الطاغي على وسائل الإعلام المعروفة وغير المعروفة ، بداعٍ ، وبدون داع ، وأصبح كلامها كثيرًا ومثيرًا ومكررا ومملاً إلى الدرجة التي لا تُطاق فقد كنت تراها على الهواء فتقوم بتغيير القناة فتجدها على قناة أخرى في حوار مسجّل ، تطير إلى ثالثة فتجدها في حلقة مُعادة ، تغلق التليفزيون وتبحث في كومة الجرائد لتتسلّى فتجدها على الصفحة الأولى في معظم الصحف ، وكان كلامها الكثير الوفير المثير يحمل الانتقاد للمحظورة وتوابعها ، وأهل

المحظورة ـ كما تعلم عزيزي المشاهد ـ ليس في وسعهم النسيان ، لكنّهم يؤجّلون كلّ شيءٍ لميعاد !

لم تكن المستشارة تدرك أن الكرة ستتدحرج بسرعة ليقفز الإخوان على الثورة في حماية المجلس العسكري الغلبان ، وأنهم سينتقمون من كلّ الذين هاجموهم أو أفشوا أسرارهم ومساوِئَهم ، وأنها في القائمة الأولى (بما يليقُ بمقامها) ، وليس بيننا مَن ينسى تصدّيها كثيرًا بالنقد للسيّد الرئيس ، شخصيّا ، وللأسف الشديد فقد كانت على حقّ في تسعين بالمائة من مواقفها المناوئة للإخوان ، أمّا موقف السيّد الرئيس من القضاء ـ تحديدا ـ فلا يحتاجُ إلى إعادة ما قلناه ، ويكفي أنّه جعلَ كلّ الهيئات القضائية تعود ككتلة واحدة ، بما فيها القضاء الواقف ـ أعني السادة المحامين ، إلا المنتمين لمعسكر الإخوان ـ هذا الموقف المشرّف من غالبية رجال القضاء والنيابة العامة والمحامين أعطانا الأمل مرّة أخرى ، وضرب المثل الأعلى لقيمة الاتحاد من أجل الحقّ وكرامة المهنة وأبنائها ، وهذا ليس معناه أنني ضدّ السيّد الرئيس ، لا سمح الله ، ولكنني مع الحقّ والصواب أينما كانا ، فكلّ الضرباتِ التي تمّ كيلُها للقضاء ورجاله كانت موجعة ، وكلّها باطلة ، بدءًا من قرار إعادة مجلس الشعب المنحلّ المعدوم ، وقرار إقالة النائب العام ، ثم الإعلان الدستوري الباطل الذي أشعلَ البلاد وقسّمها إلى خمسمائة شِلْوٍ في حجم قبضة اليد ، وكانت الفضيحة الكبرى هذا الحصار لمبنى المحكمة الدستورية ومنع القُضاة من الدخول (إلى الآن)، وهذه الهتافات الجارحة التي لا تليق والتي نرفض أن يزجّ باسم رئيسنا فيها :

" يا مرسي إدّينا إشـــارة
واحنا نجيبهم لَكْ ف شْكارة "

هل يقبل السيّد الرئيس هذا ضد بعض رعايا دولته من بعض رعاياها الآخرين؟ و... أين السيّد وزير الداخلية ؟ لماذا لم ينتفض ليقبض على هؤلاء ويحاسبهم على هذه الإساءة إلى مقام السيّد الرئيس ؟ هذا الهتاف أصابني بالخجل، فمهما اختلفنا مع رئيسنا فإننا نختلفُ تحت سقف البيت ، حتى وإن كان الصوتُ عاليا ، لكن أن يوضعَ اسمه في مثل هذه البذاءات فهذا ما نرفضه ونصرّ على منعه (من أيّ فردٍ في المجتمع كلّه) ، اهتفوا كما تشاؤون ، ولكن لا تسيئوا إلى الرجل الذي يمثّل واجهتنا جميعا ، واعلموا أنه مسنود على الشرعيّة التي جاءت به من خلال صناديق الانتخاب وليس من خلال أصواتكم المزمجرة وشعاراتكم الفجّة المُسيئة ، ولا تظنّوا أنه رئيسكم وحدكم ، لا ، إنه رئيسكم ورئيس الذين يعارضونه ويعارضونكم ولو كانوا على خطأ ، وفي الدولة المحترمة التي تحافظ على القانون والدستور ، يكون التسامح عند الخطأ ، أو اللجوء إلى القضاء ، غير ذلك فلا !

و... لأنّ المستشارة تهاني الجبالي هي بطلة الأفيش كما قلت ، فقد حوصرت بالتشويه والسباب من كلّ جانب ، فضائيّا وصحفيّا وفي شبكة الانترنت ، وأستحي أن أذكر الأوصاف التي نعتتها بها كتائب الشتّامين باسم ديننا الحنيف الشريف ، كما كان لزامًا على القوات الصامدة حول المحكمة أن تخصّها بعدة هتافات ، أهمها :

صوّتي يا تهاني .. مانتش داخلاها تاني

على مستوى الصورة الأدبية والفنيّة ، هناك توفيق شديد لمن نحت هذا البيت الزجلي (وأحسده فعلاً ، حسد الإعجاب وليس الحقد أو الغلّ ، فخلفي ثلاثون عامًا من الكتابة الشعريّة والحمدُ لله) ، ولكن على مستوى الصورة الأخلاقية لمجتمع غالبيته مسلمة ، وتقاليده تحرّم الإساءة إلى الآخرين بما يهينهم أو يحقّرهم أو يجرح مشاعرهم فإن النتيجة : صفر مربّع !

هل كان أحدٌ يتخيّل ما حدثَ أمام القصر الجمهوري رمز هيبةِ الدولة وكرامتها ؟ أبدًا ، ما كنّا نتخيّل ـ ولا نأمُل ـ أن تُراق دماءُ المصريين بأيدي المصريين على أبوابه ! مَن السبب ؟ وهذه الأرواح التي صعدت إلى بارئها بلا ذنب ؟ وهذه المشاهد التي طرّزت سماءنا بالسواد وقلوبنا بالحزن والكمد والأسى ! لا أجد الإجابة ، لكنني أستعيرها من زميلنا الراحل نزار قبّاني ، وأترك الباب مفتوحًا :

" ....

فإنَّ مَنْ بدأَ المأساةَ يُنهيها

وإنّ مَنْ فتحَ الأبوابَ يغلقُها

وإنَّ مَنْ أشعلَ النيرانَ يُطفيها "

سقطنا بين شقّي رحى ! وفي كلّ سقطة نعود إلى نقطة الصفر ! غير أننا في هذه المرّة تراجعنا إلى ما تحت الصفر : الإعلان الدستوري الباطل تم إلغاؤه وإبداله بإعلان دستوري باطل مثله ! والقوات المرابضة في كلّ شوارع مصر وميادينها تزداد اشتعالاً وكلٌّ متمترسٌ عند لاءاته وشروطه المسبقة ، الاستفتاء على الدستور المعيب في موعده ، ومَن يعترض يضرب رأسه في صخر المقطّم (بشرط أن يكون بعيدا عن مقرّ الإخوان) ، كتائب الإخوة الأعداء تتحرّك في كلّ اتجاه ، لدينا أسلحة نارية وخرطوشيّة وبيضاء وسوداء ومولوتوف وسنج وطوب وزلط ونبابيت شوم ، ولدينا وحدات خاصة لتشويه السمعة ، والسّحبُ السوداء التي تظلّ برؤوسها لم تحرّك ساكنا في رؤوس قادة المعركة ، وملابس الحداد التي تتدلّى من الشرفات جعلتنا أكثر تعطّشًا لدمائنا المُراقة بأيدينا ، وأتساءل : متى سيسقط شعار " الدستوريّة مقابل الاتحاديّة "؟ ومتى نفضّ اشتباك " التحرير مقابل سور مدينة الإنتاج الإعلامي " ؟ متى سيتم تبادل الأسرى بين القوى المتحاربة هنا وهناك ؟

هل قبل الاستفتاء على الدستور المشموم ، المشؤوم ، أم بعده ؟ وهل سنكون بحاجة إلى تدخّل كوفي عنان والأخضر الإبراهيمي وربّما كيسنجر ، أم سنكتفي بوساطة الشيخ محمّد حسّان ومعه الشيخ المُستَورَدُ إيّاه ؟..... ؟؟؟

نحن في مأساة لا قرار لها ، صنعها الطمعُ والغلوُّ والغرورُ والاستعلاءُ والاستهانة بحاضر الوطن ومستقبله ، تحوّلت مصرُ إلى كرة شراب في أقدام مجموعة من الهواة والخارجين على القانون يتقاذفونها في ملاعب المجهول ، بينما رؤوس الدولةُ وبوليسها وسيادة قانونها في مدر المتفرّجين ، ولا أحد ، إلا الله ، يعلم متى تُطلق صافرة النهاية !

وإذا كان الناحت المجهول قد صاغ بيتاً شاردًا يؤلم به المستشارة تهاني الجبالي التي ستتجاوزه وتدوسه وتمضي ، فإنني أصرخُ فيها وفي كلّ تهاني قائلاً : صوّتي يا تهاني ... ولكن ... على مصر وثورتها !!!

***

في وداع الشهيد المسروق

الحسيني أبو ضيف .. الضوء الذي لا يموت !![1]

قتلوه بدمٍ باردٍ وبلا رحمةٍ أو رأفةٍ

وبكلّ وقاحةٍ وبجاحةٍ واستعباط .. احتسبوه من شهدائهم ، ونعوه إلى الجنة التي يحملون الآن التوكيلات الحصريّة لها ، بينما قتلى الآخرين ـ العلمانيين والليبراليين وشركاءهم ـ ففي جهنم والعياذ بالله ، وكأنهم ليسوا من المصريين شركاء الوطن والمصير ....!!!

الذين سرقوا الثورة ، عادوا ليسرقوا الشهداء ويتاجروا بهم في مزادات الإعلام الرخيصة ، الدماء ما تزال على أيديهم ، ودخان الغضب يخرجُ من أعينهم ويغطّي ملامحهم الجامدة ، لكنهم يستعيرون الدموع من شلالات كذبهم وينتحبون، هؤلاء الذين قال فيهم أحدُ الزجّالين :

ياكلوا مع الدّيب ويجروا ... يبكوا مع كلّ راعي !!

الدولة في غيبوبة تامة ، راحت في سُباتٍ عميق ، وبين إفاقةٍ وأخرى تقف لتتفرّج بعين كليلةٍ عن كلّ عيبٍ ، غابت وزارة الداخليّة وأغمضت عينيها عن كلّ الجرائم التي تُرتكب علنا ، وفوّضت آخرين في أن يتقمصوا شخصيتها ويغتصبوا

---

[1] العدد ٤٧ – الثلاثاء ١٨ ديسمبر ٢٠١٢م .

دورها ويقوموا بسحل الشرفاء وتعذيبهم وتسجيل اعترافاتهم ، بعد أن ضبطوهم متلبسين بحيازة كراتين التفاح والعيش الفينو والجبنة النستو في وضح النهار !! وهذه الجرائم عقوبتها الإعدام طبقًا للقوانين الجديدة التي لم يعلم بها المعتصمون الأبرياء الذين ذهبوا إلى قصر السيد الرئيس ليقولوا له : نرجوك .. استمع لنا ، فكان جزاؤهم القتل والتعذيب والسحل وانتزاع الاعترافات وتسجيلها لتسليمها إلى النيابة العامة ، وللأسف ... خيّبت النيابة العامة ظنّ هؤلاء ، وأفرجت عن كلّ المقبوض عليهم ، ولكن ..هل تم القبض على الفاعل الأصلي ، ذلك الذي خطط وحشدَ فحشرَ ونفّذ فاعتدى وأذى وسحل وعذّبَ وقتل ؟ إنّه فاعلٌ معلوم وليس مجهولاً ككل مرّة ، الفاعل المعلوم هذا هو الذي سعى لمحاصرة الأبرياء عند قصر الاتحادية ، وأعلن عن زحفه المقدّس علنا من خلال أجهزة الإعلام ، وبشفراتٍ متّفق عليها عبر الانترنت ، وبالرغم من ذلك لم تتصدّ له سلطات الدولة ، ولم تمنعه من إراقة الدماء على باب قصر الرئاسة ، وتركته يزحف ويهاجم ويسحل ويعذّب ويقتل و...... يسرق الذين قتلهم ليعلن أنهم من شهدائه ، ثمّ يتواصل مسلسل الاستهتار والاستهزاء بالشعب بخروج الجنازة المهيبة للشهداء من الجامع الأزهر (ننحني احترامًا لكلّ شهدائنا ونبكيهم بدماء القلب ، لكن الموقف يثيرُ علامات الاستفهام التي تبحث عن إجابة) !!

الدماء كلها مصريّة ، وتستحق النحيب والندم ، والحزن الذي سكن البيوت لن تطهره جنازة تخرج من باحة الأزهر الشريف وينقلها التليفزيون الرسمي على الهواء مباشرة مشفوعة بخطب التهديد والوعيد والقسَم على الثأر .. الثأر ممَّن لَمن ؟ لا نعرف !!

كان الحسيني أبو ضيف يمثّل تاريخا من الشجاعة والإقدام والعناد والثورة ، ظلّ يجري في مضمار الزمن وخلفه الشهادة التي نذر روحه لها ، لكنّه ما كان يتوقّع ، ولا يتمنّى ، أن تكون على يد أخيه في الدين وفي الوطن وفي المسؤولية والحاضر والمستقبل ، لكنّ أخاه لم يعبأ بهذه المعاني الكبرى ، نسيَ كلّ شيءٍ عندما رصده يقومُ بتسجيل جرائمه وخطاياه ، فرماه من حيث لا يحتسب ، ولو كان في قلبه شيء من الرحمة أو وازع من دين أو ضمير لرماه ـ ما دام يصرّ ـ في ساقيه أو في غير مقتل ، ولكن كيف والقلم والكاميرا ارتكبا المعصية وسجّلا الجرائم ووثقاها ؟

عرَفَ طلاب جامعة أسيوط زميلهم الحسيني ثائرًا ومدافعا عن زملائه البسطاء والفقراء فيها من قبل أن يكونَ صحفيًّا ، وتحدّى الجميع ووقف في وجه إدارتها عندما رفعت المصروفات وقاضاها ، وانتصر له القضاء وأعاد البسمة إلى شفاه قرنائه المطحونين ، وفي أروقة كلية الحقوق قاد المظاهرات ضد المخلوع وولده الذي كان يستعد ليرثنا ـ دولة ومواطنين ـ ولم يَخَفْ ولم يخْفِ رأسه في الرمال ، كان شعوره بالضياع الذي يتربّص بنا يدفعه للمجاهرة بعداء الرئيس السابق وحاشيته وأمن دولته وماسحي أحذيتهم ومنافقيهم ، بينما كان قاتلوه يتخفّون في الظلمات ويبحثون عن توطؤات ومقايضات ومنافع شخصيّة آنيةٍ زائلة ، كانت روح أبو ضيف الثائرة تقوده إلى حيث يكون المحتاجون إلى صوته وأفكاره وشجاعته ، شاب يحمل في تركيبته كلّ مقومّات الشخصيّة المصرية في أرقى تجلياتها وعنفوانها ، وعندما أنهى دراسته حمل عصاه من طما (محافظة سوهاج) قاصدا العاصمة التي ربّما تتسع لأفكاره ، أو تعطيه الفرصة في مواصلة الدفاع عن طموحاته وأحلامه لأبناء وطنه ، وكان أن وجد لقلمه مكانا بصحيفة " الفجر " ذات الأظافر

الطويلة، ومنها بدأ صوته يخرجُ في مدارات أوسع تاركا خلفه أصداءَهُ التي لا تكف عن الدوران ، وأصبح وجها مألوفا في كلّ المظاهرات والوقفات التي تنادي بالحريّة لهذا الشعب العظيم ، وعندما وجد القلم غير كاف أضاف إليه سلاحه القاتل : الكاميرا، تلك الناطقة بالحقّ من غير كذب أو تلفيق ، حملها على صدره وهو لا يدري أن حتفه يختبئ فيها ، ومنذ اللحظة الأولى في ثورة الخامس والعشرين من يناير المسروقة كان في طليعة المرابطين في ميدان التحرير حتى تحقق الهدف الأول الذي قامت من أجله الثورة وهو خلع النظام المستبد الذي أودى ببلادنا .

لم يغب الحسيني عن المشهد ، ظلّ يركض بين الميادين كحصان جامح يبحث عن الحلم الذي استيقظ في منتصفه مثل الملايين المضحوك عليهم من أبناء هذا الشعب ، لم يتخلف الشهيد البطل عن أية موقعة ، حتى عندما احتُجزت الصحفية الشابة شيماء عادل في السودان (الشقيق) قاد وقفة احتجاجية من أجل حريّتها ، وأضرب عن الطعام في مبادرة بطولية ، وكان نعم السند لأسرتها التي لا يعرفها حتى انتهت المحنة .

لم يُخف الحسيني انتماءه الناصري ، وكتاباته المنتشرة بالانترنت تجاهر بعدائه لجماعة الإخوان المسلمين ، تويتر والفيس بوك ومدونته التي لم ينتبه إليها كثيرون، وبالرغم من ذلك احتسبوه من شهدائهم الأبرار ، في تقسيم مرفوض وممقوت ، فالدم الإخواني أخو الدم الليبرالي والعلماني والمسيحي والمعارض كيفما كان شكله ما دام مصريّا ، لكن الإخوان المسلمين وكلّ الذين يتمسّحون في الدين ويرتدون عباءته ويحملون صكوكه (بلا أي حق) يقولون على الملأ : قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار !! ومصر العظيمة تتلوّى وتتضوّر حزنا على أبنائها الذين يتساقطون في

ميادينها بأيدي إخوتهم الأعداء (أيًّا ما كان انتماؤهم أو صفاتهم) ، يصرّ إخواننا في الدين والوطن على تمزيق الخريطة وتقطيعها إلى عشرات القطع ، ويحشدون ويزحفون من أجل تأييد الرئيس الشرعي الذي تحميه شرعيته ، وتحميه مؤسسات الدولة المسؤولة عن ذلك ، وفي الدول المحترمة التي يسود فيها العقل والعدل والقانون وهذه الأشياء الغريبة التي لا عهد لنا بها ، لا ينزل المؤيدون إلى الشوارع والميادين ، إنما ينزلُ المعترضون ـ ولو كانوا على خطأ ـ تحت حماية مؤسسات الدولة ذاتها التي تحمي السيّد الرئيس ، وتحمي السيّد غير الرئيس ، فإذا جاز الاستثناء ، طبقا لقوانين الدول المهترئة ، وسُمح للسادة المؤيدين بأن يتظاهروا ليعربوا عن تأييدهم ، فإن ذلك يكون مشروطا بعدم الاقتراب من الأماكن التي يتجمّعُ فيها الرافضون والمعترضون حتى ولو كانوا أمام القصر الجمهوري وعلى أعتاب السيّد الرئيس ، فهذه مهمة آخرين ـ كما قلنا ـ ونعني بهم رجال الشرطة ويؤازرهم رجال الحرس الجمهوري ، وإذا كان القصر الجمهوري يمثّل هيبة الدولة وواجهتها ، فإن المحكمة الدستورية أيضا تمثّل واجهة أخرى نتباهى بها أمام الدنيا التي وضعتها ضمن أوائل المؤسسات النزيهة في العصر الحديث ، وهذا الخطأ الذي وقعت فيه قيادات الإخوان ، وتغاضت عنه مؤسسات الدولة يجعل الجميع مسؤولين عن كل تداعيات هذا الزحف سواء ما حدث من قتل وتعذيب وإرهاب على باب القصر ، أو ما حدث في كل المدن والمحافظات من حرق وتخريب (مرفوض رفضا باتّا) واعتداءات سالت فيها دماء طاهرة وبريئة ، وأُنفقت فيها الملايين ، واسودّ بها وجهنا أكثر وأكثر أمام متفرجي الكرة الأرضية ، وبينهم كثيرون نتسوّل منهم القروض والمنح والإعانات ، أو نبوس أقدامهم من أجل الاستثمار أو السياحة !

تناسينا وعود المائة يوم ، وتفرغنا لمعارك جانبية يصنعها الكبار لإلهائنا ، وعندما يتساقط الشهداء يسارعون بالبكاء والنحيب ويذرفون الدموع وهم يصلّون عليهم، وأتساءل : وهل تجوز الصلاة إذا كان الوضوء بالدم .. دم هؤلاء الشهداء أنفسهم ، ودم الذين لم يلحقوا بهم من الأبرياء المصابين ؟

في رقبة مَن كلُّ هذه الدماء أيّها المتباكون عليها ؟ وكيف تستجدون الآخرين ليمنحوكم " حسنة صغيرة " وأنتم تعطلون مؤسسات الدولة وتربكونها وتخسفون بالقوانين الأرض ؟ وأيُّ سائحٍ أهبل سيصحب أهله وذويه ويأتي إلينا آمنا ونحن ـ على الهواء مباشرة ـ نقتلُ أنفسنا بأيدينا ؟ كيف ولماذا وأين ومتى..... إلى آخر ما في باب الاستفهام ، وأتحدّاكم لو جئتمونا بإجابة واحدة يصدّقها العقل .

الحسيني أبو ضيف لم يمت ، الذي مات هم قاتلوه وسارقو مجده ، الحسيني رحلَ جسدا وترك صوته مسافرا في القادمين على هذه الأرض نورًا ونارًا ووقودا لثوراتهم التي ستندلع ضدّ ظالميهم وسارقيهم ، ترك نظراته الهازئة مغروسة في أعين قاتليه تطالعهم بالخزي كلما نظروا في مرايا أنفسهم ، الضوء لا يموت أبدًا ، بينما الظلام جبان هشّ .. يرتعد ويفزعُ وينكمش ويتراجع بمجرّد رؤية أي شعاع، وما أقساه إذا كان شعاع الحريّة والكرامة !!

***

موجاتُ الصفعاتِ الموجعة

علاماتُ الاستفهامِ تبيضُ وتفقسُ أسئلة !![1]

بعد الثورة ، أيّة ثورة ، يكونُ يومُ إصدار دستور جديد للبلاد عيدًا يحتفلُ فيه الشعبُ بتمام الانتصار لحريّته وعزّته وكرامته ومستقبله ، وفيه يُردُّ الجَميل لأرواح الشهداء وآلام المصابين ، وفيه يُفيقُ الجميعُ من سكرة الزهو والأطماع الخاصة من أجل مستقبل ينعمون فيه بالاستقرار والرفاهية والتقدّم ، غيرَ أنّ الأمرَ مختلفٌ تمامًا عندنا ! فقد تحوّلَ هذا اليوم إلى عُرسٍ للتزوير الفاضح من أجل تمرير دستور مشموم وقفت ضده الغالبيةُ العظمى من المصريين منذ بداية طبخه ، وبالرغم من ذلك آثرت عجلات الدسترة أن تمضي في وحل العناد حتى وصلنا إلى مستنقعات الخامس عشر والثاني والعشرين من ديسمبر المشؤوم !

مطرُ الصفعات يهطلُ بغزارةٍ على وجه الدولة الميّتة ، وهي في سُباتها وهوانها لا تحرّك ساكنا ! تركت الأمور لوكلاء عنها ، وراحت تكمل نومها الهانئَ العميق !! القُطعان المنطلقة في الشوارع والميادين تدوس القوانين والأعراف والقيم وتهدد أمن الوطن وتدفع بأبنائه إلى جحيم لا يعلم مداه إلا الله ، وفضائياتٌ رثّةٌ تتاجرُ بالدين وتتسوّل تحتَ عباءته لتواصل دورها الرائد في السب والشتم والتكفير وإغراق

---

[1] العدد ٤٨ – الثلاثاء ٢٥ ديسمبر ٢٠١٢م.

البيوت بسيول البذاءة والأساليب الرخيصة ، ومنابر المساجد تخلت عن دورها في الوعظ وهداية العاصين والمذنبين وفتح أبواب الرحمة والقرب إلى الله ، وتحولت إلى منصات تحريضية تتاجر في سلعة الأوهام وتسكب البنزين على النار تحت شعار " نصرة دين الله "، فينتفض الأبرياء والبسطاء وينطلقون إلى الشوارع والميادين بحثا عن الكفار والملحدين وأعداء الدين ، يُداسُ القانون جهارًا نهارًا ، بينما وزارة الداخلية في إجازة مفتوحة ، ووزارة الأوقاف في دورة المياه في حالة اغتسال من أدران صمتها عن كل ما يحدث ، لنجد مصر كلها في الشوارع ، مَن مع مَن ؟ ومَن ضدّ مَن ؟ والدماء التي تسيل والأرواح التي تقتطفُ .. عارها وثأرها في رقبة مَن ؟ لا أحد هناك .. فلا تطرق الأبواب كثيرا حتى لا تزعج الدولة !!

كـان حدثًا فاجعاً ، ذلك المسمّى ـ ظلمًا وعدوانًا ـ بـ " الإعلان الدستوري" (٢١ نوفمبر ٢٠١٢م) ، فمنذ إعلانه في اليوم التالي على توقيعه ، ونحن نغوص في أوحال الفتنة ، وكلما التمسنا مَخرَجًا ، جاءت القرارات العشوائية المرتبكة لتنزل كالمطارق فوق رؤوسنا لتعيدنا إلى وحلٍ أعمق وأوسع وأقذر ! دولة تزحف على بطنها كدودةٍ عمياءَ في ليلةٍ ممطرةٍ عاصفة ، ولكنها تعاند وتكابر وتصرّ على المغامرة والمقامرة :

ـ إعلانٌ لا دستوري باطل ، يؤسس للديكتاتورية والقفز على القانون ، ويصدر ـ بالمخالفة للدستور ـ من أجل إقالة النائب العام الذي فشلت المحاولة الأولى لخلعه ، ويأتي بنائبٍ عام ما كان ينبغي له أن يقبل المنصب وهو يعلم أنه سيُحدث فتقاً وانشقاقاً واسعاً في بنيان الأسرة القضائية والنيابة العامة ، لكنه قبل الهدية ، وعندما أراد ردّ الجميل لم يطاوعه مستشارو التحقيق في أحداث الاتحادية

المشؤومة ، وأفرجوا عن الأبرياء المظلومين ، رافعين راية الشرف إلى عنان السماء ، ناظرين إلى ضمائرهم المضيئة غير عابئين بتسديد فواتير الآخرين ، فكانت الصفعة الأولى ، تلتها الثانية التي جاءت كردّ غاضب نتج عنه قرار متعسّف بنقل المستشار مصطفى خاطر ، وأمام غضبة شرفاء القضاء والنيابة العامة تم لحس القرار! أما الطرقعة الثالثة فكانت بالحكم التاريخي للمستشار الجريء محمود حمزة الذي أخلى سبيل متهم أحاله إليه النائب العام مستنداً في قراره على عدم شرعية قرار الإحالة إذ جاء من نائب عام غير شرعي ، وكنّا ننتظر منه أن يسارع بالاستقالة حفاظاً على كرامته وكرامة القضاء وشرفه ، لكنه تثاقل كثيراً ، ما جعل وكلاء النيابة ينتفضون وينطلقون إلى مكتب سيادته ملتمسين منه الاستجابة إلى مطالبهم ، وعندما خرجت الاستقالة الوهمية بخط يده الكريمة ، سعدنا ، وقلنا : صفعة مزدوجة تردّ الاعتبار إلى المهنة العظيمة ، وترفع معنويات المصريين إلى السماء ، فالقضاء حائطنا الأوّل والأخير بعد الله سبحانه وتعالى ، لكن فرحتنا كانت وهمية ، أو فوتو شوب ، بلغة هذه الأيام الغبراء ، فما لبث السيد النائب العام أن رجع في كلامه بحجة أنه كان مُجبرًا وواقعًا تحت التهديد !! والسؤال الاستراتيجي الذي أوجهه إلى سيادته والذين معه : وماذا ستفعل بعدولك ورجوعك وطوفان الرفض وصل إلى نجفة مكتب سعادتك ؟ هل نحن ـ الشعب ـ لعبة يُستهان بها إلى هذا الحد ؟ كيف ستضمن طاعة وكلاء النيابة الشرفاء لأوامر سيادتك ؟ كم مجرمًا متلبّسًا بالإجرام سيتم إخلاء سبيله لأن قرار تحويله كان بقلم سيادتك وسيادتك في نظر مرؤوسيك ورجال القانون، وأنا منهم ولو مع إيقاف التنفيذ ، نائب عام غير شرعي ! هل ستتحوّل مصائرنا إلى شخشيخة بهذه البساطة ؟ لقد جاءتك الفرصة على طبق من

ذهب لتدخل التاريخ ، لكنك غافلت الجميع وقفزت من بابه الخلفي ، تاركا الصفحات المضيئة لمصطفى خاطر وزملائه ، ولمحمود حمزة الذي أدهشنا ، ولوكلاء النيابة الشباب الذين ـ واللهِ العظيم ـ كان منظرهم مُفرحًا ومُدهشاً أيضاً ، بجمالهم وشياكتهم وأناقتهم والتزامهم وتماسكهم ، فرحتنا بهم طاغية ، لكنها لا تدرأ القلق من مصير تعاملك معهم مستقبلاً ، وعلى الدولة النائمة أن تصحو قليلاً وتقول لك : "فات المعاد" ، وتأتي لنا ـ للوطن ـ بنائب عام تسعد الأسرة القضائية بتعاملها معه ، وإن كان لم يعد لديك ما تبكي عليه بعد هروبك من الخلود في صفحات التاريخ الناصعة ، فإنني أستلحفك بالله وبكل غالٍ لديك أن تصر على استقالتك من أجل مستقبل هذا الوطن الذي مزّقته سهام التخبط والعشوائية والارتباك .

ـ بالتوازي مع الصفعات المركّبة أعلاه ، استمرت المواقف المشرفة لقضاة مصر، في جانب آخر ، وواصلوا الإصرار على عدم الإشراف على الاستفتاء على مشروع الدستور المعيب ، هذه المواقف البطولية أمطرت صفعات موجعة لا حصر لها ، نتج عنها ظهور أجيال جديدة من فيروسات التزوير التي رقصت في فرح الست نزيهة ، تلك الشمطاء الدرداء التي كان زواجها الأوّل في عهد الثورة الأولى على يد المأذون الشرعي الخالد جمال عبد الناصر ، واستمرت الست نزيهة تغيّر أطقم أسنانها ومكياجها وملابسها لتتزوج عشرات المرات في العصور التالية ، لكنها ضربت رقماً قياسياً في عهد الرئيس العيان في مستشفى سجن طرة ، وما كنا نتخيل مطلقاً أن تقوى الست نزيهة على ممارسة دورها الفاجر فيها بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير المسروقة ، لكنها ، بإيماءتين اثنتين في يومين هبابيين هما ١٥ و٢٢

ديسمبر ٢٠١٢م ، حطّمت كلّ الأرقام القياسية المُسجّلة في تاريخ الفجور الاستفتائي ! جاءت الاعتذارات المتتابعة من رجال القضاء وعزوفهم عن الاشتراك في هذا العرس الفاجر لتعطينا أملا جديدا ، حتى الذين شاركوا في ليلة الحنة ، الجولة الأولى ، كانوا يحاولون الحفاظ على أكبر قدر من النزاهة لضمان ما تيسر من حقوق الشعب ، ولما خاب ظنّهم اعتذر الكثيرون عن الاستمرار في الجولة الثانية ، جولة زفاف نزيهة الشمطاء على جثث الشهداء وأحلام المستقبل ، ولذلك ظهرت مواهب شعبنا المدهش فرأينا منجدين ومعلمين وباعة جائلين ، يستعيرون ملابس أنيقة ـ تأففت منهم ـ ومثلوا أدوار القضاة !! وكانت فضائح العرس التزويري الاستفسائي (بالسين) تزكم أنوف النمل في بياته الشتوي في سابع أرض في كل أركان الدنيا ، لكنها لم تصل إلى أنف الدولة النائمة التي استيقظت لترقص مع الراقصين ، وتبشّر العالم بالأطفال النجباء الذين ستلدهم نزيهة ، وهي تعلم أن الزواج غير شرعي ، وأن نزيهة بلغت من الكبر عتيا ولن تستطيع الإنجاب ، وإن حدثت المعجزة فأولاد السفاح لن يكونوا إلا الفوضى والخراب والاقتتال الذي بدأت رائحته تطلّ من كل النوافذ ، وبين إغفاءة وإفاقة ، تطل الدولة من خلف سياج نافذتها العتيقة ، لتدين وتستنكر ما يحدث ، وكأنه على أرض دولة أخرى ، وليس بأيدي أولادها ضد أولادها وتحت سقف ملابسها الداخلية !!

ـ لعبة غير مفهومة لعبها السيد نائب رئيس الجمهورية بتقديم استقالته في يوم تاريخي هو يوم زفاف نزيهة الشمطاء على الدستور الأعرج ! لماذا لم ينتظر حتى ينتهي العُرس الفاجر ونستمتع برقص الفيروسات والجراثيم الاستفتائية الحديثة ؟ أليس من القسوة أن يشغل المواطنين عن متابعة هذا الـ ... مأتم الفاجر ؟ وهل تراه

شغلهم ؟ هذه حركة بدائية لا تنطلي على أحد ، والترجمة الحرفية لها أنها صفعة مرتدة ، ولكنها ليست كصفعات الشجعان والأبطال أعلاه .

ـ اعتذارات الكثيرين عن قبول عضوية قهوة المعاشات المعروفة حركياً باسم " مجلس الشورى " ، صفعات كاشفةٌ تؤكد أن هناك نفوسا لا تُشترى ، وأن إغراءات المناصب التي جرى وراءها الكثيرون لا تصلح مع غيرهم من العملات النادرة التي تخاف الله والوطن ، وتأبى أن ينتهي بها المطاف لتنام في مزبلة التاريخ التي تئن الآن من كثرة المتزاحمين عليها .

ـ أما الصفعة التي ينبغي أن تكون درسًا ، فهي التي وجهها المستشار زغلول البلشي ، على دفعتين ، إذ استقال أولا من وضعه كأمين عام للجنة الانتخابات المشرفة على الاستفتاء الوهمي ، لكنهم وعدوه بالصدق والأمانة والشفافية ، فلما رأى بعينيه ولم يستطع التغيير لا بيده ولا بلسانه ، عمل بأضعف الإيمان ، وهو أن يرفض من قلبه وضميره ، ولأنه مهذب ومتربي ومن عائلة محترمة ، فقد جاء اعتذاره مرتديا ثوب المرض والعملية الجراحية في عينيه ـ ألف سلامة عليه وعليهما ـ وجميع المقربين منه (نصدقه ونصدقهم) قالوا إنه بالفعل مريض ، لكن أحدا لم يقل إن ضميره لم يحتمل هذا الفجور التزويري لاغتصاب إرادة الشعب ومستقبله ، فجاء العبءُ ثقيلا على قلبه وأعصابه ما رفع ضغطه وكانت عيناه الثمن ! دعوات الملايين له بالشفاء العاجل ، ولقضاء مصر الشامخ بالبقاء شامخا صامداً لا يلين ولا يهتز ، أما الذين أداروا وجوههم للحقيقة ، فسوف يبصق التاريخ في وجوههم ويدوسهم بقدميه الثقيلتين في أعماق مزابله ، ويمضي....

***

.. مع السيسي .. إلا قليلاً

عاشَ الجَيْشُ المِصْرِيُّ حُرًّا مُسْتَقِلاً!![1]

لم تخِب آمالنا في يومٍ ما في جيشنا العظيم ، مصنع الأبطال والبواسل حُماة العرين، يتناثرُ الغبار الكثير ، والكثيفُ أحيانا ، لكنه ما يلبث أن يتساقط من تلقاءِ نفسه ليعود ثوبهم ـ ثوبُ الشرف ـ ناصعًا نظيفاً !

قوّاتنا المسلحة ، تكادُ تكونُ المؤسسة الوحيدة المتماسكة في دولتنا التي تترنحُ بين أنياب أبنائها الذين أعماهم الطمعُ إلى درجة الغباء والغرور المدمّر ، ففعلوا بها ما لم يحلم به ألدُّ أعدائنا ،لتتحوّل مصر العظيمة على أيدينا من " أمّ الدنيا " إلى مضحكة الدنيا ، وبعد أن كانت " سلّة خبز البشريّة "، أوشكت على أن تتسوّل بعض حبّات القمح من دولٍ أصغرَ منّي سنًّا ، ولا يزيد عدد سكّانها ومساحتها عن عزبة غرب البسلقون !!

تقيّأت الثورة فلفظت نظاما خائنا باعنا من أجل طفلين مدللين ، ولكن لم يتخيّل عميد أهل الشؤم واليأس أن الثورة بعد أن تغسل فمها وتتطهّر ستتركنا نتخبّط في وحلِ قيئها ودماء أحلامنا المُهدرة على مذابح الغلّ والطمع والاستبداد

---

[1] العدد ٤٩ – ١ يناير ٢٠١٣م .

الأهوج ، اجتمع علينا الهواة من كلّ جانب ، وراحوا يجرّبون فينا منتجات غبائهم وقلة حيلتهم ، فانحدرنا إلى أزهى عصور الفوضى والارتباك والتخبّط ، ووقفنا نتفرّجُ علينا ونحن نتآكل ونهترئُ ونتسابق في أكل لحمنا !

الفريق أوّل عبد الفتّاح السيسي ، سأكونُ كاذبا إذا قلتُ إنني كنتُ مرتاحا له أو متفائلا به ، مجرّد التفاؤل ، ربما لأن أعيننا اعتادت رؤية قدماء المصريين في جميع المناصب الكبرى والمؤثّرة في مفاصل الدولة ، وربّما لمفاجأة الاختيار والطريقة التي تمّ بها ، وربما لسوء نية الخبثاء أمثالي والشك الدائم فيما وراء الاختيار ، وربما للاقتناع التام بعمى الرؤية وعشوائيتها ، فوجدتني أسبح في خضم الـ.." ربّمات " هذه ، بالرغم من ثقتي الكاملة في كلّ جندي في هذه المؤسسة العريقة ، وأن زرارا في سترة أحدهم يعادل قبيلة من الرجال ، وأنهم تاج رؤوسنا ومبعث اطمئناننا وفخارنا دائمًا (وهذا لا يمحو ـ ولن يمحو ـ تحفّظي على أداء المجلس العسكري في المرحلة الانتقامية التي أودت بنا إلى ما نحن فيه الآن ، وسأظل أردد هذا مقتنعا به ، والفرق كبير وشاسع بين مجلس إداري قاد الدولة بلا خبرة في مرحلة مرتبكة ، فتركها مزرعة للارتباك ، وبين جيش عظيم من فلذات أكباد المصريين يمثلون حائط الصدّ المنيع ، ولا يقبلون بغير شرف الوطنية والبطولة تاجا).

مع الوقت ، والمواقف ، بدأت أنظر إلى الرجل ـ الفريق أول عبد الفتاح السيسي ـ بعين الاعتبار ، وأدركت أنّ في تركيبته وشخصيته ما يفتح ثغرة للأمل في جدار هذا الليل المعتم ، وأنه من النوع الذي يصعبُ ترويضه أو تلوينه أو طيّه تحت أي جناح ، وبدا واضحاً أنه يحظى بحبّ أبناء هذه المؤسسة واحترامهم ، وأن جسرًا

من الثقة والتفاهم يصلُ بينه وبين قادة الفروع المتعددة في هذا البنيان القويّ الشاهق، ومع إحساسنا بعودة التدريبات الشاقة والاستعدادات التي تليق بما يتهددنا من كلّ الجوانب ، انسحبت الصور السلبية من أذهاننا شيئاً فشيئاً، وتأكدنا أن فترة الاسترخاء والتثاؤب راحت لحالها ، وأن جيشنا عاد إلى موقعه السليم والمناسب ليظل أبناؤه خير أجناد الأرض .

كانت ثقتنا في الجناح الآخر للأمن والأمان ـ وزارة الداخلية ـ قد بدأت تعود بالفعل مصحوبة بكثير من الأمل ، ولكن ـ للأسف الشديد ـ ثقة أبناء هذه المؤسسة العظمى في أنفسهم لم تعد بعد ، وبالرغم مما يبذلونه على مدار ساعات الليل والنهار، وتلك الخبطات التي يحققونها في ضبط الهاربين واصطياد المجرمين وإجهاض محاولات إغراق البلاد بكلّ أنواع الأسلحة ، إلا أنهم يشعرون بنوع من الكراهية المستمرة من المواطنين ، وهذا به جانب من الحقيقة ، والكرة في ملعب الشرطة ، لا يجب أن يشعر رجل الشرطة أنه كائن مستورد ، أو نوع من المنتجات منزوعة الدسم أو منتهية الصلاحية ، علينا أن نساعدهم على التمسّك بدورهم والحرص على أدائه على أكمل وجه ، وكثيرا ما أرى صور السيد وزير الداخلية تملأ الصحف والشاشات ، غير أنني أشعر أن حاجزاً ما يقوم بينه وبين رجاله في الأقسام والمراكز والميادين ، وأن كلّ هذه الخبطات والإنجازات على أرض الواقع ناتجة عن كفاءات خاصة لرجال الشرطة ، بمعنى أدق وأقرب : لا أرى ما أراه على الساحة العسكرية متحققاً على الساحة الشرطيّة، وهذا ليس راجعاً إلى تطبيق نظرية " الاستعانة بصديق " ، أو نزول الجيش للمشاركة في بعض العمليات ودعم

الشرطة، أو ظهوره بهذا المظهر الحضاري الرائع في تأمين الاستفتاء على الدستور (غير الحضاري) ، رجال القوات المسلحة على مستوى الشكل والمضمون أصبحوا كائنات مضيئة تمشي في شوارعنا إلى المستقبل ، بينما أبناء الشرطة ، أبناء هذا الشعب وأشقاء رجال الجيش ، يمشون منطفئين منكسرين بلا مبرر ، وعليهم أن يستعيدوا الثقة ـ أو يستعيروها من الجيش ـ بسرعة ، فهم منّا ولهم احترامهم وتقديرهم بالرغم من سيئات بعضهم التي تصل إلى حد الإجرام في حق الوطن وحق هذه المؤسسة العظيمة ، وقد انزعجنا للصدام الذي حدث بين بعض أبناء المؤسستين ، وتحرّك الوزيران بسرعة فائقة وتم احتواء الموقف ، شكليّا ، لكن قلقنا سيظل أكبر من الاحتواء ، فهما ـ كما قلت ـ جناحان لطائر الأمان الذي لا يمكن أن يحلّق بدون أحدهما ، وإن اختلفا ـ إلى درجة التشابك ـ فعليه العوض .

قرارات الفريق أول عبد الفتاح السيسي تعطينا الثقة في أن المؤسسة العسكرية ستظلّ حرّة مستقلة لا تنحاز إلى فصيل على حساب بقية أبناء الوطن ، وهذا هو المانشيت الرئيسي الذي نجاهد من أجل أن يظلّ ناصعا على جبهة الوطن ، هذه القرارات الصارمة التي يتخذها السيد وزير الدفاع تليق بحجم هذه المؤسسة ، وقد أرضانا كثيرا موقفه من حظر البيع أو الانتفاع بالأراضي في المناطق الاستراتيجية خصوصا منطقة شبه جزيرة سيناء ، حتى لا تتحوّل هذه البقعة الملتهبة إلى قنبلة تنفجر تحت وسائدنا ونحن نائمون ، غير أننا كنّا نأمُلُ أن يوضع أهل سيناء في الاعتبار قبل اتخاذ أي قرار متعلّق بما تحت أيديهم (لا أركب موجة الإخوان الذين أشيع أنهم حرّضوا زعماء القبائل السيناوية ضد القرار ، وأعتقد أنهم قاموا بذلك

ردّا على الموقف الصارم للسيد الوزير ضد تصريحات بعضهم الهوجاء ضد قادة سابقين بالقوات المسلحة) .

أهل سيناء يا سيادة الوزير حائط صدّ شريف يكمّل دور القوات المسلحة ويعضده ، وهم عاشوا مرار الاحتلال ، ثم مرار التجاهل فيما بعد التحرير ، وكأنهم مجرّد كمالة عدد أو مجموعة من الأرقام الوهمية المتناثرة على خريطة التعداد السكاني ، هؤلاء الأفذاذ أقدر مَن يدافع ـ معكم ـ عن حدودنا الشرقية التي يلعب فيها الإسرائيليون والحمساويون لعبة الاستغماية ، وكما قال القدماء : أهل مكة أدرى بشعابها (أي بطرقها الصغيرة الملتوية)، فإن أهل سيناء أدرى بشعابها أيضا ، ومن العدل واللائق بهم أن يوضعوا في بؤرة الاهتمام في كلّ تحرّك وقبل أي قرار ، وحتى لا نترك أصابع الإخوان تلعب في مفاصل الدولة كلها ، أو تتمكن من إلقاء فيروساتها في هارد ديسك سيناء كلّها ، من أجل التنغيص على قائد محترم رفض أن يمشي طبقا لكتالوجاتهم ، أو من أجل عيون الأحباب في الناحية الأخرى ، ولا أعني الفلسطينيين ، حتى لا تفهموني بالخطأ ، بل أعني الإسرائيليين الذين أصبحوا من الأصدقاء الأوفياء على آخر الزمن !

وما يُقال عن أهل سيناء ينطبق على أهل مطروح ، وأهل النوبة ، وكلّ المهمشين من أبناء الحدود ، فلا يليق بنا أن نضعهم بين عذابين : عذاب القلق والمواجهة ، وعذاب التجاهل والنكران ، وحتى نقطع الطريق أمام اللاعبين الجدد الذين فاقوا الحزب الوطني في السوء ، فهم يختلقون المشكلات والمصائب ، ثم يتقدمون الصفوف المطالبة بالحل ! ولذلك أكلوا بعقل الشعب "حلاوة "، من

خلال الكلام المعسول والشعارات الكاذبة ، ومن خلال التجارة بالدين ، وبكرامات الزيت والسكر والبطاطس وأنابيب البوتاجاز المخطوفة من أيدي الغلابة !

سأنتظرُ كلّ يومٍ أن يتحقق ما قاله الفريق أوّل عبد الفتاح السيسى : '' إن المؤسسة العسكرية تمارس مهامها بتجرد تام لا يعنيها إلا شعب مصر الذي تنحاز إليه دائما ، في إطار عقائد استراتيجية راسخة بأهمية عدم التدخل في الصراعات والممارسات السياسية وحتي لا تكون طرفا ضد آخر ، إدراكا منها بمخاطر ذلك علي الأمن القومي والاستقرار الداخلي'' .

معه ، ومع كل المخلصين الواثقين في جيشنا النبيل أردد : عاش الجيش المصريّ حُرّا مستقلاً ''.

***

البكاء على أطلالِ الأحلامِ الموءودة :

آهِ يا مِصرُ .. كم تُعانينَ منهم !![1]

على مشارفِ الذكرى الثانيةِ لثورة الخامس والعشرين من يناير ، أتدحرجُ بين النقائضِ والغرائبِ والعجائبِ المُدهشة ، لكأنني أسبحُ في دوّاماتِ الوهمِ السوداء ، زورقي اليأسُ والإحباط ، ومجاديفي علاماتُ الاستفهام والتعجّب المفتوحة على الفراغ واللاشيء .. !!

عامانِ غريبانِ في حسابِ الأيام ، أحيانا أشعرُ أنهما مرّا أسرع من طيفٍ عابرٍ على حافةِ ليلةٍ شتائيّةٍ دافئة ، ومِرارًا أراهما أطول من الدهر وأثقل من الجبل ! عندما أرمي خيالي في بحور الخيال أجدني لا أصدّق أنّ ثورة بمثل هذا العنفوان وهذا النقاء وهذا الجمالِ وهذا التفرّد قد قامت ببلادنا ، وعندما أفتح عيني وأعود إلى أرض الواقع وأفيقُ على القُبحِ والخسّةِ والخيانات .. تلقيني الأيدي القاسية في بحور الأكاذيب والخداع وأجدني ـ في دوّامات الفوضى وسوقِ التواطؤ ـ مُحاصرًا بالسماسرة والنخّاسين ، وسارقي الثورة والشهداء ، والمتاجرين بالدين ، والمتاجرين بالوطن ، والدين والوطن بريئان يستجيران ويستغيثان ، وهناك .... من الشرُفاتِ المطرّزة بالألوان السوداء وملابسِ الحداد تطلُّ أطيافُ الشهداءِ تبتسم في حياءٍ

[1] العدد ٥٢ – الثلاثاء ٢٢يناير ٢٠١٣م .

ورقّة، وترمي علينا الدموع وباقات الأملِ لتعطينا القدوة في كلّ ملمَّةٍ خانقةٍ وتوقظ فينا الإصرار والتحدّي ، بينما دماؤهم ما تزالُ موزّعةً بين القبائل فلم نرَ مجرمًا واحدًا ، أو فاعلا معلومًا ، من القتلةِ الأحرار الطلقاءِ ينالُ جزاءه المناسب ، بل غرقنا في مهرجانات البراءة للجميع في أكبر مهزلة تشهدها أمّ الدنيا !

لم يكن بيننا متفائل واحد يتخيّل أن قوّةً بالعالم تستطيع إنهاء دولة السيد الرئيس المخلوع وشركاه ، فقد وصل الظلم والاستبداد والتجبّر والتغوّل إلى شواشي النخيل ، بينما تمكّن أمن دولة المخلوع من السباحة في شراييننا ، وتسلل وسكن تحت جلودنا ، وبين تجريف ممتلكات الدولة من أموالٍ وأراضٍ وآثارٍ ، إلى تجريفِ العقولِ بفعلِ أقلامٍ مدادُها مياه الصرف الصحّي ، وألسنةٍ تمّ تعتيقها في مصانع الكذب والتضليل ، ووقع الشعب المسكين تحت الأنياب والمطارق والكوارث ، وعندما فاض الكيلُ وبدأت الأجيال الجديدة تخلع جلابيب الآباء وتتحرر منها ، قوبلت دعواتهم بالاستهزاء والسخرية والاستهجان ، وما إن لاحت شرارة الرفض من خلف ساتر العالم الافتراضي ، الإنترنت ، حتى فوجئنا بالأقلام الرخيصة تواصل دورها المقدّس في تشويه الأفكار والنيّات وتقاتل لوأدِ الأفكار في عقول الرافضين والطامحين إلى النور وشعاع الحريّة ، وعندما قام أحد الإعلاميين بتوجيه سؤالٍ ، لم يلتفت إليه كثيرون ، إلى الوريث المنتظر حول الدعوات التي يروّجها الشباب على " الفيس بوك " من أجل التظاهر وإعلان الرفض ، التفت المغرور مستهجنا مستهزءًا قائلا قولته الشهيرة : رد عليه يا حسين ! ولم يشأ حسين أن يردّ ... (أتعرفون مَن هو حسين ؟) !

كان الكبارُ ومنزوعو الدّسم الثوري قد أَلِفوا الخضوع أو ألجمهم القنوط وقنعوا بالذلّ على أساس "مفيش حدّ بيبات من غير عَشا"، بينما الطامحون الجدد كانت أعينهم على الحرية والكرامة والعدالة والمساواة ، وكان اختيار الخامس والعشرين من يناير من أجل التنكيد على الشرطة في عيدها ، أبناء الشرطة من صميم هذا الشعب ، غير أنّهم تحوّلوا إلى اليد الثقيلة للحاكم المستبد ، تلك اليد التي تبطش بالأبرياء بلا وعي من أجل عيون هذا الرجل المُسن الذي اكتشفنا فيما بعد أنه مستودّع للعديد من الأمراض المزمنة التي يكفي واحد منها لإبعاده عن مقعد قيادة توك توك ، فما بالنا بقيادة دولة بحجم مصر ! غير أن الأقلام السيّارة والوجوه المُستعارة على الساحة الإعلامية جعلوا من يوم ميلاده يوما لميلاد مصر ، وفي كلّ ٦ أكتوبر تصرف وزارة الإعلام الملايين من أجلِ فرعنته ، وتسكب تحت قدميه الأغنيات الكاذبة التي تتغنّى بأمجاده باعتباره " صاحب أول طلعة جويّة فتحت باب الحرية " ! وكأن الحرب العظيمة ، أكتوبر ، لم تشهد سواه في سلاح الطيران أو بقية الأسلحة ! (بالمناسبة ، كتب محمد وجدي قنديل بجريدة "الأخبار " أن الفريق أحمد شفيق شارك في إسقاط سبعٍ وخمسين طائرة في حرب أكتوبر (كتبتها بالحروف للتأكيد)، وهذا يعني أن مصر مدينة لشفيق بأغنية تقول : " تاني طلعة جويّة .. هيَّ الطلعة الحقيقيّة " ، لكن ، وللأسف ، رحلَ الموسيقار عمّار الشريعي صاحب اللحن وصاحب المركز المتفرّد في تدليك بطولات السيد الرئيس غنائياً ، الله يرحمه ، ويرحم الذين ما زالوا يتباكون بأقلامهم على إنجازاته ، وباعتباره رمزًا من رموز الثورة). كما كان اختيار الخامس والعشرين من يناير بسبب مهزلة محاكمة قاتليَّ الشاب خالد سعيد الذي أسمته صحافة المخلوع : شهيد

البانجو !، أصرّ جيل خالد سعيد على الانتقام ، بينما حملة المباخر يطوفون حول القصر الجمهوري ، يمسحون بأقلامهم سيئات البطل المغوار ، وينظفون ملابس شجرة الضّرّ ، وينحنون إجلالاً واحتراماً للننوسَينِ اللذين لم يتركا شيئاً في بلادنا إلا ولعبا في مفاصله ، كّتاب ومفكّرون وصحفيون وشعراء وموسيقيون ومطربون وممثلون وسياسيون وحزبيون ووو. إلى آخر القائمة ، زحفوا على بطونهم كحشرات الليل الجائعة ، تقودهم أطماعهم وطفاستهم ، وارتضوا أن يمتهنوا مهنا أخرى غير التي يعرفهم الناس بها ، وتسابقوا ، طواعية في دخول حظيرتي الثقافة والإعلام ، وتم تدجينهم واحداً وراء الآخر ، وفي مثل هذا الموعد من كلّ عام كانوا يصطفون في سراي ٦ أكتوبر بأرض المعارض ، في معرض الكتاب ، ليبادلوه الابتسام والنفاق والنكات الباردة ، فلما شاءت إرادة الله العليّ القدير أن تكون الثورة التي تقلب الموازين وتقتلع كل جذور الفساد والإفساد ، فوجئنا بهؤلاء يتحوّلون ـ في سرعة البرق ـ لنجد كُلّا منهم أول مَن أوذيَ في عهد المخلوع لأنه كان دائما يعارض ويقول : لا ! ، وأوّل مَن حرّض على الثورة ، وأول مَن نزل ميدان التحرير ، وأوّل مَن أيّد هذه الحركة المباركة لشبابنا قادة المستقبل ! ألا تخجلون ؟ ألا تستحون ؟ ألا تعلمون بما يدّخره لكم أرشيف الصحف والإذاعة والتليفزيون ومواقع الإنترنت ؟

كانت الثمانية عشر يومًا هي أجمل أيام تاريخنا المعاصر بعد انتصارات أكتوبر ، وبعد الحادي عشر من فبراير ، يوم الخلع رسميا والله الموفق والمستعان ، عدنا إلى ما هو أسوأ ـ وأسود ـ من أقذر هزائم تاريخنا المعاصر .. هزيمة يونيو ١٩٦٧م التي يدلعها الأستاذ هيكل وشركاه بـ" النكسة "! منذ يوم الخلع أخذتنا ـ الأبرياء ـ

النشوة والفرحة إلى ما فوق السحاب ، بينما انطلقت الذئاب والضباع الجائعة والمدرّبة لتحتل مقدمة المائدة ، وبدون أن ندري ضاعت الثورة ، وضاعت دماء الشهداء سُدى مثلما تضيع قطرات المطر أو الندى عندما تسقط ـ في لحظة استثنائية ـ على صخرِ صحراءَ موحشةٍ قاحلة ، وبدلا من أن تتكاتف القلوب والأيدي من أجل تحقيق أهداف الثورة والانطلاق بمصر إلى المستقبل ، تكاتفت من أجل تمزيقها وإعادتها إلى العصور الوسطى ، وانهمك كلّ فصيلٍ في سرقة ما يقدر على حمله من الثورة ، في ظلّ قيادة مرتبكة عديمة الخبرة من مجلس عسكري مكانه الجبهة وليس مقعد القيادة ، ولأنه مجلس طيب وعلى نياته ، فقد تركها خرابة تلعب فيها كل أجهزة الاستخبارات لعبة الاستغماية ، وراحت الأصابع تتحرّك في الظلام وتحرّك الدُّمَى التي تشعل وتدمّر وتخرّب ، وقام " اللهو الخفي " بدوره على أكمل وجه ، فحصد ـ وما يزال ـ أرواح زهرة شبابنا وأجمل ما فينا ، وكانت سلسلة من المغامرات أو المقامرات خسرنا فيها جميعا ، وآلت بنا الثورة إلى أن تصبح مصرُ دولة متهالكة ملقاة في حفرة عميقة معصوبة العينين بدستور باطل معيب يفتح الباب للأجانب والأعداء أن يصبحوا أعضاء بمجلسي نواب الشعب ، لمجرد أن هؤلاء أنجبوا من مصريات أولادا يحق لهم ذلك لأنهم مصريون بحكم القانون الآن ، ومجلس مرفوض من الشعب والدستور يقوم بالتشريع على السريع ـ مثل الدستور المسلوق ـ فيسن لنا قوانين تسمح للمتهربين من التجنيد أن يصبحوا ـ أيضاً ـ ممثلين للشعب في مجلسيه ! وحكومة ذكية جداً استطاعت أن تحيي قانوناً رفضه الأزهر الشريف بأن تمحو كلمة واحدة فقط ، وأعني قانون ـ أو مشروع ـ الصكوك الإسلامية ، فقد قامت الحكومة المبجلة بحذف كلمة "الإسلامية " ليمر المشروع

على رقابنا ـ وأقفيتنا ـ كالطيف أو الخيال ، وهذا إنجاز رهيب ، فالصكوك ـ بعد حذف الكلمة ـ ستصبح جميلة ولذيذة ولن تؤدي إلى ضياع ممتلكات الوطن ومستقبله ، وهذا معناه أن هذه الحكومة ستتفرغ لحل كل مشكلاتنا بحذف بعض الكلمات فقط ، وهذا غير مسبوق في التاريخ (ألا تكبّرون) ؟!

لعبة الصكوك فسّرها البعض تفسيراً لغوياً معناه الصكّ على القفا ، وكأننا لم نعرف هذا الصك إلا اليوم ، الصك "على ودنه " طوال العامين اللذين غابت فيهما الدولة وتركت الفرصة لدولة موازية تتشكل وتتمدد بداخلها لتحلّ محلها، كما أصبح بوسع دولة بحجم دودة الأنكلستوما أن تمرح بأمعاء مصر وتفعل بها ما تشاء فالأطباء والحكماء في إجازة مفتوحة ، والحرّاس الوهميّون تركوا نبابيتهم على الشاطئ الآخر للترعة ، أما الأقلية المسكينة المسمّاة الشعب ، فلها الله لا عاصم إلاه من كلّ النيران التي مضت ، ومن كلّ النيران التي تتأهّب تحت الرماد لتهبّ وتلتهم قوت يومه وأحلامه ومستقبل أطفاله ، بل والأجيال التي ستأتي على هذه الأرض الطيبة إلى يوم القيامة .

هل نيأس ونغسل أيدينا وننصرف ونغلق الأبواب من خلفنا ؟ هل نعتذر لأرواح الشهداء ونقول لهم : كانت تضحياتكم خسارة فينا ؟ لا .. لن نيأس ، ولن نعتذر ، الشعب الذي أسقط دولة أمن الدولة قادر على إسقاط الأعتى منها ، قادر على إعادة صياغة مستقبله بالشكل الذي يليق بمصر وبكلّ المصريين ، لا دساتير ولا انتخابات ولا صكوك ولا تواطؤات ، كلّه إلى زوال مهما يطل الأمد ومهما يكن الاستبداد .

على قبر الثورة الموءودة يتباكى الكثيرون ، بينما تنتشر الشعارات الفوضوية في كلّ الشوارع : انزل يوم ٢٥ واعمل فوضى ، هذه ليست مصر ، وهذا ليس وجه ثورتها ، الدعوة إلى الفوضى هي دعوة خبيثة يُراد بها الإجهاز على ما تبقّى منّا ، لا بد من أن تظلّ المظاهرات ـ توابع الثورة ـ سلمية نظيفة بيضاء تعيد إدهاش العالم بصحوة المصريين وتحضّرهم ، لا تكونوا كالأغبياء الذين يتصرفون كالبهائم الجائعة ، واصلوا الصمود والإصرار والتحدي ، ولكن بروح الأيام الثمانية عشرة وليس بالدعوات الخبيثة التي سنجني من ورائها الخراب والخسائر، لا تسمحوا للسارقين أن يواصلوا سرقة إنجازاتكم وشهدائكم ، قفوا بنقاء وقوة، ردّوا الاعتبار للأرواح التي ترفرف فوقنا ، ولتكن لكم القدوة في البطل أحمد حرارة ، صاحب أجمل جوهرتين ، ذلك المثل العظيم الذي وهب نور عينيه من أجل حريتنا وكرامتنا، وأصبح نموذجا في التضحية والإيثار ، وفي الأخلاق الحسنة وأدب الاختلاف ، لا أستطيع أن أقول فيه شعرا ، فقد قطع نزار قبّاني الطريق علينا جميعا وهو يقولُ لطه حسين :

ضوءُ عينيكَ أم هما نجمتانِ
كلُّهم لا يرى وأنت تراني !

أهدي البيت إليه وإليكم ـ كلّ مَن ينتمون إلى الثورة النقيّة الشريفة ـ لكي لا تكونوا شتّامين مثل سارقيكم ، ولا تمارسوا أي نوع من التجارة الرخيصة مثل الآخرين ، واصلوا إعطاء العالم دروسكم الخالدة ، فالعالم ـ بالرغم من مآسينا ـ سيظل في شوقٍ إلى المفاجآت المصريّة .

***

مِصرُ التي في خاطري
وفـــي مـهـبّ الـرّيـــح[1]

بورسعيد ... أرض التضحيات ومصنع الأبطال ورمز الصمود والصبر...وحدها تدفع الثمن ! ثمن رقاب الآخرين من المجرمين المحصنين بالصمت والتواطؤ والتعامي والتساهي ، ثمن شراء خواطر حرّاس دولة الأهلي ، وثمن المقاعد الوثيرة (المُحتَمَلة) في مجلس النوّاب الموقّر الذي يسبح الطامعون إليه في دماء شبابنا ورجالنا وأجمل ما فينا !

سقطت الدولة المهترئة ، وتحوّلت الخريطة إلى مزرعة للأشباح الضالة ، وفازت كلّ مدينة بنصيبٍ من الخراب والدمار والرعب ، لكنّ خطّ القناة كان الأوفر حظّا في بشاعة الانتقام والظلم ، وكانت السويس تتربّع على القمة وحدها، ولم تكن تحسب حسابا للمجهول المتربص ببورسعيد والبورسعيدية والذي سيزيح الجميع من فوق عرش الخراب ليضع بورسعيد على القمة وحدها مضرّجة بالدماء والتعسّف والنكران والجحود ، وكم ذا بجَعبتك من المصائب والبلاوي والغصص يا أيها المجهول المظلم البهيم !

ليست نكتة ... فالحادثُ يستدعي البكاء بدماء القلب في موقفٍ تصغُر فيه الدموع وتلوذ بالفرار لعجزها عن الوفاء بالواجب الذي يليقُ بالمصيبة !

---

[1] العدد ٥٣ – الثلاثاء ٢٩ يناير ٢٠١٣م .

تقولُ النكتة إنّ المحكمة الجنائية ببورسعيد أحالت أوراق واحدٍ وعشرين متهمًا في أحداث مباراة الأهلي والمصري البورسعيدي في أول فبراير ٢٠١٢م التي راح ضحيّتها اثنان وسبعون شهيدًا إلى فضيلة المفتي (بما يعني القضاء بإعدامهم)، فلقيَ ستةٌ وثلاثون مواطنًا مصرعهم ـ حتى كتابة هذه السطور ـ في ردود الفعل الغاضبة بمجرّد سماع الحكم ، وأصيبَ المئات ، واشتعلت النيران في المدينة الباسلة وفي قلوب المصريين إلى أجل غير مسمّى !

واحدٌ وعشرون متهمًا قد يحصلون على البراءة إذا ما تمّ نقض الحكم وإعادته إلى دائرة أخرى ، أو إذا رأى فضيلة المفتي رأيا آخر قد تأخذ به المحكمة (فرأي فضيلته غيرُ مُلزم لهيئة المحكمة) ، أي أن (احتمال) تبرئة المحكوم عليهم وبقائهم على قيد الحياة وارد بنسبة قد تصل إلى مائة بالمائة ! أمّا الذين سقطوا في مهرجان ردود الفعل فقد أضيفوا إلى سجل الدمِ المنزوف هدرًا ، ولن تفلح أحكام النقض أو رأي فضيلة المفتي في إعادتهم إلى الحياة مرّة أخرى .

تكتمل فصول الحسرة عندما نرى ردود الفعل على الشاطئ الآخر ، شاطئ الألتراس ، فقد جاءت الفرحة هيستيريّة ، وكأن المحكوم عليهم ليسوا إخوان الشهداء الأبرياء ، وجميعهم غُصص وخناجر في قلوبنا ما دامت لنا حياة على هذه الأرض ! الألتراس اعتبروا الحكم انتصارًا لهم ، وأنهم قد أخذوا بالثأر للشهداء وأدوا مهمتهم على ما يرام وانتهى الأمر ، بينما الواجب علينا جميعا أن نصرخ بأعلى صوت على ما نحن فيه وما صرنا إليه وما نُساق إليه في ظلمات المجهول الذي يطوّقنا من كلّ اتجاه في ظلّ اللا دولة التي نرتعد في ضبابها الآن.

لم أتعوّد أن أعلّق على أحكام القضاء ، وكل كتاباتي تصبّ في نهر الدفاع عن قدسية القضاء والمناداة بسيادة القانون واحترام الأحكام باعتبارها عنوان الحقيقة، لكنّ نفسي الأمّارة بالسوء وبالشك لم ترحمني هذه المرة من تساؤلاتها المزعجة : هل هذا الحكم ، بالرغم من عدم نهائيته ، هو بالفعل عنوان الحقيقة في تلك المأساة ؟ فتقول لي نفسي المنزعجة : أشك ! فالقتل كان جماعيًّا وعشوائيًّا ، الجناة ـ الافتراضيّون المقبوض عليهم ـ عشوائيون ، فمنهم مواطنون من مشجّعي الأهلي الذين فرّوا من الموت إلى أحضان الاتهام وأصبحوا قتلة ، وأمّا المجني عليهم فمساكين أبرياء دفعوا الثمن الغالي الذي لا يقدر عليه أحد ، ورحلوا وأسرارهم معهم ، ورحيلهم هو الشيء الوحيد الموثوق به في هذه الكارثة .

هل كانت الأدلة كافية وقاطعة بإدانة هؤلاء بجريمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصّد ما يكفي للحكم عليهم بالإعدام وأولى خطواته تحويل أوراقهم إلى فضيلة المفتي ؟ وهل أخذت المحكمة بالأدلة (الجديدة) التي أوردتها لجنة تقصّي الحقائق في تقريرها عن كل وقائع قتل الثوار ؟ إن كان ذلك كذلك فهل خلا التقرير من الإشارة إلى كبار المسؤولين عن المصيبة : الأمن المتخاذل ،والمحافظ النائم ، وهيئة الاستاد التي تملك مفاتيح كلّ الإجابات ، والمجلس العسكري التائه الذي يأتي على رأس القائمة باعتباره القائد للبلاد في تلك المرحلة الانتقامية السوداء ، ثمّ اتحاد الكرة الذي يدير اللعبة ويُناط به تأمين الملاعب بما يحفظ أمن اللاعبين والحكام والجماهير وكلّ أطراف اللعبة وسلامتهم؟

هل صدر الحكم للمواءمة السياسية من أجل امتصاص غضب الألتراس ، ولتفويت الفرصة عليهم حتى لا ينفذوا تهديداتهم ؟ وهل كان بوسع الألتراس أن

يفعلوا أبشع مما رأينا ؟ وأين الدولة وما محلّها من الإعراب إن صحّت هذه الشكوك؟ لماذا لم تصدر أحكام بمثل هذه القوة في القضايا (والمجازر) السابقة على مأساة ملعب بور سعيد ؟ سيقول قائل : الأدلة ، فأقول : وهل توافرت الأدلة القاطعة هذه المرة ؟

ستة وثلاثون ضحية ـ أو أكثر أو أقل ـ سقطوا في عشر ساعات ، وملايين الجنيهات ضاعت في رماد الحرائق ، لتدفع المدينة الباسلة العظيمة وأبناؤها العظماء المكافحون والمهمّشون والمظلومون على طول الخط الفواتير المؤجّلة ثمنا لرقاب الآخرين ومطامعهم ومقاعدهم ، ولتتحوّل المدينة البطلة إلى مدينة أشباح بأيدينا ، وليس بأيدي القتلة المزمنين أو أعدائنا الدائمين من بني صهيون .

لماذا بورسعيد ؟ السؤال بحجم الكارثة وتداعياتها بدءًا من أوّل فبراير الأسود إلى ما لا يعلمه إلا الله ! وقد يعاجلني أحدكم بسؤال استراتيجي : ألا ترى النيران التي تلتهم أكباد المدن الكبرى والصغرى على السواء ؟ ألا تسمع هدير الرفض والغضب الذي اندلع مع ذكرى الثورة المسروقة ليزلزل ما تبقّى من الدولة ؟ أقول: إنني معكم على الخط .. أرى وأسمع وأصرخ وأتألّم وأتضوّر حزناً ، إنني في قلب موجات الرفض لهذا النظام المتهالك الذي لم يعد يصلح لإدارة محل بقالة وليس دولة بحجم مصر العظيمة ، معكم ضد هذه الهجمة الفاشية التي يقودها عديمو الخبرة ليضعوا بلادنا بماضيها وحاضرها ومستقبلها في حفرة الفقر والضياع والخراب والتخلّف ، معكم ضد الدستور الباطل المعيب الذي يشبه أبناء السِّفاح والعياذ بالله ، معكم ضد كلّ القبح والغدر والخسّة والخيانة ، معكم في نقاء ثورتنا وبياضها وبراءتها وسلميّتها ، كلّ " لا " الآن توزن بالذهب وتوضع كحجر

صلب في جدار الوطن الذي نعيد بناءه على أنقاض الخراب الذي يحاصرنا من كلّ صوب ، في المقابل أرفض القتل والتدمير والتخريب باسم الثورة ، الثورة تهدم أنظمة مستبدة بليدة ، ولا تهدم المنشآت أو تضرم النيران فيها ، كلّ مَن يلقي طوبة باتجاه مبنى ، عاما كان أو خاصا ، فليس ثوريّا ، هو مخرّب أغراه بريق القنوات الفضائية التي تنقل جرائمه على الهواء مباشرة في ظل غياب وزارة الداخلية التي غسلت يديها وتناست دورها ، وحكومة فاشلة عمياء تتخبّط فيما يُملَى عليها من بؤرة المقطّم برعاية قطر ، مصر الأكبر من كلّ هؤلاء الهواة تنزف دمها على قارعة الطريق ولا يرمش لهم جفن ، وكلما أفاقوا أعطونا حقنة شرجية على هيئة بيان إنشائي داخل قرطاس فارغ ، حكومة مصر ، بجلالة قدرها ، " تدين أحداث العنف التي حدثت في مختلف محافظات الدولة " يا نهار أسود !! كان ينبغي ـ لكي يكونوا واقعيين ـ أن يقولوا: " في مختلف محافظات مصر الشقيقة " فالذي يشجب ويدين هم الآخرون ، أما الحكومات ـ في الدولة المحترمة ـ فتتحرّك على الأرض وبين الجماهير وتتصرف وتحلّ وتواجه الخطر ، والعبد لله لا يشعر بأي وجود للدولة، ولولا وجود جيشنا البطل في الشوارع والميادين والقلوب لما تبقّى من مصر شيءٌ يُذكر ، وما بقيَ لنا أملٌ نتوكّأ عليه بعد إيماننا بالله تعالى (أكرّر للمرّة المليون : الجيش المصري فخرنا وتاج رؤوسنا ومحل احترامنا واعتزازنا ، وهو غير المجلس العسكري الذي قاد البلاد في المرحلة الهبابية ، فأضاعها وأضاعنا ، ورمانا فيما نحن فيه الآن ، موقفي من المجلس .. موقف من " إدارة " مسؤولة ساسيًّا ، وانتقادي أداء هذه الإدارة لا يثير ذرة من غبار على سُترة أحدث جندي في جيشنا العظيم ، هذه نقرة وهذه نقرة) .

النار تحت ثيابنا جميعا ، والثورة لم تمت ، ولن تموت ، وسوف تستكمل أهدافها مهما تكن التضحيات ، لكننا نريد أن تكون التضحيات بما يليق بها وبالوطن ، لا أن تذهب الدماء هدرًا من أجل الجالسين على أنفاسنا أو على المقاعد الوثيرة أو الطامعين فيها الزاحفين على بطونهم من أجلها ، الثورة لن تموت وستتوهج وتؤتي ثمارها بثبات هذا الشعب العظيم : بفلاحيه وعمّاله ومعلّميه وعلمائه ، برجال القضاء الشرفاء الحصن الآمن في كل زمان ، بالصعايدة الأبطال ، بأبناء خط الصمود الأول .. خط القناة ، بالألتراس بكل أشكاله النقية العفيّة ، وكنت كتبت لهم في أكتوبر ٢٠١١م '' يا ألتراسي '' ، وقلت :

مسا التماسي يا ألتراسي

زغللت عيني وجعت راسي

شقلبت حالنا في كلّ ملعب

ونخافها تقلب دمّ ومآسي

وبرغم كلّ الكلام دا كلّه

أرجع واقول لك : خلّيك حماسي

يا ألتراسي

وكانت في الصفحة ١٤٢ من ديواني الزجلي '' إذا الشعب قال '' الذي صدر في ٢٥ يناير ٢٠١٢م ، في الذكرى الأولى للثورة ، وبعد خمسة أيام من صدوره '' قلبت دمّ ومآسي '' في ملعب بور سعيد ، وها هو الدم يتساقط في الشوارع ، وها هي المآسي تطرّز مشاعرنا وذكرياتنا إلى الأبد ! لكن المُحزن أن تدفع بور سعيد وحدها الثمن ، كلّ قطعة في مصر أخذت نصيبها من الخراب ، لكن بور سعيد ـ والسويس معها ـ تدفع الفواتير كلّها نيابة عن الجميع .

أربأ بقضاء مصر العظيم أن يكون في أحد أحكامه رائحة شياط ، وأدعو الله أن أكون سيئَ الظن ، وأدعو ألتراس الأهلي أن يعي أن بور سعيد مصنع للرجولة والأبطال وليست من دول العدو ، وأنهما معا ـ الأهلي والمصري وجماهيرهما ـ كانا الضحيّة ، وأدعو الشعب العظيم ألا يبلع المخدّرات الانتخابية والوعود الفارغة التي تتساقط علينا من كلّ جانب ، وألا يثق في أحد إلا في الله وفي شبابه وثورته لكي ننقذ مصرنا قبل أن تسقط في مهبّ الجحيم تحت أنياب الضباع الجائعة ، وأقولُ لكل ثائر حق :

فَتَّحْ عينَيكْ وصَحْصَحْ

إيّاك في يوم ترَحْرَحْ

تركبْ وَهْمَك وتشْطَحْ

وتضيع في غمضة عينْ

***

دي ثورتَك نصيبَكْ

قَدَرَك لازم يجيبَكْ

الثورة لسَّه ف جَيْبَكْ

خلّيك ثابت متينْ

***

طولْ ما انتَ صاحي ثايرْ

كُلّ الأيـّام ينايرْ

وأيّ طاغي جايرْ

راحْ يهربْ مِنّك فينْ؟!

***

إوعي اللي بالي بالكْ

يسرَقْ مِنّك آمالكْ

ويبيع أرضَكْ ومالَكْ

لشويّة نصَّابينْ

***

لو ح تغمَّضْ عيونَكْ

فيه مِليونْ مين يخونَكْ

وبدال ما يكون في عُونَكْ

يبقى ف قلبَك سِكِّينْ

***

الثَّورة تبقَى حَيَّـة

دَمّ ، وصَبْرِ ، وتضحيَّة

ما هيَّاش مسرحيَّة

أو موَّال ليلْ يا عينْ

***

إنتَ فارسْ زمانكْ

رَبَّكْ حَماكْ وصانكْ

وبعزْمكْ وبإيمانكْ

شُفنَا الفَجْرِ المُبِينْ

مهما العذُول أدانكْ

خلّيكْ حارسْ ميدانَكْ

واصْمُدْ ، وارفعْ أدانكْ

الشعب يقول: آمينْ

***

إحنا النهاردَه جمعًا

بنقول يا ثورة سَمَعًا

واللي اتفرْعَنْ وفَرْعَنْ

راح يزحفْ ع الجبينْ

***

مُحال نرجعْ نطاطي

ونصدّقْ أيّ واطي

يقول أنا دِيموقراطي

ويفْضَلْ يخدعنا سنينْ

***

دي ثورتكْ نَصِيبَكْ

قَدَر َكْ.. تبْعِدْ .. يجيْبَكْ

الثورة لسّه ف جَيْبَكْ

إيَّاك في يومْ تلينْ

***

مواكب الشهداء الأبرياء والمستقبل المسروق

بائع البطاطا ،

الرمزُ الأشرفُ من كلِّ تجّارِ الكلامِ وباعةِ الفوضى[1]

" ....

أتُرى حينَ أفقأُ عينيكَ

ثم أثبّتُ جوهرتينِ مكانَهما..

هل تَرى..؟

هي أشياءُ لا تُشتَرى ...."

هكذا يباغتنا المتفرّد أمل دنقل في رائعته الخالدة " لا تصالحْ " ، كان أمل يحذّر من الصلح مع عدوّنا المزمن ، الصهاينة ، أولئك الذين لا يشبعون من الدم العربي ، ولا من الأرض العربيّة ، وكان الشاعرُ سابقًا لزمانه عندما استشرفَ ما يدور في رحم الليل وخلف سحابات المجهول !

لم يكن أبشع المتشائمين يتخيّل أن الأيام السوداء ستلتف حول أعناقنا وتجبرنا على أن نتجرّع أشعار أمل دنقل لنقولها في أنفسنا وما جنت أيدينا التي خلعت مشاعرها القديمة وارتدت قُفّاز القسوة والغدر ، فأصبح الرصاص الذي يحصدنا قادماً من بنادقنا لا بنادق الأعداء ! أصبحنا نحن أعداءنا ، نقتلنا نيابة عنهم ،

---

[1] العدد ٥٦ - ١٩ فبراير ٢٠١٣م.

ونمنحهم الوقت الكافي للمتعة والاسترخاء والفرح المجاني وهم يشاهدون دماءنا تتفجّر في الميادين والشوارع على الهواء مباشرة ، وقد يعتبون علينا ويطالبوننا بحقّ الملكية وهم يتابعون مسلسلات السحل وطرق التعذيب التي ابتكروها ، وربّما تفوّقنا عليهم تفوّقَ التلميذ على الأستاذ ، وما أحطّ من أن تكون تلميذاً لأعدائك ، وتقرّ لهم بحقّ الأستاذيّة فتعفيهم من عناء تدميرك وتدمّر نفسك بما يكفي أحلامهم ويزيد !

هكذا سالت الدماء الطاهرة على ثوب الثورة الناصع البياض ، وقبل أن تكتمل لنا فرحة واحدة اتشحت الشوارع والشرفات والقلوب بالسواد وملابس الحداد ، تسرّب الحزنُ في الأرواح وضرب بجذوره في أعماقنا ، وأصبحنا غير قادرين على شيء ... لا نحن نستردّ الثورة المسروقة ولا نقدر على إنقاذها من الوأد ، ولا نحن قادرون على فهم ما يدور حولنا وما يُحاك لنا ، ولا نحن قادرون على القصاص وردّ اعتبار الشهداء إذ تفرّقَ الدَّمُ بين القبائل وراحت الأرواح الطاهرة سُدى !

الشاشات مُلبّدةٌ بمشاهِدَ لمن يحملون السلاح ويتسكعون في الميادين ويقنصون الأبرياء والطاهرين هنا وهناك ، وفي كلّ مرّة تتمخّضُ التحقيقات والعاهة الموروثة المسماة "لجان تقصّي الحقائق " عن القول المأثور : " الفاعل مجهول " !!

والأسئلة التي تلامس بعضها فتفقس أسئلة (والمعنى مأخوذ من قصيدة للشاعر الفلسطيني خيري منصور) يأتي في مقدمتها سؤال استراتيجي : مَن المسؤول عنّا الآن ؟، وأعني بـ "عنّا " نحن الأشقاء المصريين !يعني ـ بالبلدي ـ نكلّم مين ومين نلاقي عنده الإجابة !زمان ... كان المسؤول عنّا رئيس يحمل لقب " المخلوع " ويقضي الآن فترة نقاهة في منتجعات طرة هو وولداه ، ولا أدري لماذا

لم يأخذوا معهم أسَّ المصائب شجرة الضّرّ التي كانت أهم سبب للورطة التي نحن فيها الآن ! ذلك المخلوع ، بأمن دولته وبكلّ جبروته وحراميته وعصابات المافيا التي توالدت في قصور الرئاسة .. لم يكن بأسوأ من المستنقعات التي نجدّف فيها الآن ، بعد أن وصلت دماؤنا إلى شواشي أعمدة النور ! وقد أخطأنا في حقّ مصر وحق المستقبل والأجيال التي لم تولد بعد عندما حاكمنا المخلوع عن جرائم قتل الثوّار ، وهي ـ لو تعلمون ـ آخر سطر في القائمة التي طولها ثلاثون عامًا ، كان يجب أن نحاكم هذا المجرم المخلوع عن كلّ ثانية أهدرها وخان الأمانة وقتل كلّ الفرص من أجل بناء مصر الحديثة على العلم والأخلاق والعمل الجاد والتنوّع المصري الخلاق الذي يندر مثيلُه ، لم يحرص المخلوع على الدفع بالكفاءات الوطنية إلى الصفوف الأولى وخلق كوادر متعددة في كلّ مجالٍ ، واختصر مصر العظيمة ومستقبلها في ولديه وذريته وكأننا ما جئنا إلا لنستمتع بجمالهم وعلائهم ونتفانى في خدمتهم ! أهدر المخلوع مصر المستقبل، وتركها دولةً على المحارة ، يتعلّم فيها الهواة ويجرّبون اختراعاتهم وابتكاراتهم المريضة ، وكان أول ابتلاءاتنا ذلك المجلس العسكري الذي يتغنّى البعض بجماله وجمال لياليه ، إنه المجلس المتواطئ الذي سالت تحت مسؤوليته الدماء فأراد الخروج الآمن ، وكان ما كان مما لا نعرفه ، ليسلمنا بدوره إلى ما نحن فيه ، وما نحن فيه لا أجد له مسمّى !! ما نحن فيه شيءٌ يشبه العدم ، بل العدم أهون وأهدى سبيلاً !

فوضى تلقينا في الفوضى التي تليها ، وارتباك يرمينا في دوامات التردد ، ولم نعد ندري من أين تُدار الدولة : من قصور الرئاسة التي تشتعلُ النيران حول أسوارها وعلى أبوابها من الغضب ؟ أم من هضبة المقطم حيث اللجان والتخطيطات

والتربيطات ؟ أم من جاردن سيتي حيث تكمن السفارة الأمريكية وبها عين الإدارة الأمريكية التي تحمل اسمًا حركيًّا هو آن باترسون ؟

النيران مشتعلة حول قصور الرئاسة (ذات نفسها) وإهدار كرامة الوطن تتواصل ليل نهار عبر عشرات الشاشات المأجورة ، والسيد الرئيس لا حسّ ولا خبر ، والسيد رئيس الوزراء (اللي زي عدمه) في الأراضي المقدّسة يؤدّي العُمرة ويقوم بالدعاء ـ في بيت الله الحرام ـ على المخرّبين والثائرين والغاضبين والانتقاديين وأعداء حكومته ورئاسته وجماعته وأخونته ! رئيس الوزراء الذي يشبه الظلّ رجلٌ لا محلّ له من الإعراب ، في الإدارة وفي السياسة وفي أي شيء آخر ! وكل البلاوي السوداء التي حلّت على رؤوسنا منذ مجيئه أثبتت أن خبرته في إدارة الأزمات لا تزيد عن الظهور في مواقع الأحداث والتقاط الصور التذكارية ، وعندما فتح الله عليه بالكلام أخطأ في حقّ مصر والمصريين ، وأهان قطاعا عريضًا من سيدات المجتمع ، واتهمهن بعدم النظافة ، وأساء بقوله إنهن يتعرضن للاغتصاب ، وبدلا من أن يسائل نفسه وحكومته عن أسباب كل هذه المآسي ، راح يلقي بالتهم فوق رؤوس المجني عليهم ! وبينما الدماء في الشوارع والنيران على أبواب قصور الرئاسة ، تواصل الجماعة خطتها الممنهجة في أخونة شرايين الدولة ـ لا مفاصلها كما يقول الطيبون ـ كما راحت تعدّ العدة من أجل توفير المخدّرات الانتخابية ورشاوى الأصوات ولو من تموين الغلابة بتواطؤ كبار المسؤولين ، وفي الجانب الآخر انشغلت جبهة الإنقاذ النهري بالصراخ وإطلاق التهديدات الفشنك ، ولم نخرج من مباريات عويلهم إلا بقراطيس الهواء التي يبيعها السيد عمرو موسى والسيد حمدين صباحي والسيد السيد البدوي ، ورحنا نتأرجح بين تحليلات سامح سيف اليزل

وابتكارات عمرو حمزاوي ومعتز عبد الفتاح وهدوء عماد أديب ،وعلى مقربة من أنفاسنا دولة تتهاوى بكلّ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الدماء التي سالت لم تفرّق بين مسلم ومسيحي ، ولا شيخ أزهري وفتاة بنت ناس وبائع بطاطا يعمل بشرف ليساعد أسرته الفقيرة المنكوبة بحسني مبارك ومن بعده دولة الإخوان الابتدائية المشتركة ، مسؤولية الدم موزّعة بالتساوي بين حسني مبارك والمجلس العسكري والنظام القائم الآن ، كلّه بالتناظُر ـ كما يقول أهل الرياضيات ـ أما إهدار المستقبل ففي رقبة النائم على ظهره ، الكائن بمنتجع طرة وكلّ الذين معه ، أولئك الذين تسببوا ، بإصرار وبخيانة ، في كلّ ما نحن فيه ... بين دعاة للظلام يريدون أن يلقونا في سجن الماضي تحت أقدام التاريخ ، وبين حرّاس الثرثرة وتجّار الكلام الذين يشبهون مراوح السقف المشروخة التي تعطيك أصواتا مفزعة وضجيجا ، وتلفحك بهواء سيء الرائحة !

سمعتنا في الحضيض ، واقتصادنا على شفا حفرة من الانهيار ، وإعلامنا فاترينات للكذب وتجميل القبح وتقبيح الجمال ، وفي حومة الوغى هذه تتكسّر النصالُ على النصالِ ، كما قال المتنبي ، ويسقط الشهداء الأبرياء الأطهار الذين لا نستحق قطرة من دمائهم لأننا كاذبون مخادعون طمّاعون جبناء أذلاء نعبد مطامعنا ونختبئُ تحت ألسنتنا ودموعنا الكاذبة .

لم نعد في دولة ، نحن بكل فخر في اللادولة !! لا إدارة ، ولا احترام للقانون ، ولا تخطيط ، ولا إجابات للأسئلة المتناثرة في الشوارع ، كلٌّ يبكي على ليلاه ، وكلٌّ يجري خلف أطماعه الخاصة ، ولتسقط مصر ، وليسقط المستقبل ! دولة يرفض فيها وكلاء النيابة أن يعملوا تحت رئاسة نائب عام أصبح وجوده عبئا على الدولة وليس

على وكلاء النيابة وأهل القضاء فقط ، دولة فيها وزارة داخلية أخرى غير التي نعرفها تقوم بالقبض على الثائرين الغاضبين وتعذّبهم وتنكّل بهم وتنتزع منهم الاعترافات وتقتل ما تيسّر منهم ، بينما وزارة الداخلية ـ الشرعية ، التي نعرفها ـ صامتة مؤدبة مهذبة ! حتى تقارير الطب الشرعي أصبحت مراجيح ، وبين مراجيح الطب الشرعي ومراجيح شائعات تدخّل السيّد النائب العام لإملاء قرارات بعينها على وكلاء النيابة ، يتأرجح الوطن في دوامات اليأس والشك والفزع ، ويصبح المستقبل عبئا ثقيلا على أكتاف كلّ الذين يفكرون فيه أو يحلمون به .

طار رأس تمثال طه حسين ، عميد الأدب العربي ، وفخر الأمة ولو كره المظلمون ، ذلك الأعمى الذي كان نور إيمانه وبصيرته أكبر من كلّ هؤلاء المشغولين بالتخلّف ، وارتدى تمثال أمّ كُلثوم النقاب تعبيرًا عن الاستهزاء بتجّار المرحلة ، وأمّ كُلثوم ليست تمثالاً ولا مجموعة من الصور ، إنها الحضور الطاغي الساكن في شرايين الأيام ولا يقهره مرُّ السنين ، إنها الأبقى من كلّ هؤلاء الأحياء الأموات ، أما الطفل المسكين عمر صلاح عمران ، فهو الجرح الجديد الذي يُضاف إلى قائمة جراحنا المؤبدة ، ذلك الصغير الذي كبر برغم أنفه بفعل الفقر والحاجة ، وراح يساعد أباه في إعالة الأسرة الكبيرة ، ولم يكن أمامه في هذه الأيام الضيقة سوى عربة البطاطا ، وهاهو يسقط شهيداً في طريق الشرف والكرامة ، إنه الصغير الكبير الذي لا يعادله مال ، ولا تساويه كنوز الأرض ، قتله جندي !! رسالته الأولى أن يقتل الأعداء لكنه قرأ الرسالة بالمقلوب فأدمى قلوبنا جميعاً ، واعتذر الجيش .. وهل يجدي اعتذاره ؟ وقدّم العزاء .. وهل يعيدُ العزاءُ الروح إلى جسد الضحيّة ؟ وقدّم ـ أو عرضَ ـ مبلغا من المال .. وهل يعيد المالُ البهجة إلى قلب الأم والأب

والإخوة المكلومين ؟ ....ووو ... لأعود إلى ما بدأتُ به من روائع الحكيم أمل دنقل

" .....

أتُرى حينَ أفقأُ عينيكَ ثمَّ .... إلخ "

هيَ أشياءُ لا تُشتَرى !!

يا للعار !!

***

ألف تعظيم سلام مرّةً أخرى

عبد الفتّاح السيسي

وطوفان الاحترام في زمن الاحتقار والازدراء [1]

كانَ بودّي أن أكتب عن البنت الصعيدية الشجاعة سميرة إبراهيم التي انتصرت على الولايات المتحدة الصهيو أمريكيّة وفضحتها أمام العالم كلّه ، إذ أصرّت الولايات على سحب جائزة الشجاعة من سميرة لأنها تهاجم إسرائيل ،لكن البنت الصعيدية التي تساوي ملايينَ الرجال رفضت الاعتذار وأصرّت على موقفها من إسرائيل والصهيونية ، وبذلك ، نالت جائزة شجاعة أخرى أضخم من التي ذهبت لاستلامها . سميرة التي فجّرت فضيحة "كشف العذرية "التي ارتكبها فصيل من الجيش ، للأسف ، ضد مجموعةٍ من فتيات الثورة ، ارتضين جميعاً ذلّ الصمت ومرارة الإهانة خوفًا من الفضيحة (في مجتمع مفضوح أصلاً) ، لكنّ سميرة رأت أنّ السكوت على الظلم ظلمٌ آخرُ للنفس ، وفجّرت القضية ... وكسبتها ، وكسبت أرضًا جديدة في مسيرة كفاح المرأة المصرية التي يريدون الآن أن يعيدوها إلى الظلام فيما يشبه الوأد ، وهاهي البنت تعطي درسا جديدا وتبصق في وجه أمريكا وتقول : لا ، في الوقت الذي يزحف فيه ذوي الشواربِ المبرومة

[1] العدد ٦٠ – الثلاثاء ١٩ مارس ٢٠١٣م.

ليمسحوا بخدودهم الأرض تحت أقدام أهل واشنطون ، أو يلحسوا أعتاب السفارة الأمريكية لترضى عنهم مبعوثة العناية الأوباميّة المدعوّة آن باترسون .

وكنت أريد كذلك ، أن أتعامل مع الظاهرة الباكينامِيّة الجديدة قبل أن تستوطن بلادنا وتتحوّل إلى مأساة مستديمة مثل البلهاريسيا أو أنفلونزا الطيور ، أمّا أخطاء ابن السيّد الرئيس وتطاولاته فأتركها لَمن هم في سنّه على " تويتر " والـ"فيس بوك ".

كما كنت أريد أن أقف وقفة تليق بمقام الدكتور أيمن نور الذي لم نعد نفهم ـ ولا هو ـ أي شيءٍ يريد ؟ ولا مع مَن يلعب ؟ ولا إلى أين ينظر !!! مفاجآت نور أشبه بحالات الطقس الأمشيري التي تضحك على كل توقّعات الأرصاد وتخسف بها الأرض ، غير أن كلّ ما يبتدعه المذكور يهون أمام موقفه من عزبة قطر التي أشاد بدورها في مساعدة مصر، وأكّد " أن هذه المساعدات هي لصالح المواطن المصري، وليست موجهة لفصيل سياسي معين، وقال إن المساعدات والاستثمارات القطرية تدخل القاهرة عبر القنوات الشرعية، ومن ثَمّ فهي تصب للشعب وليس لجماعة الإخوان المسلمين.كما لفت إلى أن قطر أثبتت أنها أكثر التزاما في وعودها، وأكثر حرصاً على مصلحة مصر، مُرجِعا الحملة الإعلامية على قطر إلى"الغيرة"من الدور الكبير الذي تلعبه إقليميا ودوليا، معتبرا أن الهدف من هذا الهجوم فيما يتعلق بالشأن المصري هو خنق النظام الجديد في القاهرة ، مشيراً إلى أنه لم تبق دولة إقليمية تتعاون مع مصر حاليا سوى قطر" ، كان هذا ـ سيّداتي وسادتي ـ موجزاً لأهمّ ما ورد بحوار المذكور مع صحيفة " العرب ..... القطريّة "، ولا أستطيع إلا أن أهديه ، هو وحبيبته قطر ، أغنية " جرّب نار الغيرة " لوردة ، ليغيظوا بها الدول الغيرانة والإعلاميين الغيرانين ، وربنا يكلل قصة الحب بالنهاية السعيدة .

كان لزاماً عليّ أن أتوقّف أمام طوفان عبد الفتاح السيسي الذي يحاصرنا من كلّ جانب ، طوفان من الحب والثقة وإعادة الهيبة للقوات المسلحة في صورة هذا الرجل العملاق وشخصه ، بعد أن اهتزت صورة العسكريّة المصرية كثيراً ، بدءًا من واقعة كشف العذرية وصولا إلى التواطؤ الواضح للمجلس العسكري في تخريب الثورة وقتلها وتضييع أدلة إدانة المتورطين في عمليات قتل المتظاهرين وتعذيبهم ، وفوق ذلك المسؤولية الجنائية عن كل تلك الوقائع باعتباره ـ المجلس العسكري ـ السلطة الحاكمة للبلاد ، وكل ذلك يهون أمام لعبة رهن الدولة في مخالب الضياع ، وتركها على شفا حفرة من الانهيار .

وبعد فشل كل التجارب الاقتصادية والسياسية والبتروكيماوية المعملية التي جرّبتها فينا حكومات الثورة وصولا إلى الحكومة المسكينة الحالية التي ترتدي طاقية الإخفاء لدرجة أن مواطنا مثلي لا يعرف اسم وزيرين منها مع رئيسها الذي لا يعرف إلى الآن " مين اللي زقّه الزقّة السودة دي ؟" ، وبعد أن أصبح الشارع سداح مداح ، وكلّ مواطن يفعل ما يريد في الوقت الذي يريد بلا خوف من سلطة ولا احترام للقوانين ولا العادات والتقاليد وأخلاق القرية ، وأصبحت تجارة السلاح والمخدرات والممنوعات بكل أشكالها لا تختلف عن التجارة في السلع الاستراتيجية المشروعة مثل الفجل والجرجير والخيار ، وبعد أن أصبحت صحة الدولة في النازل في كل شيء ، أصبح المواطن العادي الذي لا دخل له بالسياسة ولا علاقة له بجبهة الإنقاذ النهري ، ولا يعرف شيئا عن عمرو موسى والبرادعي والسيّد عبدربّه ، المواطن الغلبان المهدد في رزقه وقوت عياله ومستقبلهم ، المواطن الذي حدد له السيّد رئيس الجمهورية ثلاثة أرغفة في اليوم ، بمعدل رغيف واحد يتناوله بعد

الأكل ، و... الاستشارة وإعادة الكشف بعد أربع سنوات فقط ! ، المواطن الذي يتخبط في ظلمات انقطاع التيار الكهربي ولا يجد أنبوبة البوتاجاز إلا بشق الأنفس ، ولا يجد ما يروي ظمأ سيارته المريضة ، هذا إذا كان لديه سيارة ، من المواد البترولية السولارية والبنزينية والجازية ، المواطن الذي زادت عليه الأسعار والفواتير ويدفع في كل ثانية ضريبة السياسات المرتبكة والقرارات الخاطئة ، وأوشك أن يزحف على بطنه من هول آلامه التي لا دخل له بها ، المواطن الذي لم يعد يستطيع أن ينام حينما يريد أن ينام بسبب أمواج الشائعات التي تضرب بيته من مخرّات الفضائيات المأجورة (دينيّة أو كافرة)، تلك التي راحت تزعزع إيمانه بربّه وبوطنه وبكل القيم والمعاني الكبرى التي تربينا عليها ! فإذا ما قادته قدماه إلى الشارع امتلأ خياله بأشباح الميليشيات التي تريد أن تنقض عليه لأنه يمشي في الشارع ! المواطن الذي يجد عدة دول أخرى تتحرك حوله في بيته وعمله وشارعه ومقهاه وتسلب منه إحساسه القديم وتعيده خلقًا آخرَ ممزقاً مهترئاً يكاد لا يعرف نفسه ، فإن أراد الهدى وانطلق إلى المسجد ليستعيد أمنه وأمانه في رحاب صلاة الجمعة ، فاجأه خطيبُها جاحظُ العينين غليظُ الصوت والملامح وراح يسبّه لأنه يجأر بالشكوى ويطالب بحقوقه المشروعة المسروقة ، ثم يعيّره بصمته ثلاثين عاما على المخلوع ونظامه ، فلماذا لا يصبر مثلها أو ضعفها أو خمسة أمثالها على النظام الجديد الذي لم نعطه الفرصة بعد؟

في ظل انهيار الدولة وغيابها بدون عذر ، واختفاء وزارة الداخلية في ظروف غامضة ، ومع استمرار معاداة القضاء والاستهانة بالأحكام القضائية والقفز عليها ، ومع اشتعال النار تحت الملابس الداخلية بالخريطة بكاملها ، ومع ارتفاع منسوب الكراهية والغضب وكل ما في معجم اليأس والإحباط ، لم يجد هذا المواطن الغلبان

أمامه بعد الله سوى المؤسسة العسكرية التي لم يعد يرى عضواً سليما في الجسد المصري سواها ، وزاد بريق المؤسسة العسكرية نصوعاً وحضوراً بسبب الانطفاء المتعمّد لمؤسسة الشرطة ، هذا القتل المعنوي لرجال البوليس لا يستوعبه المواطن الذي يكرّ طوال يومه ويكد من أجل أطفاله ، المواطن يتساوى في البؤس مع رجال الشرطة الأبطال الذين نزعوا أظافرهم وحولوهم إلى خيالات مآتة ليصغروا في عيون مواطنيهم ، لغرض في نفوس بعض المرضى .

الحضور الطاغي لرجال القوات المسلحة وتدخلهم المهذب لإطفاء الحرائق المشتعلة في كل شبر على أرضنا ، أعطى المواطنين الثقة فيهم مرّة أخرى ، ورآهم الأحرص والأوفى والأبقى ، رأى فيهم القوة والإصرار والصرامة مع النُّبل والاحترام والتواضع والشهامة ، أما مواقف الرجل البطل عبد الفتاح السيسي فقد هدمت الكثير من أهرامات الشك ، كان الكثيرون يخافون أن تصل الأخونة إلى الجيش ، وفي هذا ضياع الجيش وضياع مصر ، وفي ظل بعض الصمت (المهذب) من الرجل ، ظنناه واحدا من المموهين المنزوعي الدسم ، غير أنه أخذنا من أعيننا وأعناقنا إلى كل ما يثير الإعجاب والدهشة ويعيد الثقة بأكبر مما يستوعبه الخيال وتتحمله مفردات الوضع المتآكل داخليا وخارجيا ، انتفض الفريق أول عبد الفتاح السيسي ليعيد الألسنة المتطاولة إلى جحورها ، وليعلن أن الجيش المصري جيش كلّ المصريين ، ولن يقف مكتوف الأيدي أمام ما يمس أمن الوطن والمواطن سواء كان من الخارج أو الداخل ، ومحا من هوامش النفوس المرتابة غبارَ الشكِّ في إمكان تمييع الجيش وأخونته ، أعاد الرجل لنا الثقة مرة أخرى في أن حدودنا الشرقية لن يجرؤ على انتهاكها عدو أو " حبيب " ، وجعلنا في حالة ترقّب لمجيء اليوم الذي نعرف

فيه قاتلي أبنائنا أبطال الجيش المصري على حدودنا مع العدو وهم بين الصوم ومدفع الإفطار !

قبضة السيسي الثقيلة ترج عظام المنتفخين المتورمين بزهو السلطة وإغراء الاستبداد ، كما تخيف الفئران المستأسدة التي تتعلّم فينا مبادئ الزئير والتخويف والاستعباط ، ولأنه ـ السيسي ـ يحملُ صورة البطل الذي تتجلى فيه كل الأحلام والطموحات ، انطلقت عاصفة التوكيلات له من أجل أن يدير البلاد قبل أن تسقط بفعل الأمريكان والولايات المتحدة القطرية وإسرائيل بمصاحبة فرقة حسب الله التاسع عشر من الخونة الداخليين ! وأصبح الكثيرون يتسابقون لعمل هذا التوكيل:" أوكّل السيد الفريق أول عبد الفتاح سعيد حسين خليل السيسى، بصفته القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع ... وذلك فى اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لتسليم إدارة البلاد للسيد المستشار ماهر البحيري رئيس المحكمة الدستورية العليا لجمهورية مصر العربية ،على أن يقوم الثاني بالقيام بتشكيل لجنة متوازنة مشكلة من مائة عضو لوضع دستور البلاد والتحضير لانتخابات رئاسية ومن ثم دعوة الناخبين (خلال شهرين) لاختيار رئيس لجمهورية مصر العربية ، وله الحق(الفريق أول عبد الفتاح السيسي) في اتخاذ القرارات التى من شأنها حماية أمن البلاد وأمن شعبها، وله الحق في التوقيع نيابة عنى أمام جميع الجهات في هذا الشأن.. وهذا توكيل منى بذلك"، هذا بالإضافة إلى عشرات الصفحات على الإنترنت تنادي بذلك .

" **هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان** " ؟

هذا جزاء الاحترام والعمل عند الشعب ومن أجله وفي خدمته ، وليت الرسالة تصل إلى كلّ الذين يدّعون أنهم يجيدون القراءة .

فِي الدَّوّامةِ معَ الدائرينَ فيها !!

جمهوريّة تايهة .. يا ولاد الحلال[1]

لا تتعجّب إذا لم تجد أمامك على قيد الحياة سوى مجلس السيّد أحمد فهمي وشركاه ، ذلك المجلس الذي جاء إلى الوجود بعدة أصوات تشبه التبرّع أو "إعطاء الحسنة "درءًا لإلحاح المتسوّل وغتاتته ! وبعد غياب الدولة بكاملها .. بمؤسسة رئاستها ، وبحكومتها التعبانة ، وبكلّ ما فيها ، يتحوّل هذا المجلس إلى منشار ينهش ما تبقّى من آمالنا الخضراء التي لم تدسْها عجلات الظلم والاستبداد في العصور الغابرة !! المجلس الذي سقط علينا مثلما تسقط طوبة عشوائية من سقف بيت قديم متهدّم يصارع قرارات الإزالة ويعاندها ويراوغها ، مجلس لا محل له من الإعراب ولا من الشرعية .. تمّ تثبيته في ظهورنا بنوعٍ من الغراء المخالف لكل الأعراف والقوانين والدساتير ، ولما خلا له الجو انتفض يفعل ما يريد بلا أي اعتبار لمستقبل الوطن ولا لمشاعر الرافضين والغاضبين ، والغريب أيضا أنه يرتدي طاقية

[1] العدد ٦١ – الثلاثاء ٢٦ مارس ٢٠١٣م.

الإخفاء ويتوارى في لمح البصر ، ولا نرى له أثرًا ، لكنه يعود من غيبته ليصدمنا بكل ما هو جديد في عالم الاندهاش والاستغراب !! فيأتي بقوانين مخالفة لكل المواصفات القياسية لأية دولة ناشئة ، ويبادر ـ وهو الذي يشرّع القوانين للأسف ـ بعدم احترام القانون ولا أحكام القضاء ولا المحكمة الدستورية (ذات نفسها) ، ولا مرجعية الأزهر (ذات نفسها أيضاً) ، وعلى الرغم من أنّه ـ المجلس ـ يدّعي أنه المسؤول عن الصحافة ، إلا أنه يمارس حركات النعام في مواجهة كلّ عمليات التنكيل التي يتعرّض لها الصحفيون في ظل الأيام السوداء التي نعيشها الآن ، مجلس الشورى الذي أغار على المؤسسات الصحفية ونزع أظافرها (بدون بنج) ، وحوّل الصحف الكبرى إلى مجرّد أوراق وأحبار منزوفة في الفراغ مثلما تنزف مواسير المياه النظيفة في مصارف الصرف الصحّي ! يعمل مجلس الشورى بنظرية الصمت الرهيب التي أرستها قصيدة " لا تكذبي " للراحل كامل الشناوي ، ربّما لأن ضحايا الصحافة من المغضوب عليهم الذين يعكّرون صفو الجماعة ، بالرغم من أنهم يؤدون أعمالهم بأمانة بلا تزوير أو صمت أو تزييف ، بدءًا من الشهيد الحسيني أبو ضيف وصولا إلى أحداث الأسبوع الدامي التي دارت على أرض المقطم بين الإخوان ومواطني جمهورية مصر العربية الشقيقة ، وبالرغم من اعتذار الجماعة بسبب الاعتداء على بعض الصحفيين الذين كانوا يؤدون عملهم وينقلون الحقيقة... الحقيقة التي تزعج ساكني أهل بيت المقطم ، فقد بُحّ صوت نقيب الصحفيين الجديد ضياء رشوان الذي جاء ليشجب ويندد ويطالب بالاعتذار

اللائق ، ولم يشفع له تنديده بالاعتداء على صحفيَّين من صحيفة الحرية والعدالة لسان حال الجماعة وذراعها الإعلامية عندماتعرّضا للاعتداء في موقعة جمعة "ردّ الكرامة " التي أهينت فيها الكرامة المصرية أكثر وأكثر ، ورأينا بأعيننا دماءً جديدة تُراق على إسفلت الشوارع ، وشاهدنا مواطنا يتمّ حرقه ، وبينما النار تشتعل فيه كان الآخرون يرقصون حوله ويصوّرونه بالموبايلات وكأنه عدو ، هذا لو كان عدوّاً ما جاز لنا أن نفعل به مثل هذه الجريمة النكراء ، لو كان كافراً وهبط إلى ديارنا لعاملناه برفق ورحمة لأن ديننا يأمرنا بذلك ، لكن قلوبنا أصبحت كالخرابات أو الحديد الصدئ ، نرقص فرحا لأن النار تلتهم مواطنا من الإخوان أو من غيرهم ! وها هو النقيب ضياء رشوان " نازل " شجب وتنديد ولا يكف عنهما ، بينما مجلس الشورى لا يسمع .. لا يرى .. لا يتكلّم ، المجلس مشغول بإتمام مشروع الصكوك.. الخطوة الأولى في بيع الوطن لإخلائه وتأجيره بعد ذلك بنظام المفروش دون اعتبار لرأي الأزهر وعلمائه ، ودون مراعاة لصراخ أعضاء حزب النور الذين انحازوا إلى القانون والشرع ورغبة المواطنين ، المجلس مشغول كذلك بطبخ قانون الانتخابات وتمزيق الدوائر ليسهل التهامها وتقليص فرص مرشحي حزب النور والمستقلين والأحزاب الصغيرة الأخرى التي قد تقرر مقاطعة الانتخابات وتركها لجماعة الإخوان المحظورة ، تلك الجماعة التي تراوغ وتلتف على القانون لتثبت أنها غير محظورة فتقع ـ برجليها ـ في المحظور لأن القانون يحظر عليها ممارسة العمل السياسي (ألا تكبّرون ؟)، في الوقت ذاته يتباهى كارهو الإخوان ويتراقصون فرحًا

بسبب خسارات الجماعة المتتالية في انتخابات اتحاد الطلاب بالجامعات المختلفة ، ومن بعدها انتخابات نقابة الصيادلة ، وهي ـ الانتخابات هذه ـ وإن كانت تعطينا مؤشّراً مهما للغاية وهو : حيثما يكن الوعي يكن الاختيار الصائب ويفشل باعة الوهم ، إلا أن ذلك لا يصلح مقياسًا لانتخابات مجلس النوّاب ـ الأمة ، الشعب .. سابقًا ـ فهنا يتراجع الوعي إلى درجة الاختفاء والتلاشي ، ويفسح المكان لرشاوى السكر والزيت والأرز والتزوير والبطاقات الدوّارة ! ليأتي مجلس نوّاب ملعوب في أساسه ، يقوم باستكمال عملية التجريف التي يقوم بها مجلس الشورى الآن باقتدار.

وقد تتساءلُ مثلي : ولماذا يقاتل هؤلاء من أجل قتل الدولة وإلغاء هويتها وشطب ماضيها وقطع طريق مستقبلها ؟ أقول لك : ليس المسؤول بأعلم من السائل ! أنا مثلك ، ومثل الملايين المتدحرجين في الدوّامات المتشابكة التي دخلناها معاً منذ صباح السبت .. الثاني عشر من فبراير ٢٠١١م ، بعد خلع المخلوع بسواد الليل فقط ، ومنذ أن استلمنا المجلس العسكري وراح يقايض بنا ويعقد الصفقات التي كانوا يسمّونها : الخروج الآمن ، ونحن كالنمل الغارق في شبر مَيّه ، وهاهي الأيام تدور بنا ولا نعرف أولها من آخرها ، يقسم الرئيس على احترام الدستور والقانون ، وبعد سويعات يخرقهما ويعطي الآخرين المبرر لعدم احترامهما وعدم احترام القضاء ، وتتغنى أبواق الجماعة بالإنجازات التي تمخّضت الآن عن وقوفنا على شفا حفرة من الإفلاس ، وتتعالى الشعارات التي تتاجر بدماء الشهداء ، ولم نرَ قصاصاً ولا ثأراً بل رأينا مزيداً من الأسماء التي تضاف يوميّا إلى قوائم الشهداء

،بينما الفاعل مجهول دائماً وأبداً ، وتحولت علامة الاستفهام إلى لبانة في أفواه الحائرين والمندهشين ، ولا أحد يملك مفاتيح الإجابة ، ولا أحد يستطيع التكهّن بما سيحدث بعد ثوان معدودة .

وأعتقدُ أنّك مثلي تتحسس الحروف وأنت تقرأ مثلما أرهقتني وأنا أكتب ، نحن معًا على موجةٍ واحدةٍ ـ حتى ولو كنّا مختلِفيْنِ في الرأي ـ نتقاسمُ الهَمَّ والقلقَ والرعبَ من اللحظةِ المقبلةِ التي لا ندري ماذا تحمل لنا في طيّ غيبِها وكتمانها !!

أنت معي إذًا في قلبِ الدّوّامة التي ندورُ فيها جميعًا ... نصرخُ بأعلى أصواتنا : أين مصرُ التي حَلُمنا بها ؟ يتناثرُ حولنا غبار الأمنيات ، وتزكمنا رائحةُ الشياط التي تأتينا من كلّ صوب ، النيران التي كانت على حدود المستحيل وأبعد من أن تمرّ بخيال الأبالسة والمتشائمين ـ على حدّ سواء ـ أصبحت تحت جلودنا وتكاد تنخر العظام !

كانت ثورة نقيّة عفيّة طاهرةً ، زلزلت الأرض تحت أقدام الرئيس المزمن ونظامة وألقت بهم في مزبلة التاريخ ، وجعلتهم عبرة لكلّ طاغية مستبد ، ولكل حرامي ناشئ ، وكل سارق ثروات أو سارق ثورات ! ، ثورة أدهشت العالم ، وأرغمت الأمم الأخرى على ابتكار ميادين تحريرها ليفعل أبناؤهم مثلما فعل أبناء المصريين ، وقبل أن يوغلوا في الإعجاب بنا وتقليدنا واستنساخ ثورتنا ، أيقظتهم الدماء التي انسكبت على ثوب الثورة ، وفي غفلة من الأبرياء الحالمين اختطف الغراب ثورتهم من أحضانهم ، وسجّلها باسمه في مكتب الشهر العقاري بالرغم

من عُقمه التاريخي الذي يشهد به كلّ أطبّاء النخوة والرجولة والشهامة ، والذين أثبتوا أنه بلغ شيخوخته بعد أن أضاع شبابه في الكذب والتدليس والنفاق ، وعندما دخل شيخوخته لم يكن يحمل في جَعبته سوى الكذب والتدليس والنفاق ، إنه السارق الانتهازي المحترف الذي يمد منقاره الشؤم ويسرق الحبّةَ من حواصل الطيور البريئة !

شعبٌ بأكمله يتدحرجُ نحو المجهول كـ "جلمودِ صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ" كما قال امرؤ القيس في مُعلَّقته الخالدة ، والدولة غائبة ، انصرفت بدون إذن ، وخرجت من كتاب الزمن ومن سطور التاريخ الذي وضعت أساسه منذ فجر الوجود ! مؤسسة الرئاسة خارج نطاق الخدمة ، والحكومة مشغولة بمتابعة المسلسلات التركيّة التي تحاصرنا بها الفضائيات ، وجبهة الإنقاذ النهري تواصل الصراخ والتهديد بفعل لا شيء ، لتسقط الدولة في دوامة الفتن والصراعات الجانبية التي وضع لها حزب الحرية والعدالة سيناريوهاتها التي لا تنتهي ، وأصبح الإعلاميون ـ الصحافة الحرة والقنوات الحرة على وجه الخصوص ـ هم الشوكة التي تقف في حلق هؤلاء وتمنعهم من استكمال التهام الفريسة التي كانت معروفة باسم جمهورية مصر العربية ! ولهذا ، كان اصطياد الحسيني أبو ضيف ، والاعتداء على كثيرين من بعده ، والاعتداء على مقر جريدة الوفد وجريدة الوطن ، والتهديد المستمر بمحاصرة مدينة الإنتاج الإعلامي وإحراق قنوات بعينها ، ليس من بينها قناة " الناس " أو " الحافظ " أو "الأمة "، بالرغم من أنها تمثّل رأس الفتنة !

كنّا نصرخ ونطالب باستمرار سلمية الثورة ونقائها ، ولكن الدماء الكثيرة التي سالت نزعت الرحمة من قلوب الناس ، وأغرت الكثيرين بالاعتداء والتخريب والتدمير ، بل والقتل والتمثيل بالجثة ، فوزارة الداخلية نائمة ، و"كل واحد ياخد حقّه بإيده " ، والمخرّات الفضائية تسكب نيران الغضب في شرايين الثائرين ، ومتحدّثو الجماعة أصيبوا بنوبات متتالية من حمى التصريحات اللا إرادية بعد شعورهم بارتفاع منسوب الكراهية والاحتقان ضدهم ، ومتحدّثو جبهة الإنقاذ النهري وجبهات المعارضة الأخرى فقدوا السيطرة على ألسنتهم ، وراحوا يرقصون على أوتار مشاعر الغلابة ، ولم يتبّق إلا بعضٌ من العقل لدى بعض حكماء حزب النور ، وهؤلاء تضيع صرخاتهم سدى مع صرخات الآخرين من الأبرياء والمخلصين ، وفي الظلام ... يواصل مجلس السيد أحمد فهمي وتابعه شهاب صكّ القوانين المشمومة ، وإغاظة جماعة الصحفيين والطرمخة على حقوقهم ، بينما ضياء رشوان يواصل الشجب والاستنكار حتى إشعار آخر .

كلنا نتدحرج داخل دوائر متدحرجة ، ننادي بأعلى صوتنا : جمهورية تايهة ... يا ولاد الحلال !!

***

المدرسة الحلزونيّة

في تعطيل الأحكام القضائية[1]

لم يعد مهمّا أن يعود الدكتور عبد المجيد محمود إلى عمله كنائب عام شرعي انتُزِعَ منه مقعده في وضح النهار ، برغم أنف القانون والدستور والهيئات القضائية وجموع الشعب المصري (إلا .... قليلا)!!

المنصب تمّ ازدراؤه وفقد بريقه ، والصيت والشهرة خرجا من الباب الخلفي هربًا من الكاميرات الخفية وأعين المتلصصين وألسنة الهتّيفة المُستأجَرين ، فقد جاءت عملية السطو العلني على المنصب والكرسي والصيت والشهرة في سيناريو أغرب من الخيال ، وبإصرار غريبٍ على هتك عرض الدستور على قارعة الطريق وأمام أعين العالم كلّه في حلقة من حلقات مسلسل القضاء على مؤسسات الدولة من أجل إعادة تركيبها ـ بمزاج ـ في إحدى ورش المقطّم الوهميّة ، وعلى طريق إلغاء الدولة المصريّة وإغراقها ، بماضيها العريق وحاضرها الكسيح ومستقبلها المسروق الذي لا يعلم به إلا الله في علاه !

لم يكن عبد المجيد محمود هو الهدف لذاته ، ولكنه المنصب المهيب الذي ينوب فيه صاحب المقعد عن المجتمع كله في تحريك الدعاوى الجنائية وملاحقة المعتدين على هذا المجتمع أينما كانوا ، وأيّاً " مَن " كانوا ! ولأن هناك جراحًا قديمة ما

---

[1] العدد ٦٢ – الثلاثاء٢ أبريل ٢٠١٣م.

تزال تنزفُ تحت طيّات الذكريات المؤلمة وفي الرؤوس المتقيّحة فقد كان من المستحبّ ، طبقا للشرائع التي لا نعرفها ولم نسمع عنها ، أن يتم تفكيك كل المفاصل القويّة في جسد الدولة حتى تهترئ وتتآكل وتتحلل ، ثمّ يتمّ تركيبها "على رواقة "، طبقًا للكتالوجات المستوردة من الخارج ، بما لا يُخالف شرع أوباما ، ولا يُغضب إسرائيل ، ولا يستفزّ الولايات المتحدة القطَريّة ، وبما يحقق أولى خطوات إعادة الخلافة للقضاء على ما تبقّى من الحضارة الإسلامية ، وإغراق كلّ ما هو إسلامي في مستنقع الفتن والتناحر والتخلف ، وعندما تكون مقدمة الصفوف تضربُ بأقدامها في وحل الماضي وتستمرئ التخلف وتستموت من أجل الحفاظ عليه .. فماذا تنتظرون ؟ ألا تكبّرون ؟

نحن أمام حالة فريدة ربّما لم تحدث في تاريخ الأمم المعروفة وغير المعروفة ...أن تكون في سفينة تصارع الغرق في بحرٍ لُجّيٍّ في ليلةٍ سوداء عاصفة ، وبدلا من أن تستجمع قواك وتستنفر كلّ مَن حولك ليقاتلوا من أجل النجاة ، تقوم بإقصائهم وتجاهلهم ، ثمّ تنفرد بالأجزاء السليمة في تلك السفينة وتقوم بنشرها ونخرها ونحرها وإعطابها لتهوي في قاع البحر و........... إلى الأبد !

ولأنّ الشعب المصري طيّب وعلى نيّاته ، فقد عاش مضحوكا عليه ولم يعرف أن سبب كلّ مصائبه وبلاويه لم يكن السيّد الرئيس المخلوع وأهله وعشيرته ، بل عبد المجيد محمود والمحكمة الدستورية العليا والهيئات القضائية الأخرى والمخابرات العامة و..... يوسف الحسيني ولميس الحديدي وباسم يوسف !، ولذلك ... يتكفّل رعاة الدولة المصرية وحُماة ثورتها المباركة بأن ينتقموا لها من كلّ هؤلاء الذين كانوا السبب في تخلفها وتراجعها وتحوّلها إلى دولة مسكينة على باب الله

تستدر عطف الدول التي لا تُرى بالعين المجرّدة من أجل حفنة قمح ، أو لتر سولار، أو ٣ وات كهرباء ! كان المذكورون أعلاه ـ ومَن وراءهم من المعارضين والغاضبين والإعلام المغرض والعياذ بالله ـ هم سبب كل البلاوي والمصائب التي نتراقص فيها الآن أو على وقْعِها وإيقاعها ، ولأن الثورة ثورة ولها مَن يحميها فلم يكن هناك مفرّ من إلغاء الشعب ووضعه تحت الوصاية في حضّانة اللا مؤاخذة الديموقراطية ، والديموقراطية الحديثة ـ يا مواطن ـ تعني إهدار الشرعية وذبح القانون والدستور والقفز على جثتيهما ، والرقص ـ إن أمكن ـ بمصاحبة فرقة حسب الله السابع عشر وفروعها في المحافظات والكفور والقرى والنجوع ، ولعلك لا تنسى ـ ولن تنسى ـ كيف سار بنا منحنى السواد والضياع بسرعته الفائقة منذ الليلة الهباب التي وُلد فيها الإعلان الدستوري (اللا دستوري) في ٢١ نوفمبر ٢٠١٢م ، فقبلها ـ تلك الليلة ـ كان النزيف تحت السيطرة ، والآلام في منطقة الاحتمال ، والكوابيس والمخاوف والبلاوي الزرقاء ... أيضا عند الحد المتعارف عليه في مثل حالتنا ، كانت هناك دماء وشهداء ومصابون وحرامية وخونة وكلاب ثورات يلعبون مع الكل ضد الكل ، لكننا كنا نقول : هكذا الحال ، كان الاحتياطي الدولاري يتناقص ، والموارد تتآكل ، لكننا لم نكن خائفين ، كنا ندرك أننا ندفع ضريبة التحوّل والانتقال إلى مستقبل يليق بالمصريين وبتضحيات أجدادهم وآبائهم وأبنائهم ، ولكنها ـ تلك الليلة المشؤومة ـ باغتتنا بأمطارها السوداء وعواصفها الاستبدادية التي اقتلعت الدستور من جذوره وألقته طريحا تحت أقدام المارة ، وجاء الحطّابون المأجورون ليقوموا بتمزيق ما تبقّى منه على قارعة الفضائيات العشوائية ، والناس حائرون ... يتساءلون : أهذه ثورةٌ يا عمّ الحاج ؟

كان الناس في بلادي واهمين ، لأنهم طيّبون ، لم يكونوا يدركون أنهم سوف يدفعون ثمن هذه الطيبة بكاءً وندما ، وها هم يتجاوزون مرحلة البكاء بالدم بعد أن استنفدوا رصيدهم ومدّخراتهم من الدموع ، وماذا عساهم أن يفعلوا ؟ نعم : ماذا يفعلون ؟ دولة تمت سرقتها ويتم تفكيكها وإعادة تركيبها طبقا للكتالوجات إيّاها ، فإذا ما انتفض الغاضبون وثاروا ـ كالعادة ـ حاصرتهم الميليشيات من كلّ فجٍّ عميق ، وأخطرها تلك التي تتلاعب بالقانون ، وهي أخطر من حصار المحكمة الدستورية الذي سيبقى وصمة عار في الصفحة الأولى من تاريخنا الحديث، التلاعب بالقانون يسير في عدة اتجاهات على رأسها نسفه من أعلى سلطة وبعدها يقوم سلاح المُشاة البرّاني بالزحف المقدّس في الشوارع والميادين والهتاف بتأييد النسف والمطالبة بنسف جديد (نسف لكل مواطن) ، وعلى الجانب الآخر تقوم الميليشيات القانونية بالانقضاض على الآخرين قبل أن يتحرّكوا ويتم إنهاك القضاة وتضييع الوقت في إجراءات جانبية فارغة ، وكلّه باسم القانون الذي لا يحترمونه أصلا !! وتكتمل الصورة قتامة عندما نرى الكيل بعدة مكاييل في سوابق جديدة ، أو ابتكارات لا نظير لها في حقل العدالة الذي أصبح مستباحا كحقل برسيم ليس له صاحب ! قتلة ومجرمون أمام الجميع ، عيني عينك ، وعلى سبيل المثال : وقائع الاتحادية ، تراهم يعربدون ويلعبون ويروحون ويجيئون والعدالة لا تراهم لأنهم يلبسون طاقية الإخفاء ، وأناس يقومون بدور الشرطة فيقبضون على الأبرياء ويسحلونهم ويعذّبونهم ويقتلعون منهم اعترافات عن جرائم لم يرتكبوها ، ثم يسلمونهم للشرطة الرسمية والنيابة العامة و..... ينصرفون ! كيف لم تقبض عليهم خالتك عدالة في الحال ؟ أين هم ؟ أين قاتلو شهداء الاتحادية ؟ وأين حارقو مقر

حزب الوفد ومحطّمو صحيفة الوطن ؟ أين قاتلو جيكا وكريستي ومحمد الجندي ؟ ولماذا لم نسمع عن طلبات ضبط وإحضار لتجار الدين الذين يتسكعون على نواصي الفضائيات التي تسيء إلى الدين وتجعل منه سلعة رخيصة يرتزق منها الجهلة والعاطلون عن العمل والفعل الإيجابي ! لماذا هذا الأكلان التلقائي أو الأوتوماتيكي ضد كل ما هو معارضة شجاعة كاشفة لا تخفي رؤوسها في الرمال ؟ أتريدونها معارضة من النوع المطاطي ؟ لديكم كثيرون وكشفناهم وسيلقون مصيرهم الذي يوعدون ، أم حسبتم أنها ـ مصر ـ لقمة سائغة تأكلونها بدماء الشهداء وأبواق المنافقين وتصفيق المنتفعين وحشرات كلّ العصور ؟

ما هو الهدف من وراء تشويه صورة الجيش المصري البطل ومخابراته ، وإطلاق سيول الشائعات المهينة والمسيئة ضد هؤلاء المثابرين الصامتين القابضين على الجمر؟ لماذا يتم اللعب بركائز الوطن : الجيش ، الشرطة ، القضاء ، وإطلاق الضعف والوهن في شرايين الدولة بالكامل بزرع أولي الثقة من أهل السمع والطاعة على حساب الكفاءات ومستقبل الوطن ؟ ومَن المستفيد من كل هذه الالتفافات على الأحكام القضائية لتعطيل تنفيذها وشغْل وقت القضاء بالتوافه والغبار الجانبي؟ وعندما يصدر حكمٌ ما من محكمةٍ ما ضدّ مؤسسة الرئاسة أو أية سلطة تنفيذية فما دخل حزب الحريّة والعدالة في الموضوع ؟ لماذا يسارع أفراده بالتصريحات الرافضة والمستنكرة والمهددة بالتصعيد والاستئناف والـ... مش عارف إيه ... ما دخلكم ؟ ولماذا هذه الحُرقة وأنتم حزب محظور ومقضي عليكم بالبطلان والانعدام بحكم نهائي ؟ هل تظنون أن مجلس الشورى يعطيكم صفة الأغلبية وهو باطل أصلا ولا يزيد عن حجم زائدة دودية في أمعاء نملة ؟ وهل ما

زلتم تكابرون بعد أن تأكد أنكم محظورون بالثلاثة مهما التففتم ومهما حاولتم التوفيق ـ أو التلفيق ـ بقوانين تم تفصيلها على مقاسكم ؟ شيء غريب .. أن يصدر حكم قضائي أو رأي معارض شجاع أو كلمة حقّ من أي طرف وأي اتجاه فيخرج علينا المتحدثون الثرثارون بصيغة واحدة وكأنهم نسخ من شريط كاسيت ، وكل واحد منهم يجرّ خلفه مقطورة ألقاب ومسميات لا قيمة لها ولا تعنينا في شيء ، ثم ينفتحون رغيا لا تجني منه جملة مفيدة (مثل مراوح السقف كما شبّهتهم سابقاً) ، أنتم الآن خارج اللعبة ، وإن كان هذا الخراب يرضي غروركم فنرجوكم أن تريحونا من الكلام ، وأن تتركوا مؤسسة الرئاسة تتعامل مع أحكام القضاء بطريقتها ، ولتكن نصائحكم في السرّ فربنا أمر بالستر ، وإن كنتم ترون المآسي كلها في عدد من الإعلاميين والغاضبين ، فنحن نرى فيكم أسوأ ما تظنون ، وعند لحظة الحساب لن يشفع لكم مجلس شورى باطل ينزف قوانين منعدمة تولد ميتة ، ولن يشفع لكم صياحكم وتهديدكم بعدما أهدرتم كل الفرص التي كان من الممكن أن ترتفعوا بها وترفعوا هذا الوطن ، أما الطريقة الحلزونية في الالتفاف على الأحكام القضائية وإشعال الفتن هنا وهناك وشغل الرأي العام بتوافه الأمور وسفاسفها ، فلن نجني من كل ذلك إلا الخراب والدمار والتخلف ، وهذه الأشياء لن تنتقي ولن تعفيكم من زحفها ، وعندما تقفون في طابور الجياع ستكونون أول الضحايا فأنتم السبب .

ويا دكتور عبد المجيد محمود ، هنيئا لك ، وللقضاء ، هذا الحكم ورد الاعتبار، وعليك أن تغلق الصفحة وتذهب بعيدا وتستريح ، اترك الصراع لغيرك واغسل يديك وانصرف ، فالأمل كل الأمل في شباب النيابة والقضاة وزملائهم في كل المحافل القانونية ، وعندما تشرق الشمس ينكمش الظلام ويتلاشى كأن لم يكن .

زعيم القِلّة العالميّة المُندَسّة

جون ستيوارت ،،

وحديثُ الأصابعِ خارجَ الحاراتِ المزنوقة !![1]

هل تسمعونَ عن المَثَلِ الفرعوني الخالد " جـَه يكحّلها عماها "؟! هذا بالضبط ما يحدثُ الآنَ على الساحتين ، الواقعية والافتراضية ، فقد حاولَ بعضُ الفدائيين المتطوّعين من أفراد الميليشيات القانونيّة الدفاع عن السيد الرئيس ، بدون طلب منه، ضد العدو الغاشم المتسبب في كلّ البلاوي والمصائب التي نسبحُ في مستنقعاتها ، والذي أصبح يهدد أمن مصر ومستقبلها ويوشك أن يأتي على أخضرها ويابسها ألا وهو المدعو باسم يوسف ، وذلك بما يشنّه من هجماتٍ وغارات وحشية مُباغِتة من خلال برنامجه " البرنامج " على شاشة إحدى قنوات الفلول والعياذُ بالله !! تلك الغارات التي أدت إلى حدوث نقص في المواد البترولية ، وانقطاع الماء والكهرباء ، وارتفاع الأسعار والضرائب ، ونقص الاحتياطي النقدي من العملات الصعبة ، وزيادة معدل الأزمات القلبية والنفسية وأمراض السكّر لدى المواطنين كافة .

تحرّكت المدفعية القانونية الجبّارة لتحاصرَ المذكور ، وشنّت غاراتها المضادة من منصة النيابة العامة تؤازرها منصّات إعلاميّة كثيرة (متطوّعة أيضا ، وبما لا يخالفُ شرع الله) ، وبعد عدة طلعات عشوائية بالأسلحة الخربانة المتهالكة ، انقلب

[1] العدد ٦٣ – الثلاثاء٩ أبريل ٢٠١٣م.

السحر على الساحر ، واشتعلت النارُ داخليًّا وأصبحت الفضيحة بجلاجل ، كما انتفضت الأصابع العالمية وهاجت وماجت بقيادة المذيع الأمريكاني الساخر جون ستيوارت الذي يبدو أنه لم يكتفِ بمدّ أصابعه فقط ، بل انتابه نوعٌ من الطمع المفاجئ الذي يباغت مثل هذا العشوائي المندسّ ، فمد يديه معًا ، وربما رجليه ، ورأسه... بالمرّة !

المندسّ الجديد ـ في شؤوننا الداخلية ، ولا مؤاخذة ـ جون ستيوارت ، أشهر مقدّمي البرامج الكوميدية الساخرة في العالم ، وهو أمريكاني يهودي كما تعرفون ، وتعرفون أيضًا أنهم في مثل تلك الدول التي لا تطبّق شرعَ الله ، لا يتنابزون بالألقاب ولا بالأديان ، ولا يتربّصون بعقل أي مفكّر ليقوموا بتفتيشه أثناء نومه ، ولا يحاسبون أحدًا مُقدّمًا على أفعاله وجرائمه التي لم يرتكبها بعد !! هناك ، عند هؤلاء ، المقياس الوحيد لقيمة الإنسان ومعنى وجوده هو عمله ، وما يقدمه لوطنه ومن بعده البشرية جمعاء ، وإذا استثنينا الإدارة الأمريكية بانحيازها المُزمن لإسرائيل وعلى طول الخط ، ثم نضيف إلى تلك الإدارة / الإدارات تجّار الموت ورعاة الخراب ومشجّعيه من صانعي الحروب والفتن .... والأسلحة ، ثمّ بعض شواذ الفكر والتفكير من العنصريين ، سنجد مجتمعًا راقيًا متحضّرًا ، به مجرمون محترفون وعلى كلّ شكلٍ ولون ـ أي نعم ـ مثل كلّ المجتمعات ، لكنّ السواد الأعظم من الناس (العامة) من الأسوياء أنقياء القلب لا يعانون أمراضًا نفسية ولا تطاردهم التوهّمات والافتراضات التآمريّة كلما شاهدوا كائناً غريباً عنهم ومن غير بلادهم ، أو رأوا بعض أصابع الموز أو أصابع الروج أو أصابع الطبشور (الطباشير) .

أما صورة العرب والمسلمين فأنت تعرف يا أخي المؤمن أنها ليست صورة إيجابية في الذهنية الغربية بوجهٍ عام ، والأمريكيّة بوجهٍ خاص ، وزاد الأمر سوءًا

وسوادا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م عندما تمّ نسف بُرجي التجارة ومعهما كرامة أمريكا ، ويومها ، تسابق الكثيرون منّا للتعبير عن الشماتة والفرحة والمناداة بالمزيدِ من الانتقام من الأمريكان وكلّ مَن يناصرونهم ، ولم نكن نعلم أننا سندفع الثمن غاليًا ، وما ضحكناه ورقصناه وزغردناه سنردّه بكاءً وحسرةً وندمًا،إذ أصبحت صورة " الإسلامي"مرادفًا لكلّ مفردات مُعجم التخلّف والبدائية والإرهاب ، ولم نفق من غفوتنا إلا عند قيام المأسوف على إدارته جورج بوش الابن بشنّ الحرب المقدّسة ضد دولة أفغانستان الشقيقة ومن بعدها العراق الشقيقة برضه ، من أجل تجفيف منابع الإرهاب والسيطرة على منابع البترول ، وتعرفون جيّدًا بقية حلقات المسلسل الذي لم ينتهِ بعد !

وبالرغم من صلف الإدارات الأمريكانية السابقة وبجاحتها ، فإنّ أحدًا من رؤساء أمريكا السابقين لم يجرؤ ليقولها علنًا جهارًا نهارًا " إنّ القدس ستبقى عاصمة إسرائيل الأبدية " دون أدنى مراعاة لمشاعر جماعة الإخوان المحظورة وشركائها وفروعها ، ولكن فعلها باراك أوباما مُخرِجًا لسانه لأكثر من ثلاثمائة مليون زلمة بعد أن وضع مَن يظنّون أنفسهم زعماء في فردة شرابه (جوربه) ، ووضع الخريطة العربية الممزقة كلها في الجَورب الآخر ، قالها في قلب إسرائيل ولم نسمع ردًّا أو رفضًا أو شجباً أو تنديداً كالمعتاد ، الجميع منشغلون ببرنامج "البرنامج " الذي سيدمر مستقبل الوطن وسيقضي على كلّ طيور النهضة وهي في البيضة لم تفقس بعد ! انشغل المنافقون " بأقل من ساعة في الأسبوع " هي تجميعات من أرشيف الشاشة التي أصبحت تنوء بحمل ما ينسكب عليها من كذب واستهبال ونفاق مفضوح حتى من مواطنين يعملون في مجال كرة القدم ولا يعرفون شيئا أبعد من الأوفسايد ورمية الآوت !

وبالرغم من استمرار وزراء خارجية أمريكا على نهج رائدهم الصهيوني الفج هنري كسينجر ، ومعهم سفراء أمريكا في الوطن العربي المشروخ وخصوصًا مصر ، فإنّ أحدًا من هؤلاء السفراء لم يجرؤ على الإتيان بربع ما تأتيه آن باترسون ، سفيرة إسرائيل أقصد أمريكا في القاهرة ، فالست آن تمرح كما تشاء ، وتلعب كما تشاء ، وتصرّح كما تشاء ، ولا أحد يقول لها : عيب اختشي يا ست انتي ، لكن هاجت الدنيا وماجت عندما ارتكبت السفارة طرفنا خطأ فادحا فأدرجت على حسابها الخاص بـ" تويتر " جزءا من حلقة برنامج الأخ جون ستيوارت التي يتضامن فيها مع باسم يوسف ، النسخة المصريّة منه ، ارتعشت الأرض وتزلزلت لأن باترسون سمحت بذلك ، كيف تجرؤ سفيرة أمريكا على المجاهرة بمناصرة هذا العدو اللدود ـ باسم يوسف ـ الذي خرّب البلاد وأهلك الحرث والنسل وجابنا الأرض ؟ بينما الصمت الرهيب هو الرد الطبيعي على كلّ ما تفعله خالتك آن في كلّ آن ! وقد تحقق لنا الانتصار على هذه السفيرة وأجبرناها على التراجع ومسح هذا الفيديو من موقعها على " طنيطر "، لكننا نسينا أن هذا الفيديو أصبح اللبانة التي يمضغها الانترنت بكلّ مواقعه ، وقد يأتي منه سؤال إجباري في جميع امتحانات نهاية العام بجميع الدول المتحضّرة التي تحترم حقوق الإنسان وتضع حرية الرأي على رأسها ، الدول التي تعرف معنى الديموقراطية وتطبّقها عمليا وليس في الأبواق الإعلامية مثل قناة واحد اسمه خميس !!

لم يمنعنا من حبّ جون ستيوارت واحترامه كونه يهوديًّا أو أمريكيّا ، فليس كلّ اليهود بن جوريون وجولدا مائير وإسحق شامير ورابين وبيريز وإيريل شارون والمدعوق نتن ياهووووووو ، وليس كلّ الأمريكان نيكسون وكيسنجر وجورج بوش الأب والابن وبينهما كلينتون وحولهم مادلين أولبرايت وكوندناليزا رايس

وهيلاري وماكين وآن !! فكم من يهودٍ وأمريكان ملأوا حياتنا بالابتكارات والاختراعات في كلّ المجالات الحيوية وفي مقدمتها الدواء ، وكم من فشّارين وجعجاعين ونخّاعين ومناضلين بالصوت من طرفنا عولجوا ونالوا الرعاية الإنسانية التامة على أيدي أطبّاء يهود أو أمريكان ، فلا ينبغي أن نضع المبدعين والمخترعين والعلماء جنبًا إلى جنب مع تجّار الموت ورعاة الخراب في سلّةٍ واحدة .

جون ستيوارت كمبدع موهوب وتلقائي وشجاع ، استفزّه ما يحدث لباسم يوسف ومعه ! فانتفض غاضبًا مدافعًا عن إبداعه أولا في صورة هذا المصري الموهوب ، ثم عن هذا المصري الموهوب ـ ذات نفسه ـ باعتباره صديقًا شخصيًّا له ، وهذا تصرف في قمة التحضّر .. أن تخاف على مبدع من مبدعي " كارك " لا أن تفرح فيه وتقول " الحمد لله اللي شالوه من طريقي .. دا كان بينافسني !!" ويبدو أن ستيوارت لم تصل إليه ترجمة المَثَل الخالد : "ما عدوّك إلا ابن كارك "، ولهذا جاء دفاعه عن باسم جريئا وصادقا وحارقا بالنسبة لأعداء باسم وأعداء الحرية ومنافقي كل عصر ، تصدّقوا بالله ... جون ستيوارت كاد يبكيني ، وجعلني أشعر بقيمة مصر عندما أراها في عيون الآخرين وبعيونهم !! نحن دائما بحاجة إلى مَن يذكّرنا ، للأسف الشديد ، بقيمة وطننا ، ولكن أهل النفاق لم يلتفتوا إلى المعاني الكبرى التي يهديها إلينا الآخرون مجانًا ، ولكن التفتوا إلى ما يعنيهم هم لدرجة أن هناك دعاوى جديدة ضد باسم بسبب حلقة جون ستيوارت !! لماذا ـ يا أخي المؤمن الغلبان ـ ؟ من أجل أن يعرفوا حدود العلاقة بين ستيوارت ويوسف !

انظروا إلى " بعض " ما جاء في خطاب جون ستيوارت موجّها كلامه إلى رئيسنا : ".. أنت رئيس مصر.. أعظم أرض وأعظم شعب في التاريخ المدوّن، شعبك – سيدي الرئيس – اخترع الحضارة ، حتى أن اليونانيين القدماء حين ذهبوا

إلى مصر ذهلوا وقالوا: ماذا عندكم هنا؟، علم الهندسة والأساطير؟ عندما تفرغون منها يمكننا استخدامهما !!سيدي الرئيس .. لقد اخترع المصريون اللغة المكتوبة والورق ومعجون الأسنان ، حتى أنهم دفنوا مع قططهم الأليفة ، كذلك أصبح الكثيرون يقلدون الطريقة المصرية في الرقص، المصريون هم من بنوا الأهرامات...كل مافعله باسم يوسف هو السخرية من قبعتك وعدم قدرتك على الأداء الديمقراطي، ما الذي يقلقك؟أنت رئيس مصر، ولديك جيش وأسلحة ودبابات وطائرات، ونحن نعلم ذلك لأن الفواتير ما تزال لدينا ، أنصت لي جيدا، محاولة إسكات كوميديان لن تؤهلك كي تصبح رئيس مصر ، دعني أَقُلْ لك شيئا: ما الذي يقلقك سيدي الرئيس؟ خوفك من قوة النقد الساخر على هيبتك؟ انظر إليَّ.. هذا ما أفعله في الـخمسة عشر عامًا الماضية ، أنا أعرف باسم شخصيا، وهو صديقي وأخي، وإن كان هناك شيئان يحبهما باسم جدا فهما مصر والإسلام "

ومن وجهة نظري ـ أنا ـ كمواطن مصري مسلم دارس للقانون ولأصول الفقه ، لم أرَ في حلقات باسم أي اعتداء على مصر ، بالعكس ، هو مقاتل شجاع يدافع عنها باستماتة ، كما لم أجد لديه أي ازدراء لديننا الحنيف إلا إذا كان المتاجرون بالدين الآن هم الدين الإسلامي ذات نفسه ، كلّ ما أخذناه على باسم هو بعض المفردات والتلميحات وعاتبناه عليها هنا ، وها هو الآن ـ بسبب تصرّفات غشيمة من الباحثين عن الضوء ـ أصبح أشهر من السيد رئيس الجمهورية في العالم كله ، واللي مش مصدّق يرجع للإنترنت ، أما المتغاظ فـ.... يقرقض صوابعه !!

***

أيّها الصحفيّ القطريّ ..

" إنتَ اللي جِبْتُه لبلدك !!"[1]

من حقِّ الصحفي القطري أحمد علي أن يدافع عن بلدته باستماتة ، مادام برنامجٌ تليفزيونيٌّ يستطيعُ أنْ يمحوها من على الخريطة بفقرة منه لا تتجاوز عشر دقائق ، فهي ـ بلدته ـ مجرّد شيء موجود على الخريطة العربيّة لا يستطيع كبار السن أمثالي رؤيته بالعين المجرّدة ، وعندما قمتُ بإحصاء عدد تلاميذ آل عيّاد في مرحلة الحضانة ـ أي ما تحت سنّ ستّ سنوات وقبل سنّ التعليم الإلزامي ـ وجدت تعدادهم ثلاثة أضعاف تعداد دويلة قطر الشقيقة التي وصفتها الصحف السيّارة والزاحفة على بطونها بأنها" أنقذت الاقتصاد المصري من الانهيار ... بما قيمته ثلاثة مليارات دولار " ! وأي بني آدم على وجه الأرض ، يرى بعض الصحف المصريّة تزغرد في مانشيتاتها بمثل هذا الخبر ، فسوف يخرّ صريعًا من هول الصدمة ! فعندما تتوقف حياة دولة بحجم مصر ، بتاريخها التليد من صناعة المجد والحضارة والفنون والعلوم والأخلاق والرجال ... وصولاً إلى صناعة أقراص الطعميّة ، على ثلاثة مليارات دولار ومِن مَن ؟ مِن قطر التي لم تغادر بعدُ مرحلة التعليم الأساسي ، ولا تجيد إلا صناعة واحدة هي صناعة الفتن، فــ.... قلْ على الدنيا السلام !!

---

[1] العدد ٦٤ – الثلاثاء ١٦ أبريل ٢٠١٣م.

الصحفي المذكور انزعج من فقرة " قطري حبيبي " في برنامج "البرنامج " على قناة cbc، وانطلق يدافع عن حقّ بلده في الوجود ، وبدلاً من أن يطالب بوضعها داخل صوبة ، أو عمل تندة صغيرة فوقها تحميها من المطر والشمس وانتقادات المصريين الحاقدين ، راح يسبّ الشعب المصريَّ قائلاً "إن الشعب المصري يخون رؤساءه ، وإن المصريين قاموا بالانقلاب على الملك فاروق ، وقتلوا السادات ، وانقلبوا على مبارك ، ويهاجمون مرسي الآن ، بينما قطر تشهد قيادة حكيمة، والبلاد مستقرة وليست كما تعيشه مصر "،ويبدو أنّه ـ لفرط قطريّته ـ لا يعلم أن ما قاله ليس سُبّة ولا سبّا ، ولكنه شيءٌ يدعو للفخر والتباهي ، وربّما كان عدم فهمه راجعًا لكونِهِ يعيش في دويلة صغيرة وكِنزة (ضيّقة) ويمشي منحنيًا تحت سقوفها الواطئة فلم يعرف معنى الحريّة ولا طعمها ، حتى النُّخيلات والشُّجيرات التي يراها حوله كلها مسكينة مثله لها سقف معين لا تتخطّاه ، ولا ترتفع وتواصل نموها مثل بقية الأشجار في دول العالم التي تعرف الحريّة وتقاتل من أجلها !وإذا كان يريد أن يتعرّف على عبقرية التآمر أو المادة الخام لها ، فليسأل أحد أولياء أمره من الكبار والفاهمين ، أو يخطف رجله إلى قصر حاكم بلدته ، ويتجرّأ ويسأل : كيف وصل سيادته إلى الحكم ؟ وأين أولاد سعادته من زوجته الأخرى ؟ وهل ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟ و.... كل ما في باب أدوات الاستفهام ، وعليه أن يحدّثنا عن آخر حركة شعبية قام بها مواطنوه ؟ وكم مليونيّة يا تُرى تجمّعت في تاريخهم و......... آسف آسف ، وأعتذر للأخ القطري وللقراء ... نسيت أنهم من المستحيل أن يقوموا بعمل مليونية حتى ولو استعانوا بالمقيمين من غير المواطنين ، وليس لهم ـ إن أرادوا عمل مليونية ـ إلا أن يستعيروا مواطنين من الدول المجاورة ! كما أودّ أن

أسأل أخانا الذي تعلّم على أيدي المصريين : كم حربًا خاضتها قطر من أجل العرب ؟ وكم شهيداً قدمتم لقضايا العروبة ؟ أو : كم عدد القتلى عندهم في حوادث السيّارات مثلا لنحتسبهم شهداء حرب (وخلاص)؟ أعتقد أنّك تعلم أن عدد مَن نفقدهم في مثل تلك الحوادث سنويّا يملأ خمس دويلات مثل التي تقيمون فيها ! ولو أنني أعرف أسماء المصريين الذين علّموك لذهبت إليهم وعنّفتهم لأنهم لم يعلموك على الوجه الأكمل ، فلو كانوا أتموا المهمة بإتقان ، لجعلوا منك مواطنًا واعيًا راسخًا راسيًا ، لا يثور ويفقد صوابه من فقرة في برنامج ساخر كلّ المقصود منها هو السخرية من الذين يحكمون مصر لا الذين يحكمون قطر ولا الشعب القطري البريء الذي نكنّ له الاحترام بالرغم من أنه لم يقدم أية تضحيات تُذكر للقضايا العربية ، وهذا ليس ذنبه بالطبع ! مشكلة إعلامنا الحرّ القاسي العنيف ليست معكم ، لكنها مع الذين قاموا بتصغير مصر وتقزيمها حتى أصبحت تتخذ من قطر عكّازا تتوكّأ عليه في هذه الليالي السوداء الكئيبة التي لا ذنب لنا ـ كمواطنين ـ ولا لكم فيها ، ولو أنهم فعلوا لمصر ما يليق بها ، ولم ينهكوها في حروب جانبية ما كانت تخطر لنا على بال ، ما كانت هذه حالنا ، وما ضحك علينا القاصي والداني وكلّ الشامتين وهم يرون إعلام التطبيل والنفاق وهو يزغرد لهذا الإنعام القطري السامي ، نحن يا أخي في العروبة والإسلام والصحافة ليست لنا مشكلة معكم ، مشكلتنا معنا نحنُ تحت سقف بيتنا الواسع الكبير الضخم ، لكنك ـ بحُسن نيّة أو بسوئها ـ مددت رأسك (وأصابعك) في الموضوع ، فجررت على نفسك وبلدك ما لا طاقة لكم به ، والغريب (المدهش) أنك هددت الإعلامي الساخر تبعنا قائلاً" نملك (في قطر) أقلامًا لاتستطيع أنت أو أتخن شعب عربي

مواجهتها، فلا تجبرونا على استخدامها في الشغب الصحفي "، بالله عليك هل هذا كلام يخرج من مواطن عاقل ؟ فما بالك وأنت الصحفي المخضرم الذي لم أسمع عنه إلا مع هذه الزوبعة ؟ تهدد مصر بالأقلام التي تملكها قطر ؟ "رعبتني ربّنا يرعبك" أعتقد أنك تقصد الأقلام التي في العُلب ، فربّما يكون لديكم ملايين الأقلام بالفعل في المخازن ، لكن الأقلام بالمعنى الصحفي المعروف فهذا معناه فعلا أن المصريين الذين علّموك لم يُحسنوا تعليمك ! عندما تهددنا بالأقلام المشاغبة التي تملكونها فهذا دليل على أنك نسيت أن تعيّرنا بأننا أعظم صنّاع السخرية على وجه الأرض ، وإن كنت لا تصدّق فارجع إلى "تويتر " الذي أسأت استخدامه ، وارجع إلى الفيس بوك ، وبقية المواقع والمنتديات العربية لترى كم جررت على نفسك وعلى مواطني بلدك ـ الأبرياء واللهِ ـ من نكات وتشنيعات وتغريدات موجعة كانوا في غنى عنها لولا غاراتك الفجائية ضد الإعلامي المصري ثم الشعب المصري ثم مصر العظيمة بجلالة قدرها وتاريخها ، وأصارحك القول إنني لم أندهش لغارات الساخرين المصريين ضدك وضد قطر ، اندهاشي الأكبر كان من ردود الفعل الرافضة لموقفك (أعني إساءتك لمصر ذاتها) من الأشقّاء العرب ، من أدباء وكتاب وصحفيين ومواطنين عاديين ، أما الاندهاش الأعظم فكان من مواطنين قطريين دخلوا بسرعة على الخط ليقولوا إنهم يحبّون مصر ولم يغضبوا من تلك الفقرة في البرنامج ، ومهما حدث من زوابع طارئة فلن يؤثر على الاحترام والروابط الأخوية بين الشعبين ، وهذا ما قوبل بما يليق به أيضا من المصريين ، وهذا ما نريده بالفعل ، لكن ـ للأسف الشديد ـ أنت تريد وأنا أريد والشعوب (المحترمة) تريد والحكومات تفعل بنا ، وضدنا ، ما تريد .

أعود إلى جزءٍ آخر مما قاله ـ دوّنه ـ أخونا في العروبة والإسلام والصحافة والقطرنة فأجده يقول : " إن أمريكا تدوس بجزمتها على رؤوس المصريين مقابل المساعدات المالية المشروطة " ، وبصراحة شديدة أقول له إننا نعرف أن أمريكا تتعطّف علينا بمعونات دولاريّة أصليّة ، ولكنها لا تدوس رؤوسنا بجزمتها يا " قطري حبيبي الأخ الأصغر "، فيما نعلمه ـ وتعلمه أنت ـ هي تشتري سكوتنا وعدم إزعاج إسرائيل حتى تنام هادئة من ناحيتنا ، وأنا أعتبر ذلك عيبا ، لكن من زاوية أخرى غير التي تراها سعادتك ، وذلك لبُعد المسافة بينكم وبين إسرائيل ، وإن كانت الطائرات قد قرّبت كلّ شيء وأصبح بوسعكم أن تتناولوا الغداء في إسرائيل، وبوسع قادة الإسرائيليين أن يتنزّهوا في أسواقكم علنًا وبلا أدنى خوف أو خجل ، وأن تتسابقوا لالتقاط الصور معهم ، وهذا ما لم يجرؤ أحدهم على ارتكابه في شوارع القاهرة التي لا تجيد إلا صناعة أقراص الطعمية (وتعرف أن مجموع مساحة أقراص الطعمية التي يتناولها أهل القاهرة في طعام الإفطار .. أكبر من مساحة قطر)! ولو دققت في العيب أعلاه ، تجده يقع على عاتق الرؤساء ، وأحدهم قتلناه (طبقا لكلامك ووصفنا بالخونة) ، والآخر ثُرنا عليه (ويعيش بين محبسين كبيرين في سجن طرة ، وفي مستشفى المعادي) والثالث نواصل الثورة ضده وانتقاده ونقول له: لا ، بأعلى أصواتنا ، لأننا نصنع التاريخ ونصنع الحريّة جنبا إلى جنب مع صناعتنا للطعمية التي أنا على يقين أنك تحنّ إليها وإلى رائحتها ، لأنك تناولتها ـ هنا ـ من أيدي كرماء شرفاء يحبون كلّ مَن هو عربي ويفرحون به .

لقد اختلفت مع أصدقائي وزملائي من النقّاد ومؤرّخي الشعر في عناقه مع الموسيقى حول ما قام به باسم يوسف مع العمل الخالد "الوطن الأكبر "، فقلت

للرافضين منهم إن هذا كان متعارفًا عليه في النصف الثاني من القرن العشرين ، وحدث كثيرا على يد الشاعر فتحي قورة الذي كان يقوم بـ "قلب " الأعمال الشهيرة ليغنيها كبار الساخرين ـ وقتها ـ أمثال عمر الجيزاوي ومحمود شكوكو وجمالات زايد وغيرهم ، وكانوا يفعلون ذلك مع أغاني أمّ كلثوم وعبد الوهاب وفريد وعبد الحليم ، وكان هؤلاء الكبار يصفقون لهم ، وما فعله باسم يوسف كان قاسيًا وموجعًا لكنّه موجّه ـ بالأساس ـ إلى ما يفعله بنا حكّامنا وليس حاكم قطر ! وكاد الموضوع يمر ويذهب إلى الأرشيف ثم النسيان ، لكن الأخ أحمد علي لم يشأ له ذلك ، فأيقظه بعنف ، ليضع قطر أمام قطار السخرية ، ولتتحمل السياط نيابة عن حكومتنا الخفيّة ، وعن الذين تسببوا في أن تكون ثلاثة مليارات من قطر طوق نجاة لدولة بحجم مصر ، وهذا ـ لو كان الصحفي القطري يدرك ذلك ـ هو أفظع ردّ علينا ! وأنصح المواطن القطري المذكور بمشاهدة قناة مصر ٢٥ بدلا من **cbc** ، وألتمسُ من الذين رفعوا دعاوى قضائية ضد باسم يوسف بتهمة الإساءة إلى دولة باكستان ، أو الإساءة إلى جماعتنا في قطر ، بأن يتعطّفوا علينا ويرفعوا ولو دعوى واحدة ضد الذين أساءوا إلى دولة مصر وجعلوها تصل إلى هذا الحضيض .

***

ندعو إلى مليونيّة لإنقاذ جبهةِ الإنقاذ

مـهـرجـان الـفـوضـى والـنّـفـخ فـي الـنــار ؟!؟![1]

ماذا تنتظرون أكثر مما تشاهدون على مسرح دولة الفوضى والتهريج والتخبّط والارتباك ؟

سقطت الأقنعة ، وانكشفَ الجميع ، ووقع الوطنُ في الكمين ، و..أُرخيت الستارة ! لم نعد نعرف أين موضع الخطوة المقبلة ، فالجميع يرقصون فوق رمالٍ متحركة في مهرجان اللعب بالنار !

الأعمدة تتهاوى ، والجدران تتآكل ، والسقفُ لا سقفَ لهُ ، وكلّما مرّ يومٌ أخذ في قدميه بعضًا من بقايا الأمل ، ولم تترك لنا أحلامُ الثورة إلا ميراثًا ثقيلا من اليأس والإحباط والخيبة !

الناس يبحثونَ مع الشرطة عن السيّد وزير الداخلية فقد اختفى في ظروف غامضة ، وترك رجاله يتعاملون مع فوضانا حسب التساهيل ، بينما رفع الجيش يده شيئًا فشيئًا وواصل الانكماش ربّما تفاديًا لردود فعل رادار المقطّم ، وبعد أن كان الأبرياء وحسنو النيّة يلقون أحمالهم على عاتق الجيش ، تراجعت آمالهم وانزوت تحت صمت البيادات الثقيلة ، وعلامات الاستفهام المسافرة في أيّامنا السوداء بلا إجابة ....

[1] العدد ٦٥ – الثلاثاء ٢٣ أبريل ٢٠١٣.

ولمّا كان القضاءُ هو الشوكة الوحيدة التي تستعصي على الانكسار ، فقد زحفت جحافل الجراد لالتهام شجرته ، وانطلقت قطعان السوس الهمجية تنخر سمعته وتمارس الشخبطة على تاريخه الناصع ، أمّا السلطات المعنية فلا سلطان لها فقد أسلمت أمرها إلى القيادة النائمة بمنتجع المقطم ، ولها ما تشاء !

ـ و... أين جبهة الإنقاذ ؟

– في مؤتمرات صحفيّة متلاحقة من أجل التصوير والثرثرة والتهديد والوعيد ، ثمّ..... النوم العميييييييق ! أصبح قادة الجبهة عبئًا ثقيلاً عليها ، وأعني ـ تحديدا ـ السادة عمرو موسى وحمدين صباحي والسيد البدوي ، هؤلاء من مُكبّلات الجبهة ، وفي يقيني أنهم لو أخلوا الطريق أمام شباب الجبهة الفعليين لما وصلنا إلى هذا المستنقع العفن الملبّد بالخيانات وقاذروات الطمع والأنانية ورهن الوطن في قبضة الكلاب الضالة التي تتربّص بمستقبلنا وتريد محو ماضينا وشراء تاريخنا وإضافته إلى " لا " تاريخها فليس لها لا تاريخ ولا جغرافيا !

جبهة الإنقاذ بحاجة ماسّة إلى الإنقاذ فهي الرمق الباقي في روح الثورة بعد أن سرقها الحراميّة في وضح النهار وراحوا يتاجرون بها بوقاحة واستهتار، وأصبح لزاما على السادة محترفي التصوير والكلام أن يتفرغوا للتصوير والكلام ، وأن يتركوا القرار لأصحاب المستقبل ، لم نعد بحاجة إلى قدماء التفكير الغائصين في وحل الماضي ، المستمسكين به ، كفانا ما ضاع وما يوشك أن يضيع ، فارحموا ما تبقّى من جذوة الثورة ووقودها ، فمن العيب ـ والمخجل ـ أن تسطو جماعة محظورة على أجمل أحلامنا ، فتدوس دماء الشهداء ، وتستهين بآلام الضحايا ، وتنتهك مؤسسات الدولة وتفككها لتسلّمنا لقمة سائغة لكلّ أعدائنا الجائعين ، وبصراحة ووضوح ... فإنّ كلّ مَن يعمل على إضعاف الدولة وتمزيقها ليس إلا عميلا وخائنا يعمل مع الأعداء ولصالحهم ، وما نراه الآن على المسرح العبثي لا يقول غير ذلك ، فإن كان عدونا المزمن هو إسرائيل ، فكل الذين يعملون ضد الدولة عملاء وخونة

ويحاربون مصر نيابة عن إسرائيل ، وبرعاية أمريكا ، وتصل ذروة المأساة عندما يُفاجأ العالم كلّه بهذا العداء ضد القضاء ورجاله ، ليتواصل مسلسل اغتصاب دولة القانون ، وتحت ستار الليل يسارع المجلس غير الشرعي في تفصيل قوانين قاتلة لوأد كلّ الشرايين الحيّة في جسد مصر ، مجلس أصابه الحَوَل والغيظ والغل لمجرد رؤية الرئيس المخلوع يبتسم في القفص ، أفزعتهم صحته الجيدة ، وأطارت صوابهم ابتسامته الشامتة ، وله كل الحقّ في هذه الشماتة ، له الحقّ في أن يقول إن هناك فرقا شاسعا بين إدارة دولة بحجم مصر ، وبين ركوب العَجَل والمراجيح !

إعلامنا ، والحمد لله ، على أسوأ ما يكون ، الجميع أيضا يرقصون ، وكلٌّ يرقص على إيقاع فرقته أو جماعته أو مكتب إرشاده ، وكارثتنا الكبرى في قنوات المتاجرة بالدين ، هذه الأشكال الرثّة التي تبتكر البذاءات التي لم تكن في الجاهلية الأولى ، ألسنة لا يليق بها أن تنطق حرفا واحدا من قرآننا الشريف في مزاد الخسة والنفاق والكذب واللهاث وراء منافع الدنيا ، أما القنوات التي يسمّونها الخاصة فلم أعد أعرف هي خاصة بماذا ؟ أو بمن ؟ أو تعمل لمن ومع مَن ؟ غير أنني ألحّ عليهم ، وبشكل أخوي ، ألا ينادوا حمدين صباحي أو عمرو موسى أو أبو الفتوح بصفة " المرشح السابق لرئاسة الجمهورية " ، فالموضوع انتهى ، والأصوب أن تقولوا : المرشح الساقط في سباق رئاسة الجمهورية ، غير ذلك فلا.

كلُّنا مذنبون

سقطت الفريسة ، مصر ، في حفرة عميقةٍ تستغيثُ وتستجيرُ ولا من مغيثٍ ولا من مُجير ، بينما الفضاء يتزلزلُ بأصواتِ المقامرين بها في مزادات الأطماع والأحقاد والرغبة في الانتقام من الماضي بقتل المستقبل !!

مصرُ تنزفُ ....

واللاعبون بالنارِ يرقصون فوق جسدها الطريح ..

الثورة التي أرادت أن تُحيِيها وتعيدها إلى مكانها ومكانتها تحوّلت خنجرًا يقطّعها أشلاءً ويلقيها في فمِ المجهول !.. الجميع أياديهم ملطّخةٌ بالدماء ، وكلٌّ منهم يشير إلى الآخر بأصابع الاتهام ، بينما عجلة القيادة في أيدٍ مرتعشةٍ مهزوزةٍ متردّدةٍ مُرتبكة ، وفي أوكازيون الكذب تتصارعُ ألاعيب الحواةِ على عقولِ الأبرياء والبلهاء والمغلوبين على أمرهم فتنسف ما تبقّى فيها من وعي ، وتحوّلهم إلى كائنات مُشَفَّرَةٍ تسير أوتوماتيكيًّا بإشارات محدَّدَة ، فلا تحيدُ عن السيناريو المرسوم ، ولا تملكُ لنفسها فكاكا ، بل ولا تريد !! وما أصعب أن تجد نفسك ـ كوطنٍ أو كمواطن ـ تتحرّك فوق رمالٍ متحرّكةٍ ،وخلف ستائر الليل ترتع ذئاب الظلام وضباعُهُ في جسد كلّ أحلامك المؤجّلة ، وكلّ الأمنيات التي دفعت فيها أغلى ما مضى من عمرك !! نحنُ الآن غارقونَ في مستنقعاتِ الفتن ، وأخطرُ ما نعانيه وسندفع ثمنه ، وتدفع الأجيال أضعافه ، هو الفتنة تحت وطأة الشعاراتِ الفارغة ، بين مَنْ يتمسّحونَ في عباءة الدين ويتاجرونَ به في أسواق السياسة النجسة ، والدين أطهرُ من أن يتحوّل إلى سلعة ، وأشرفُ من أن يُتّخذَ تكئةً للقفز إلى أغراضٍ دنيويةٍ تظلّ دُنيا مهما علت ! وبين غارقين في أوهام الماضي يغزلون من بقايا ذكريات الهزائم أثوابًا لأعيادنا المُنتظرَة ، أمّا "الشعب " ـ المضحوك عليه ـ فله الله ، ونراهُ على خير إن شاءَ اللهُ في ثورةٍ قادمة !!

الذين يتصايحون بالدين لا يمثلون ديننا في شيء ، ديننا طاهرٌ ونقيٌّ وشريفٌ يأمرُنا بالمعاملة الحسنة والأخلاق الكريمة ومجادلة الناس بالتي هي أحسن ، ولم يأمرنا بالبذاءة وابتكار الشتائم وزرعها على ألسنة الصغار والمُشفَّرين ليكبروا على احتقار الآخرين الذين يخالفوننا في الرأي (وربّما كانوا الأحسن منّا والأكرم، وربما كان الحقّ في جانبهم)!!

أمّا المعسكر الآخر فهو معسكر "الشوارد " ، أؤلئك الذين يتّحدونَ ، شكلا، ويختلفون مضمونا ، وإن كانوا يتظاهرون بذلك ، إنهم كالعازفين الموهوبين ، ولكنّ

كلاًّ منهم يعزفُ نوتته الخاصّة ، فتسمع ضجيجًا ضخمًا وواسعًا ، ولكنَّكَ لا تخرج بمعزوفةٍ (مقطوعة) واحدةٍ صحيحةٍ متكاملة ! هؤلاء الشوارد أيضاً يجيدون الكلام ، وإن كانوا لا يجيدون الشتائم ومبادلة البذاءة بمثلها ، إلا أنهم يصدقُ فيهم القولُ :" إنهم تجّار مخدّراتٍ فكريّة " ، والنتيجةُ دائمًا محسومة : تاجرُ الدين يهزم مَن عداه مهما يكن العدد والعُدّة ، فالمصريون ـ بطبعهم ـ يقدّسون كلّ ما هو ديني ، ولا يقبلونَ المجادلة بأية حالٍ إذا تعلّق الأمر بمسألة دينية ، ولذلك يقع الغلابة والبسطاء في قبضة اللاعبين بشعارات الدين ، خصوصًا بعد أن دخلت مساجدنا في لعبة السياسة القذرة ، وما كان لها أن تنقُضَ طهارة بيوت الله بالكلام في السياسة ، المنابر التي كانت تُضاءُ بذكر اللهِ وقرآنه العظيم وسنّة رسوله الكريم ، أصبحت الآن تتأذّى من ذكر أسماء مخرجين وإعلاميين وسياسيين وفنّانات وتتأفف من شتمهم وسبّهم حتى ولو كان ذلك بحجة أنهم ضد الإسلام ، ولا أدري مَن ذا الذي يستطيع فرز عباد الله ليحدد هذا مع الإسلام ، وذاك ضدّه !!

ثورتنا العظيمة التي بهرت العالم أجمع وأدهشته وأوقفته ليتعلّم من المصريين، عادت لتدهشه أكثر بخيبتها وضياعها ليبكي عليها وعلى المصريين ! نحن بالفعل صنّاع حدَث ، سلبا كان أو إيجابا ، المهم أن نكون في دائرة الضوء ، وها نحن لم نبارح دائرة الضوء والاهتمام العالمي منذ الخامس والعشرين من يناير إلى اليوم : ثورة سلمية بيضاء مدهشة ، استلمها مجلس عسكري لينتقم منها ويطرّزها بالدّم ، ثم يحوّلها إلى " كورة شراب " يلعب بها في أوقات فراغه مع فريق الإخوان المسلمين ، أما الذين قاموا بالثورة فتكفيهم متعة المشاهدة ، كما لم ينس المجلس العسكري أن يتحفنا بإعلان دستوري مخروم يحملُ الخراب لمصر ، وهو الذي أنجب لنا مجلس شعب سُمّيَ فيما بعدُ بالمنحلّ ، كما أفضى إلى مجلس شورى على طريقة " أستك منّه فيه " واجب الحلّ ولم ينحلّ ، بل تمّ تحصينه بإعلان دستوري باطل ، ثمّ بدستور باطل ، في ظلّ نظام لا يستمع إلا لصوته ، جاء ببركات سيدي

المجلس العسكري ،نظام بدأ خطواته الأولى بدهس القانون والدستور ودولة المؤسسات ، إلى أن وصل إلى الاستقواء بالمتظاهرين لا بشرعيته وقوة القانون !!

نحن أكبر فُرجة للعالم الآن !! فالنظام الذي يترك المتظاهرين يروّعون القضاة ويطاردونهم بالشعارات القذرة ، النظام الذي لا تستطيع وزارة داخليته القبض على رموز هؤلاء لتعليمهم الأدب وتهذيبهم ، النظام الذي يتفرّج على التناحر الشعبي وانقسام الوطن إلى أشلاء وشظايا ... كيف له أن يغري المستثمرين ورجال المال والأعمال سواء من الداخل أو الخارج ؟ كيف له أن يطمئن صندوق النقد ليعطف علينا ويخفف شروطه لننعم بالقرض الذي طال اشتياقنا إليه ؟

ثورة مدهشة بالفعل ، وغير مسبوقة ، في وقائعها ، وفي نتائجها ، وفي الخراب الذي آلت إليه ، والمجهول الذي نرقص ـ جميعا ـ على حافّته !! خاب أملنا في فريق تجار المخدرات الفكرية وفي تجّار الشعارات الدينية ، ولم يعد لنا سوى الأمل في الله ، وفي إنقاذ جبهة الإنقاذ !!

***

نريد معرفة أسماء الذين اختاروا السيّد الرئيس

طبيخ الجماعة الحمضان

في أطباق رئاسة الجمهوريّة[1]

"آهِ يا مِصرُ كمْ تُعانينَ منهم .. والكبيرُ الكبيرُ دومًا يُعاني "

يرحمك الله يا نزار !

عندما أطلقَ نزار قبّاني هذا البيت القاتل في ثنايا مرثيته البديعة لعميد الأدب العربي طه حسين (رحل في ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م) ، كان يقصدُ الدول العربيّة الجاحدة التي أنكرت كل ما فعلته مصر وما ضحّت به من أجلهم ، لم يخطر ببال نزار ولا أيٍّ من أباليس الإنس والجنّ أن يأتي يومٌ أغبر ليردد الناسُ هذا البيت متحسّرين على ما يفعله بمصر نفرٌ من أبنائها الذين لم يكونوا يستحقّون شرف الانتماء إلى اسمها ، ولا حتى أن يمشوا على ترابها أو يروا وجه نيلها !

وكما قلنا مرارًا ، نحن الآن في أزهى عصور الفوضى والرقص على الرمال المتحركة في مهرجان اللعب بالنار ، وزمان .. كان الأبرياء يقولون إن "الذي يلعب بالنار تحرق يديه " ، ولكن اللاعب العصري الجاهل لا يدفع الثمن بحرق يده وحده ، ولكنّه يحرق الوطن بأكمله ... والكارثة الكبرى هي هذه القسوة وهذا

---

[1] العدد ٦٦ – الثلاثاء ٣٠ أبريل ٢٠١٣م.

العمى .. عندما تنظر في كلّ اتجاهٍ فلا تجد أحدًا قلبه على مصر .. أفواه الجميع تتمضمض بالحبّ الكاذب الموروث من الأغاني التي سكبها المارون على اسم مصرنا ، بينما القلوب تغلي بالحقد والطمع والأنانيّة ، وتكتمل السخريّة وتصل إلى أعلى ذراها وتجلياتها عندما يقع مصير الأمة في أيدي جماعة لم تتعوّد العمل تحت الشمس ، فجاءت لإضفاء الظلام والسواد على كلّ ما في وجودنا بعد أن نجحت في تشفير آلاف العقول وحوّلتها إلى أحجار تسد طريق المستقبل بدلاً من أن تبني وتدفع إلى الأمام .

المأساة الكبرى التي يراها العالم أجمع عدا الجماعة وعشّاق نهضتها الخفيّة العجيبة، ما يحدث من مؤسسة الرئاسة ، عشرة شهور قضيناها في الصراخ والتحذير من العشوائية والأنانية وعمليات التجريب والتجريف وسرقة الوطن وهتك عرض ثورته ، ولا أحد يسمع ، ظلّت كل الأصوات الوطنية العاقلة ترتفع في كل اتجاه من أجل إيقاف هذا الاستنزاف ، وكان الردّ الجاهز من الأبواق الإخوانجيّة : عمالة ، فلول ، خونة ، أعداء الثورة ....إلى آخر ما في معجم الرّدح وفرد الملاية ، وعندما بدأت رياح الاستقالات تضرب جدران مؤسسة الرئاسة الهشّة ليتم تجريدها شيئًا فشيئًا من أوراق التوت الوهميّة التي لم تكن تستر شيئًا (فالنهضة تتحدّث عن نفسها) ، مرّت موجات الاستقالات مرور الطيفِ في ليلةٍ عاصفةٍ شاتية ، فقد كانت المناصب وهمية أيضاً مثل النهضة ومثل الذين أدمنوا تعاطي هذه الأوهام ، إلى أن جاءت استقالتان موجعتان لم أصدّقهما إلى الآن ، فلو كانتا صادقتين لكان من الواجب أن تتبعهما وتبتلعهما استقالةٌ ثالثة ، وهي استقالة السيد رئيس الجمهورية وعودته إلى صفوف الجماهير، فبعد استقالة السيد

أحمد مكي ، وزير العدل ، والسيد محمد فؤاد جاد الله ، المستشار القانوني لرئاسة الجمهوريّة ، وما ورد بخطّ كلّ منهما في نص استقالته .. لم يبق شيء لنقوله نحن معسكر المخربين والمعارضين والبطّالين وناتفي ريش طائر النهضة الجربان !! وإذا كان وزير العدل المستقيل قد أخذ طريحته من الانتقاد والتقطيع وما يستحقه وما يليق به لتذكيره بكلّ ما فعله بالعدل وبالقضاء وبمصر الثورة ، فإنني أتوقّف عند استقالة المستشار القانوني للرئاسة ، فقد أورد فيها المذكور كلّ المانشيتات التي تحمل عصارة ما صرخت به الأصوات الصادقة التي لا ترى إلا الله والوطن والمستقبل ومصلحة كلّ المصريين ،فوقفت ضد انتهاكات الجماعة لكلّ حقوقنا وأحلامنا المشروعة ، والجماعة على إصرارها ماضيةٌ في تخريب كلّ شيء ، وإطفاء أية بادرة نور، ولتظل فاترينتها مجرد واجهات على الشارع العام ، بينما أصابعها وأذرعها الخفية تواصلُ التخطيط واللغوصة والتخبيط وتمارس كلّ عاداتها السريّة في الإيقاع والإيهام والتغييب ، وهي تعلم أنّ الشعب لن يظلّ مضحوكا عليه إلى الأبد ، وأن التصرفات العشوائية المفضوحة لم تعد خافية على عقول أطفال التعليم الأساسي ، وأن الدستور المسلوق ، ومجلس الشورى الباطل ، وكل الاعتداءات والانتهاكات الموجهة ضد مؤسسات الدولة المحترمة لن تمرّ كما يتخيّل صنّاع الخراب ،ولن يسكت عليها أصحاب الوطن ، وبالرغم من ذلك ، وباستماتة غير مسبوقة ، تتواصل غارات الجماعة وطلعاتها التي أجهضت كلّ الأحلام التي كانت في اليد أو على مرمى حجر ! وكما لم ييأس الثائرون وأصحاب المبادئ القابضون على الأحلام.. لم تيأس الجماعة ، بأصابعها الظاهرة والخفيّة وبأبواقها المزعجة المبرمجة على إثارة الغبار والضجيج ، وواصلت تنفيذ بروتوكولاتها من أجل إتمام التكويش

والتمكين وأخونة كل شيءٍ على الخريطة ، مع تهميش كل القوى الفاعلة في المجتمع، ومحاربة رؤوس الحربة في كل فصيل ، بالتشنيع عليهم ، وباتهامات التخوين والعمالة للغرب واختلاق الحكايات الفضائحية التي تزيد من مساحات الدخان على الساحة ، وهذا هو المطلوب ، فخلف ستار الدخان والضجيج يصبح في وسع الجماعة (حسب تفكيرها المحدود ورؤيتها القاصرة) أن تنجح في تنفيذ بروتوكولات حكمائها الذين يديرون الفوضى من قاعدة المقطّم !!

محمد فؤاد جاد الله ، الذي حمل وحده الجزء الأكبر من البُغض والكراهية ، على اعتبار أنّه طبّاخ كل الانتهاكات التي شنتها مؤسسة الرئاسة ضد دولة القانون ، وضد الثورة ، وضد كل ما هو جميلٌ في بلادنا ، اتضح أنه بريءٌ براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وأنه بذل كلّ ما يستطيع من أجل مصلحة الوطن ، غير أنّ السيد الرئيس ـ طبقًا لنص الاستقالة ـ لم يكن يسمع لأحد من مستشاريه، يقول جاد الله ـ مثلاً ـ : "بالنسبة للإعلان الدستورى الصادر فى ٢١ نوفمبر والذي أحدث انقساماً كبيراً في الشارع، قلت صراحة للسيد الرئيس إن المادتين (٢، ٤) سيتم الاعتراض عليهما، وأنا بصفتي مستشارك واجب عليَّ أن أقول لك إن تحصين القرارات وتحصين الجمعية ومجلس الشورى سيؤدي إلى اعتراضات وانقسامات... إلخ " ، كما كانت هناك أشياء تحدث ولا يسمعون عنها إلا بعد صدورها ، مثلا ـ طبقًا للاستقالة ـ : " بخصوص موضوع القوانين الثلاثة التي صدرت ، ثم قام الرئيس بتجميدها والخاصة بالضرائب على العقارات وعلى المبيعات وعلى السلع لم تعرض عليَّ ولم أعرف عنها أيَّ شيء " كما يشير جاد الله إلى أنه ـ مثلنا جميعًا ـ كان يعي قسوة ما تحمله بعض مواد الإعلان الدستوري ـ ٢١ نوفمبر ٢٠١٣م ـ وأنه حذّر

من تداعيات هذا التغوّل ، هذا يعني ـ باختصار شديد ـ أن نطالب كل السادة المستشارين والمستشارات أن يردوا إلى خزانة الدولة كلّ ما أخذوه مقابل نومهم في قصر الرئاسة وعلى ذمة اللاشيء!! مستشارون لا يُستشارون فإذا ما استشيروا تُلقى استشاراتهم في سلال القمامة ولا يُعمل بها !! حد فاهم حاجة ؟

وتعالوا معي إلى صراخ الرجل ـ جاد الله ـ وانظروا عندما يتحدّث رجل القانون بما يمليه عليه ضميره (الوطني) وما يليق باحترام الذين علّموه وزملائه الذين يعملون في كلّ حقول القانون ، يقول : " وبخصوص تعديل قانون انتخابات مجلس النواب وقانون مباشرة الحقوق السياسية بالقانون رقم (٢) لسنة ٢٠١٣ قلت مراراً وتكراراً للسيد الرئيس بضرورة أن يتم إرسال كامل القوانين وليس التعديلات فقط إلى المحكمة الدستورية، كما قلت يجب إعمال كامل مقتضى قرار الدستورية، ورفضت إجراء الانتخابات قبل عمل ذلك، إلا أن مجلس الشورى قام بإرسال التعديلات فقط ، وعندما صدر قرار الدستورية لم يقم مجلس الشورى بإعمال كامل مقتضى قراراها، ولم يعاود العرض عليها، وعند صدور حكم القضاء الإداري بوقف قرار الرئيس الجمهورية بدعوة الناخبين لانتخاب أعضاء مجلس النواب، أعلنت أن هذا الحكم أنقذ مصر وأنه حكم واجب النفاذ وأكدت على ذلك " ، وقد صفّقت له في تعبيره الصادق عندما قال : " أعلنت أن هذا الحكم أنقذ مصر .... " ، و.... ضع تحت " أنقذ مصر " مليون خطّ ، فهذا هو المطلوب منّا جميعًا ، أن نقاتل من أجل إنقاذ مصر لا من أجل تمكين جماعة الإخوان المحظورة بكل أذرعها وأصابعها وحناجرها وذيولها ، عبارة " أنقذَ مصر " لا تخرج إلا من ضمير مضيء بالفعل ، وأدعو الله أن يكون الرجل كذلك فأنا أشكّ في

كلّ مَن تعامل مع تلك الجماعة المنقضّة على مصر انقضاض العدو المتربّص !! وهذا معناه أن الرجل كان صابرًا " على أمل"، ولما خاب أمله لم يسمح له ضميره بمواصلة الصمت ، أو تقمّص الصبر ، فالصمت والصبر ـ هنا ـ يتحوّلان إلى مذلّة أو نقيصة ، وكلما مرّ يوم اتسع الخرقُ وزادت الوطأة ، وإذا ما انطفأت البقية الباقية في الضمير ، فظلامُ القبر أهون من هذه الحياة البائسة الذليلة .

ثم تعالوا إلى مسك الختام في الاستقالة ، يقول جادالله : " وقد تقدمت بالاستقالة من أجل إلقاء الضوء على كل هذه الأسباب، من أجل أن يتحمل الجميع مسئولياته، ويعيد تقييم مواقفه، ويصحح أخطاءه، ويعتذر للشعب، وللوطن وللآخرين " !! هل قال أهل المعارضة الوحشين اللي ح يروحوا النار شيئًا أخطر من ذلك ؟ لقد قرأت الاستقالة عشرات المرّات فلم أصدّق أن كاتبها هو واحد ممن عملوا معهم ! بل شككت أنها مدسوسة عليه من أحد أعداء الهيئة الإخوانجية للتكويش والتمكين ، وهي ـ الاستقالة في مجملها ـ ومعها ما ورد باستقالة وزير العدل إيّاه ، تستوجبان استقالة السيّد الرئيس شخصيًّا فقد كشفا لنا ـ أعني الوزير والمستشار ـ أن السيّد الرئيس بريءٌ من كل التهم التي تُكالُ له ، وأن الجماعة هي المسؤولة عن كل هذه البلاوي والمآسي ، يعني الجماعة تدلق ـ لا مؤاخذة ـ طبيخها الحمضان على موائد القصر الجمهوري ، ثم يأتي الرئيس ـ البريء ـ ويدفع الثمن وحده !! دا حراااااااااام يا شعب ، ويا معارضة !!

ولذلك

أرجو موافاتي بأسماء الذين انتخبوا السيّد الرئيس وتليفوناتهم لأعرف إلى أين وصلت حالتهم النفسية الآن ، ولن أطالبهم بالطبع بالاعتذار عمّا سببوه للوطن وللشعب فـ... كفاهم ما هم فيه !!

***

التنويم المغناطيسي واللعب في الميموري

مرمطة جلباب عبد الناصر

في عروضِ الأزياءِ الانتخابيّةِ الفاشلة !!! [1]

لم أكنْ ناصريًّا في يومٍ ما ، وفي يقيني أنني لن أكونَ مهما يطُل العمر ، ومهما أعاصر من رؤساء ناصريين أو برّمائيين ، وكم جاهرتُ بانتقادي خطايا عبد الناصر وأخطاءه الفادحة ، فقد كانَ كبيرًا وضخمًا في كلّ شيءٍ ، في أحلامه وطموحاته ، وفي إنجازاته التي أنجزها ، وفي عروبته وانتمائه القومي ، وفي خطاياه وأخطائه التي نسفت جُلّ ما حلُم به وطمح إليه ، وشوّهت جزءًا كبيرًا مما أنجزه ، وأورثتنا الجراح والديون وعاهة الهزيمة التي لم تمحها انتصارات أكتوبر بضخامتها وصداها على المستوى السياسي أو العسكري ، فقد ظلّت هذه الانتصارات ، وستبقى ، مجرّد ردّ اعتبار ودليل قاطع على أن مصرَ لم تمت ، وأنها بداية الخلود ومنتهاه ، وأنها بألف روح تنتفضُ من تحت التراب عندما يظن أعداؤها أو خائنوها أنهم أجهزوا عليها وأماتوها إلى الأبد .

أعطى الله جمال عبد الناصر جمالا إنسانيًّا فوق الحدّ ، ومنحه بسطةً في الحضور والقبول ، أعطاه جمال الشكل وهيبته (الكاريزما) ، وأفاض عليه بما يليق لي أن أسمّيه " كاريزما الصوت " لتكتمل الصورة وتتوهّج ، فبالرغم من أنه لم يكن

[1] العدد ٦٧ – الثلاثاء ٧ مايو ٢٠١٣م.

يملك صوتًا قويًّا أو جهوريًّا أو جعجاعًا مجلجلاً بما يتناسب وطوله وشكله وبريق عينيه وبنيانه العام ، إلا أنه كان صوتًا آسرًا معبّرًا يملك على الإنسان كيانه كله حتى ولو كان من الأعداء والمتربّصين ! وكم من قرارات مصيريّةٍ قاسيةٍ حاولَ أن يكونَ صوته ضخما ومخيفا وهو يعلنها أو يتحدّث عنها ، فخانه الصوت ولكن لم يخُنْهُ التأثير ، أي : وصلَ ما يريد توصيله فقد كانت الأشعة التي تهطل من عينيه كافية لصهر الحديد وبث الرعب في قلوب الذين يعنيهم بالتهديد والوعيد ، وفي المقابل بث الثقة والطمأنينة في قلوب مريديه ومؤيديه من مواطنيه ومن غيرهم . مأساة عبد الناصر الكبرى أنّه لم يُحسن اختيار الذين حوله ، كان كمَنْ يربّي الذئاب ويطعمها بيديه ظانّا أنها ستغادر طبعها الغادر وتتحوّل إلى حملان أو كلابٍ أليفة مستأنسة ، لكن الغرائز الذئبويّة غلبت قيم الوفاء ، وغُرِّر بالزعيم فنام في العسل نوما هائنا هادئا ملتحفًا مانشيتات هيكل وأغاني أمّ كُلثوم وعبد الحليم وصولا إلى محمد رشدي وأبو دراع ومحمد طه ومحمود شكوكو وعمر الجيزاوي ، أي .. كلّ ألوان الطيفِ الغنائي وبكلّ مستوياته ، وللأسف .. فقد صدّق الأغاني (التي مهما تكن صادقة فهي خيال شعراء) ولم يصدّق الواقع ، أو لم يتعامل معه بما يليق به وبما يحمله من تحدياتٍ ومفاجآت .

بكاريزماه الآسرة ، وبأحلامه الأكبر من العمر ، وبشجاعته وجسارته وعنفوانه ، زرع عبد الناصر كلّ الطموحات في ضمائر كلّ المصريين ، ومعه عرفوا معاني العزة والكرامة والشرف ، وبدأوا البناء والتعمير وإنشاء المصانع والمشروعات الوطنية الكبرى ، ولم يشذ عن الصف سوى فلول كل عصر ، والمنتفعين بخزانة السلطان ومظلة حمايته ، يُضاف إليهم تلك الجماعة المحظورة التي تعيّرنا بأنها دفعت الثمن وحدها على مدار ثمانين عاما ! ثمن ماذا ؟ لا أعلم ! بماذا

ضحت هذه الجماعة من أجل مصر وماذا قدّمت لها ؟ لا أرى شيئًا ، ولم يخبرني أحدٌ بما قد رأى ! دخلوا السجون أفواجًا أفواجًا لأنهم كانوا يتآمرون من أجل مصالحهم وليس من أجل الوطن ! كانوا يتمسّحون في الدين ، والدين منهم براء ، ولم تكن لديهم سوى صناعة واحدة يجيدونها وهي صناعة المؤمرات، ولو سُمِحَ لهم بتصديرها إلى الخارج لحصلنا على مراكز خيالية على رأس القائمة العالميّة ، أولئك الذين لم يقدّموا شيئًا للدين يدّعون أنه لولاهم لما استمر هذا الدين ، ولا أدري كيف ؟ أو ماذا جرى ؟ وماذا فعلوا ؟ الذي حافظ على ديننا وجعله يغالب الزمن ويتجدد فيه هو أنّه دينُ الله ـ أولا ـ ثم وجود الأزهر الشريف ، منارة الدنيا والدين بحقّ ، برجاله وعلمائه الأفذاذ الذين لا يخشون في الحقّ لومة لائم ، ولا يميلون أو يتاجرون بكتاب الله العظيم ، علماء الأزهر الشريف همّ النور الذي سطع على الكون من قلب القاهرة ، ليحمل النور الأسمى إلى كلّ بقاع الدنيا ، ومصرُ هي الحصن العظيم الذي صان حدود هذا الدين وناصره ونصره ، ودائمًا ما أردد ما قلتُه قبل أكثر من عشرين عامًا :" إنّ اللهَ أعزّ الإسلام بالعُمَرَينِ في حياة النبي ، وأعزّه بمصرَ وأزهرها الشريف بعد مماته ﷺ"، فهذه الجماعة بريئة من أية تضحيات من أجل الوطن ، كما أنها بريئة من أية تضحيات من أجل الدين ، وهي التي أضمرت العداء لعبد الناصر بأشدّ مما أضمره الإسرائيليون ، فلماذا " احلوّ " عبد الناصر الآن ؟ ولماذا تبدّلت لهجة الخطاب وتغيّرت مائة وثمانين درجة ؟

كان عبد الناصر حاضرا في ميدان التحرير طوال أيام الثورة ، الثائرون ناقمون على عصر السادات بفعل " المخدّرات الفكريّة " التي حدّثني عنها السبّاك الذي قد يفهم في كلّ شيء إلا السباكة ، وهم أنفسهم الثائرون على حسني مبارك وشركاه، ولأن عصر عبد الناصر كان بداية العنفوان المصري الحقّ وفوران المشاعر

بالمعاني الكبرى (على الأقل في بداياته وقبل الدخول في المغامرات العنترية إياها) ، فقد وجد فيه ثوّار يناير ما يتماس مع أحلامهم وفورانهم ، فأعادوه إلى الميدان ... بشعاراته ونداءاته ، وبالأغاني التي رشقها الشعراء والملحنون والمطربون على جنبات اسمه وعصره حتى أغنيات ما بعد الهزيمة النكراء التي دلّعها الأستاذ هيكل وأسماها النكسة (وتباهى بذلك من دون أن يحدّثنا عن دوره في صنع الهزيمة المدللة) ، هذا الحنين إلى ناصر وعصره دفع أحد المرشحين لرئاسة الجمهورية إلى الإعلان صراحة بأنه يسير على خطاه ومبادئه ، وبهذا المخدّر الموضعي استمالَ عدّة ملايين منهم عدد لا يُستهان به من ساكني الماضي الذين لا يريدون أن يبرحوه ، والعدد الأكبر من أبناء المستقبل الذين رأوا في عبد الناصر البطل الحقّ ، والرمز المجسّد لكل الأحلام والطموحات التي قامت من أجلها ثورة يناير ، حتى ولو كان قد تركنا مهزومين نترنّح بين عار الهزيمة ووطأة الديون (وعندهم كلّ الحق ، فالعيب لم يكن فيه ولا في المبادئ التي أرساها ، ولكن في الذئاب الذين خانوه وحفروا له الحفر ليقع فيها ويجرّ الوطن معه) ، وبينما الناس في أحلامهم هائمون ، انقشعت السحابة الانتخابية بعد أن أمطرت نتيجةً لم يتوقعها أحد ، أفضت برئاسة الجمهورية إلى الدكتور محمد مرسي المنتمي إلى جماعة الإخوان التي لا تطيق لعبد الناصر ذكرًا بالرغم من وجوده تحت الأرض منذ أول اكتوبر ١٩٧٠ م ! وإن كان شعبنا العظيم في مقدمة الشعوب التي تصنع الطعميّة وتجيد النسيان ، فإن أحدًا منّا لن ينسى تنهيدة السيد الرئيس محمد مرسي ثم إطلاقه ـ فيما يشبه الزفرة الملتهبة الممتلئة بالبارود ـ : " الستينات .... وما أدراك ما الستينات " ،ويعني بذلك ما لقيته الجماعة من عنت وتعذيب على أيدي زبانية نظام عبد الناصر ، وكأن أبناء الجماعة فقط هم الذين نكّل بهم ذلك النظام ، فهل كان اليساريّون من الشعراء

والكتّاب وأهل الفكر مُعتقلين بسبب ضبطهم متلبّسين بسرقة البيض من عشش فراخ توابع مجلس قيادة الثورة ؟ هل كان أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام وشهدي عطية و......... إلخ .. مُعتقلين في عصر أمنمحات الثالث أم في عهد جمال عبدالناصر الذي آخى في معتقلاته بين جميع المصريين من إخوان مسلمين وإخوان مسيحيين وإخوان من اليمين وإخوان من اليسار وو.... ، الأغرب من ذلك (والذي فات على كلّ المحللين الاستراتيجيين الذين سكنوا الفضائيات) هو أن السيد الرئيس محمد مرسي في احتفالية السادس من أكتوبر الشهيرة التي شهدها الآلاف من أتباع الجماعة على أرض ستاد القاهرة ، ظلّ السيد الرئيس يخطب ويعيد ويزيد ويتحدث عن تاريخ مصر وعظمتها ووو ..... وبالرغم من ذلك لم يذكر اسمًا واحدًا من أبطال تلك الحرب ! لم نسمع اسم عبد الناصر الذي أدار المعركة (من أول وجديد) ودماء شهدائنا لم تجف بعد ، وأعني حرب الاستنزاف التي أنهكت العدو ، وأعادت الثقة إلى قلوب رجالنا ، ولم يذكر اسم الرئيس السادات قائد الحرب البطل الذي زلزل الأرض تحت أقدام الصهاينة وأعوانهم وأذاقهم مرار الهزيمة وقهرها وعارها ، لم نسمع اسم الشاذلي ولا عبد العاطي ولا ولا ..... ، فلماذا يحضر اسم عبد الناصر ـ فجأة ـ على لسان السيد الرئيس في عيد العمال الأخير؟

لن أعود إلى ما قاله البرمائيون والاستراتجيون والأبواق الإخوانجية وتوابعهم من المبرراتية ، ولكنّ نفسي الأمّارة بالسوء تقول إنها محاولة جديدة لتمزيق جبهة المنحازين لعبد الناصر باستمالة بعضهم من أجل لعبة الانتخابات البرلمانية ، فمثلما ارتدى أحدهم جلباب عبد الناصر في الانتخابات الرئاسية وحصد به ما لا يُستهان به من الأصوات ، فمن الممكن أن نجعله موضة يرتديها كلّ مرشحي الحريّة

والعدالة مع إضافة ما تقتضيه بيئة كلّ مرشح ، طاقية ، لاسة نايلون ، طربوش بزرّين ، عِمّة ، سروال بمبوطي ... وهكذا !

عبد الناصر لن يعود ، وآهِ لو كان موجودا ، هل كان سيسمح بما جرى حول مدينة الإنتاج ؟ أو حصار المحكمة الدستورية ؟ أو حصار قصر الاتحادية والشخبطة على جدرانه ؟ هل كان سيصمت على مواطن يبعثر الإهانات يمينا ويسارا ويعتدي على اسم وزير الدفاع ويقود حارقي مقار الصحف ومروّجي الشائعات والبذاءات ؟ هل كان سيصمت وكل هذه الأعداد تتساقط ، والسلاح يصبح مباحا والحصول عليه أسهل من الحصول على حزمة جرجير ؟ إنّ نظرةً واحدة منه (ناصر) لكفيلةٌ بأنْ تورث كل مغرور أو متطاول عادة التبوّل اللاإرادي، ولو أن وزيرا لداخليته تقاعس كل هذا التقاعس وترك الوطن سداح مداح لعصابات النشل والقتل والترويع لربطه بكلابشات في ميدان عام .

عبد الناصر ، بكلّ خطاياه وأخطائه ، قيمة من القيم العظمى لهذا الوطن ، ومن المؤلم أن نرى جلبابه يتمزّق ويتمرمط في هذه العروض الانتخابية الوهمية الفاشلة ، ذهب الرجل بما له وما عليه ، فلنتركه يهنأ بموته ، ومَن يُرد أن يبني سنصفق له ونمد أيدينا ، ولكننا لم نعد نعرف إلا ثقافة التخريب والتجريف والاستهانة بالوطن وبالمواطنين ، قوانا معطّلة ، وأيادينا خارج نطاق الخدمة ، وعقولنا في إجازة مفتوحة، والنكتة أصبحت قديمة و.... بايخة !!

***

نمنحه مرتبةَ الشرفِ الأولى في الفشل

هشام قنديل

المواطنُ البريءُ من تهمةِ رئاسةِ الوزارةِ والعياذُ بالله !![1]

" **عليًّا الطلاق ما اعرف شكل رئيس الوزراء أيه** " .. هذه الجملةُ البريئة الكاشفة أطلقها أحد المواطنين المتّهمين بمحاولة الاعتداء على موكب الدكتور هشام قنديل رئيس الوزراء ، وطبقًا لما نشرته وسائل الإعلام ، كانت هناك معركة جانبية بين عدّة مواطنين في إطار مهرجان الفوضى والانفلات الأمني المقام تحت رعاية وزارة الداخلية ومجلس الوزراء ، كانت المباراة / المعركة على أرض ملعب المَنْيَل ضد بائع حمّص شام مسكين، وأثناء فرار الفريق "الضيف"ساقته الظروف الهباب ليلبس في موكب رئيس الوزراء ... وكان ما كان .

المتّهم إيّاه حلف يمينا بالطلاق بأنه لا يعرف "شَكْل " رئيس الوزراء ، ربّما لأنه متخصص في أعمال المحارة أو الألوميتال ويمارس هواية الضرب والترويع في أوقات الفراغ ، ولا علاقة له بهواية القراءة والمطالعة والمراسلة وتبادل طوابع البريد، لكننا ، نحن أهل القلم والألم ، نعرف "شَكْل " السيّد رئيس الوزراء فهو يحبّ التصوير بنهم لم نعهده في مسؤول سابق، وبالرغم من عشرات الصور التي تحاصرنا يوميّا لسيادته في كلّ الأوقات وكل الأوضاع ، أي نهارًا ومساءً وفجرًا ، وبالملابس

---

[1] العدد ٦٨ – الثلاثاء ١٤ مايو ٢٠١٣م .

الرسمية والكاجوال وأحيانا بالترييننج سوت ، فإن الملايين من الأبرياء لا يعرفون شكله ، وأعتقد أن لديه الآن عددا من الألبومات التي ستعينه بشكل جيّد في تسجيل مذكراته ليحكي لنا عن إنجازاته التي لم نرَ منها شيئًا اللهمّ إلا هذا الفشل الذي لا نظير له في كلّ الحقب السوداء التي مرّ بها وطننا مصر ، ولو أنّ هناك جائزة للفشل لرشّحته لنيلها بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى !

يمنعني خجلي من أن أضيف عددا من "الطلاقات " جنبًا إلى جنب مع "طلاق " ذلك المواطن الذي عبّر عن ضمير المجتمع كلّه ، بالرغم من كونه متّهما في اعتداءات أفضت إلى القتل أو الموت ، لكنني سأتحكّم في لساني حيث لم أتعوّد ـ أصلا ـ أن أحلف (بالطلاق أو بغيره ، فالحلّاف إنسانٌ جبان متلوّنٌ ضعيفٌ كذوبٌ مهتزٌّ الثقةِ في نفسه) والأمر لا يحتاجُ إلى أيمانٍ وطلاقاتٍ وشهود إثبات ، فإنجازات السيد قنديل وشركاه لا يراها أحد سواهم ، ومن خلفهم حزب الكائنات الزاحفة في الصحف المخرومة أو الفضائيات المأجورة أو قيعان الإنترنت !! والغريب أن هؤلاء يتعاملون مع الشعب وكأنه عبءٌ أو حمولة زائدة على أكتافهم ، ويتمنون أن يتخلّصوا منه بأية طريقة ، الشعب في نظرهم مجرّد أقلية لا قيمة لها ، ودورها ينحصر في السمع والطاعة والتصفيق ... يضعون له الأرقام الخيالية في أطباقه الفارغة ، ويقولون له : تخيّل ، واحلم ، واحمد ربّك على خيرات الجماعة وبركاتها ، الناتج القومي من محصول القمح سيغطي احتياجاتنا ونقوم بالتصدير ، لكنهم لم يقولوا لنا كيف سيحدث ذلك ؟ أحد الخبثاء أمثالي قال إن هذه الطفرة ستحدث بمشيئة الله مع زراعة سطح مقر الإخوان بالمقطم بنباتات القمح ، وعندها ، سنأكل المشلتت والجاتوه ، وننسى حكاية الثلاثة أرغفة لكل مواطن ، أو حسب إرشادات

الطبيب ! وواضح من هذه البشارة أن مكتب الإرشاد الـ... زراعي يعمل في الهواء الطلق ، ولا يُحكِمُ الغطاء أثناء النوم ، ولذلك يلتقط إرسال الموجات الشيطانية العابرة للخيال ، وتظهر على شاشته مثل هذه النبوءات الزراعيّة العجيبة. أمّا أكبر فشرة نزلت على المواطنين الأبرياء بردًا وسلامًا ثمّ تبخّرت وتبخّر معها وزير البترول أسامة كمال (لأنه كذّبها) فهي إعلانهم عن اكتشاف بئر بترولية (البئر مؤنث) طاقتها الإنتاجية عشرون مليارا من البراميل يا مؤمن ، وهذا ـ بالعقل ـ معناه أننا حوّلنا البحر المتوسط وأخاه الأحمر إلى ذهب أسود بتعويذة إخوانية وبربع جنيه بخور !! عشرون مليارا من البراميل؟! لم يرمش لهم جفن وهم يقولونها ، بئر مثل هذه تحتاج إلى أنابيب بحجم قناة السويس لتستوعب تدفّق هذا الفيض الأسود، أما الناقلات فسنعجز عن توفيرها ، وسيكون من الملائم أن نستدعي كل فرد على وجه الكرة الأرضية ليأخذ نصيبه ويتصرّف فيه ، إذ سينال كل مواطن (من جميع أنحاء العالم بما في ذلك أصدقاؤنا الأعزاء الأوفياء في إسرائيل الشقيقة) حوالي خمسة براميل على الأقل ، فليأت كلّ مواطن ويدفع ، ويحمّل ، على توك توك ، على ربع نقل ، على حمار ، كله فوائد لنا ، بيع وتشغيل القوى العاطلة من التكاتك والحمير والربع نقل ، يقولون ذلك بينما نتسوّل وقودنا البترولي من "اللي يسوى واللي ما يسواش "!وطوابيرنا أدخلتنا الموسوعات العالمية ، وحطّمنا كل الأرقام القياسية في الخيبة والتدهور والانهيار ،غير أن الواقع شيء ، والفتوحات الإخوانجية شيء آخر ، ومع كل فتح من هذه الفتوح النهضوية ، تخرج علينا الكائنات الاستراتيجية وقوافل المبرراتية والطبّالين ، وتنطلق قطعان التيوس المُستعارة على صفحات الصحف وشاشات الفضائيات وخرابات الانترنت ، و..

اعزفي يا فرقة حسب الله ، وارقصي يا طيور النهضة فوق جثث الأحلام المسروقة والثورة الموءودة ، ومَن يعترض أو يطالب بإعمال العقل ، فهو فلول ابن فلول،وهو ليبرالي علماني يستقوي بالخارج ويستعديه على الوطن ، ولذلك ، لا بدّ من كبح جماح كلّ مَن يرفع صوته ، وأن تتم استضافته في أحضان سجن العقرب ، على طريقة "اضرب المربوط يخاف السايب"، وهي نظرية عمّك الحاج أبو سويلم التي يطبقها مع الحمير المارقة في حقول البرسيم مع مراعاة نصائح حضرة المرشد .. الزراعي .

حكومات هشام قنديل لا تُرى بالعين المجرّدة ، فهو يستلم وزراء كالأطياف ، نتخيّلهم ونرسم لهم صورًا ، ونعيش على الذكرى مثل العشّاق الخائبين في كلّ العصور ، وإذا كان المواطن الغلبان الذي يمارس الفوضى والفلتان قد أقسم بالطلاق على أنه لا يعرف اسم رئيس الوزراء ولا شكله ، فالعبد لله ، من غير حلفان ، لا يعرف تسعين بالمائة من أسماء السادة الوزراء ولا أشكالهم ، وكلّما حاولت التذكّر أستعين بصديق اسمه "جوجل" ، وهذه فضيحة بالطبع ، ليس لي، ولكن لهؤلاء الذين لم يقدّموا شيئًا يجبرنا على أن نتذكّرهم ! وعندما جاء الترقيع الوزاري الأخير ، علم به السيد هشام قنديل مثلما علمنا به ، لا تتهموه بأنه حذف فلانا وجاء بفلان ، إنه رجلٌ طيّب لا يقوم بمثل هذه الأعمال التي يقوم بها رؤساء الوزارات ، هو عليه فقط أن يعلن أسماءهم للناس ، أما الاختيار فله حسابات أخرى ، حسابات توصف بأنها ثورية ومن أجل حماية الثورة لكي لا ... ترجع إلى أصحابها الشرعيين .

جاء الترقيع الأخير مثيراً للتساؤلات والتهكّمات والعواصف التويترية والفيسبوكيّة ، وكان النصيب الأكبر لمندوب مبيعات فودافون ، ويزاحمه المستشار حاتم بجاتو الذي أراه خسر كلّ شيء! إذ أعادني ذلك إلى مسألة شخصيّة أستسمحكم في أن تتحملوني فيها ، فالمستشار المذكور كان دفعتي في كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية (مايو ١٩٨٢م) ، وكان من الوجوه المألوفة خصوصا في السنة النهائية ، لكنه لم يكن أشهر منا ـ معظم رؤوس تلك الدفعةـ ، ولا أعلى في الدرجات والتقدير ، وعند ترشيحنا للعمل بسلك النيابة العامة كان العدد كبيرًا جدّا من كلّ الجامعات عدا جامعة الإسكندرية إذ جاءت نتيجة ذلك العام من أسوأ نتائج كلّيتنا العريقة على مدار تاريخها ، لدرجة أن العميد (الأستاذ الدكتور توفيق فرج) ظل يرفض اعتماد النتيجة فتأخّرت كثيرًا إذ قيل إنه تمّ رفعها أربع مرّات ، وأصرّ الأساتذة على أن يُشار أمام كلّ طالب بالمواد التي تمّ رفع درجاته فيها لينجح، وكانت فضيحة بالفعل لدرجة أنني فكّرت في نزع الكشف الذي به اسمي وتمزيقه ، لكنني وجدتني مررتُ بسلام فلم أُقدِم على تلك الخطوة (ولا أدري هل مرّ المستشار بجاتو بسلام أم بالرفع ؟) ، المهم كانت مقابلة النائب العام يوم الأحد، السابع والعشرين من مارس ١٩٨٣م ، ويومها ، كانت اللجنة من ستة مستشارين ، وجاء دوري في المقابلة الشخصية بعد الثانية ظهرا بقليل ، سألوني في موضوع "التزوير " (من مقرّرات السنة الثالثة) ، جاءت ردودي كلها سريعة منضبطة وبالفصحى التي أتقنها ، لم أتلعثم مع تقاطع الأسئلة من السادة المستشارين

ومراوغاتهم ، وكانت ردود أفعالهم وبشاشتهم حافزا لي بالاطمئنان فقد أصررت على عدم الاستعانة بالواسطة ، ويومها ، خرجت من دار القضاء العالي إلى أخبار اليوم لأزف البشرى إلى الفنان الكبير مصطفى حسين الذي كان يتبنى ريشتي الضعيفة وقلمي الحادّ منذ نهايات السبعينيات وأعطاني شهرة كبيرة في سنوات الجامعة ، أخبرته بما دار في الدار ، وكأنني أمهد له أنني سأُجبَرُ على الإقلاع عن الكتابة فتعييني بالنيابة لا جدال فيه ، و... مرّت الأيام حتى كان صباح الأربعاء ، التاسع من نوفمبر ١٩٨٣م ، وفيه جاءت صحف الصباح بقرار رئيس الجمهورية وبأسماء المعينين ، ولم أصدّق ، ولم يصدّق أحد من زملائي في الوحدة العسكرية أنني خارج القرار ، وأمامهم جميعا أقسمت ألا أعمل في مجال القانون ولو على رقبتي !

كنت أشعر بالفخر لدفعتي كلما وجدت اسم المستشار بجاتو يتألق خصوصا في رحلته مع المحكمة الدستورية ، غير أن الصدمة اقتلعتني منّي عندما وجدته ضمن الحركة التجميلية الأخيرة ، وكنت أتمنى أن يظل قابضا على موقعه في أعلى المحاكم وأبهاها ، فسارعت بالكتابة على حسابي في تويتر :"حاتم بجاتو الذي تمّ اختياره كرقعة في الترقيع الوزاري الأخير ، من أبناء دفعتي في حقوق الإسكندرية مايو ١٩٨٢م ، فالحمد لله الذي لم يجعلني رُقعة. "وستظلّ رائحة الشياط التي تنبعث من هذه الرقعة تزكم أنفي إلى آمادٍ بعيدة .

أعود إلى السيّد قنديل ، المتهم برئاسة الوزارة فأقول إنه بريء منها ومن تعديلاتها وترقيعاتها فلا تلوموه ، هو اكتفى بأن أشاد به كاتب كبير ورسّام كبير

لكونه يسكن في شقة صغيرة بالإيجار(وهل هو أحسن منّي مثلا ؟)فاعتبر ذلك انتصارا ونجاحا ، واندمج في لعبة السنافر التي يحبّها ، وبين الحين والحين يقوم بدوره في تمثيلية رئاسة الوزارة ، فلا تحمّلوه مسؤولية قندلة أوضاعنا وقطرنتها ، ولا ارتفاع الأسعار والانفلات الأمني وفوضى كل شيء ، اتركوا الرجل في حاله وإلا سأهديه عددا من الألعاب الاليكترونية المسلية مثل زوما والأقصر وحرب إمبابة .... بالعند فيكم ، و... خلّيها تخرب !!

***

.. بين سِـرِّ المعبد و.. سِـرِّ الإقالـة

الخربـاوي يـأخـذُ الجائزة .. وأحمـد مجاهـد يـدفـعُ الثمن !![1]

كثيرون من المنتمين إلى الوسط الأدبي والثقافي ، وأظنني واحدًا منهم ، لم يسمعوا عن السيّد الأستاذ الدكتور وزير الثقافة الحالي الذي جاء بديلا من الأستاذ الدكتور محمد صابر عرب في عملية الترقيع الأخيرة ، بل لم نعرف عنه شيئًا إلا بعد قيامه بعملية مونتاج قاسية بإقالة الدكتور أحمد مجاهد ، الذي (كانَ) رئيساً لهيئة الكتاب ، فيما يشبه العملية الجراحية بدون بنج ، فالرجل ـ أعني الوزير ـ حاول أن يعلن عن وجوده فقام ، من دماغه ومن تلقاء نفسه أو بالإملاء ، بتغيير مسمّى "مكتبة الأسرة " إلى "مكتبة الثورة المصرية " أو شيء مثل هذا ، فاحتج مجاهد عبر حسابيه على " تويتر " والـ" فيس بوك" وكتب : أنا في بيتي حتى إشعار آخر ، ولما سأله بعض المارة والمتسكّعين على الشبكة العنكبوتية : ماذا تعني بقولك هذا يا أيها الرئيس ؟ (أعني رئيس الهيئة ، وهو عندي أعلى مرتبة من رئاسة الوزارة) فكان رد مجاهد : إن السيد الوزير أصدر قراره دون أية مناقشة معنا (يقصد لجنة مكتبة الأسرة) وهذه بداية غير مبشّرة ، وسوف ألزم بيتي حتى أعرف الدوافع !! ولا يعلم إلا الله والسيد الوزير وبعض الراسخين في العلم كيف جاء ردّ الوزير سريعًا وحاسمًا وباترًا ، إذ لم ينتظر مجرّد اللقاء مع السيّد الرئيس (رئيس الهيئة) وأهل

[1] العدد ٦٩ – الثلاثاء ٢١ مايو ٢٠١٣م .

العلم والخبرة والاحترام أعضاء لجنة مكتبة الأسرة ، وكان ردّ الفعل المباشر هو إهداء أحمد مجاهد مظروفا صغيرا به قرار إقالته حتى لا يكرر تصريحاته النارية على شبكة الانترنت الثوريّة والعياذ بالله ، فهل نسيَ أحدٌ أنّها كانت المحرّك الأساسي لثورة ٢٥ يناير التي أسقطت النظام المستبد لتأتي لنا بنظام أكثر استبدادا ؟ ومن توابع الثورة المسروقة جاء السيّد الوزير لم يكن يعرفه سوى طلّاب أكاديمية الفنون وأستاتذتها ، وللأسف الشديد لم يكونوا يعرفونه بحضوره الخلاق أو بأبحاثه المتوهّجة المتجددة ، ولكن يعرفونه بكثرة مشاكله ومشاكساته مع زملائه ، وبعدم تقديمه شيئا جديدا منذ حصوله على الدكتوراه ، بما كان يمثل عبئا على الأكاديمية ، ولن أخوض في التفاصيل الأخرى التي تسيء إلى سمعة البني آدمين (ليس خوفا من كونه وزيرا أو من أنه قدّم بلاغات للنيابة العامة ضد رئيس الأكاديمية ، ولا ولا) لأننا معنيّون بالأساس بهذا التصرّف الفجائي الذي ينم عن أن الرجل قادم لتنفيذ كتالوج معين ، ثم يأخذ جائزته وينصرف ! (والجائزة هي لقب وزير ، ومعاش وزير ، ومخصصات وزير ، وكلّه من دم الشعب الذي يرقص على فوهات اللهب) .

وتحدّثني نفسي الأمّارة بالسوء ، أن الرجل يعاقب أحمد مجاهد على جريمة كبرى ارتكبها في حقّ الإخوان ولم ينتبه إليها كثيرون ، فقد تجرّأ السيد مجاهد ومنح كتاب "سرّ المعبد " للكاتب المتفرّد ثروت الخرباوي جائزة أفضل كتاب سياسي لعام ٢٠١٢م ، وذلك في معرض الكتاب ٢٠١٣م ! ، وللذين لا يعلمون ... ثروت الخرباوي أحد أهمّ المنشقّين عن جماعة الإخوان ، ويمثل ، بمواقفه وكتبه وكتاباته ، أكبر خنجر في قلوب أعضائها والمنبطحين تحت أجنحتها التي لا يعلمها إلا الله جلّ

في عُلاه ، وكتاب "سرّ المعبد" ليس كتاباً ، بل هو تحفة تستحق عشرات الجوائز ، وما فعله أحمد مجاهد لم يكن مجاملة للرجل ولا كتابه ، وليس عداءً للإخوان لا سمح الله ، ولكنه إحقاق للحق ، واحترام لقرار أعضاء لجنة التحكيم الذين لم تتلوث ضمائرهم بعطايا الجماعة ، ولم تطمح نفوسهم إلى ذهبها ، ولم تهتز هاماتهم خوفا من سيوفها وخوازيقها ، لكن هذا الكلام الكبير نقوله في الكتب وفي ساحات النظافة والجمال ، أما إذا كان مُنتِجُ هذا الجمال ضد الإخوان فتلك مصيبة ، فما بالك إذا كان أحد القياديين الذين انتزعوا عقولهم من سجون الفكر المظلمة الصمّاء ، وراحوا يكشفون أسرار الذين يتحدّثون تحت عباءة الدين وعباءة الوطنية بلا وجه حقّ ؟، وهكذا ، أخذ الخرباوي الجائزة التي يستحق العشرات من مثلها ، وأخذ أحمد مجاهد الجزاء الانتقامي الذي يليق بأمانته والتزامه بالحقّ وبإحقاقه ، وليكون عبرة للبقية الباقية إلى الآن في المواقع التي لم يتم انتهاكها بعد ، فالجائزة ـ من وجهة نظر هؤلاء وماسحي جوخهم ـ ليست مجرّد عشرة آلاف جنيه قد لا تكفي عزومة عشاء لأسرة في مطعم خمسة نجوم ، ولكنّها تكمن في معناها الذي يتجاوز الملايين ، وكأنها ـ الجائزة ـ جاءت كختم النسر الذي وثّقَ مئات الكتابات التي ملأت ضفاف العام الفائت وهي تتغزّل في هذا الكتاب ، والراسخون في شراء الكتب يدركون أنّه ـ لكثرة الطلب عليه ـ تمّ تزويره وطرحه في كلّ شوارع المحروسة بما أضاع على "دار نهضة مصر "ـ صاحبة حقّ النشر ـ ملايين الجنيهات !!

لك الحقّ أن تختلف أو تتفق مع أحمد مجاهد ، إنسانيا أو ثقافيًّا ، قل ما تشاء فيه، لكن ضع رأيك الكاره لأحمد مجاهد أو الحاقد عليه أو المنتقد له ، وانظر إلى تصرّف السيّد الوزير ، وضعه في جملة مفيدة من عندك ، وأعتقد أنك لن تقتنع إلا إذا كنت

من الذين ختم المرشد على عقولهم (والعبارة مسروقة من الفيس بوك ـ بتصرّف ـ فأنا حرامي سابق ، وشاطر ، وغيّرت كلمة واحدة احترامًا لأذواق القراء بالطبع) .

ما فعله أحمد مجاهد في هذين العامين (وعدة أشهر) بهيئة الكتاب ، يعترف به أهل الهيئة أنفسهم ، ويكفي أنه جعلها تنافس دور النشر الخاصة ، وأعاد لها أرضها المسروقة بشارع فيصل ، وحوّلها من أرض خراب وملتقى للكلاب الضالة وللخارجين على القانون ، إلى قطعة مضيئة بالكتب والمعارف والندوات والفنون ، كما أعاد للهيئة توهّجها وحضورها في الأقاليم الأخرى (خارج القاهرة) ، وعلى المستوى العربي ، وسوف يبقى ذلك محسوبا له بالرغم من تحققه في ظروف بالغة القسوة يفرّ فيها الكثيرون من مواقع المسؤولية ، والأيام كفيلة بفرز الصالح من الطالح ، وكلّ إنسان ينام الآن قرير العين ، بينما أرشيفه على الانترنت يقول للناس ما لا يعلمون !

... تتواصل عملياتُ التجريب والتجريف التي تقوم بها الحكومة المصريّة الثوريّة التي تعمل بالبركة ـ أو بالبطاريّة ـ وطبقا لإرشادات مكتب الإرشاد إيّاه الذي يدير البلاد من خلف ساتر ، وكما قلنا ، سابقًا ، إنّك في دولة الإخوان الابتدائية المشتركة "مش ح تقدر تغمّض عينيك " من الاندهاش والرعب معًا ، الاندهاش ... عندما ترى دولةً بحجم مصر تتحوّل إلى ساحة لتعلُّم ركوب العجل والتكاتك ، والرّعب .. من القلق ليس على الحاضر والمستقبل فقط ، ولكن على الماضي أيضًا ، وهذه واحدة من معجزات الإخوان التي لم يستطيعوا أن يضيفوها إلى معجزاتهم التي يحاصروننا بها وعلى رأسها تحقيق الاكتفاء الذاتي من محصول القمح واكتشاف بئر للبترول طاقتها عشرون مليار برميل كما أشرنا في مقال سابق ، هؤلاء

الذين يتعلّمون فينا أصبحوا كمن يمشي بظهره إلى الخلف ليمحو ما بناه السابقون ، وبدلا من أن يضيف ما ينمّ عن وجوده ، راح يعبّر عن وجوده بالحذف والهدم والتدمير والعصف بكلّ ما هو إيجابي ومضيء !! هذا الفكر المأساوي لم تشهده دولة على وجه الأرض ، وما خطر على بال بشر أن يأتي يومٌ على مصر تتحوّل فيهِ إلى فأر تجارب في معامل المقطّم ، وفي كل لحظةٍ يُضاف إلينا جرح جديد ومأساة لا طاقة لنا بها ، ليس على أرض سيناء المظلومة والمنسية فقط ، ولكن باتساع الخريطة كلها ، وبالرغم من كل الخراب والانهيارات التي تتزاحمُ علينا ، يخرج علينا رئيس حكومتنا الرشيدة ليقول إن حجم المعارضة لا يتجاوز كيلومترا واحدا وهو ميدان التحرير !! وهذا يدل على طيبة هذا المواطن وبراءته ، وأنه ما كان له أن يكون في مثل هذا الموقع أبداً ، وما دام يقيس الأمور بالشبر ، ويرى ميدان التحرير مثل دمّل في قفا مصر (لا مؤاخذة) ، ولا يستطيع أن يستوعب رمزية المكان وحضوره في ذهن العالم كله الآن ، فالأولى بهذا الرجل الطيب أن نبحث له عن عمل شريف يناسب شخصيته وطريقة تفكيره ، لا أن يظل رئيسا للحكومة الوهمية التي لم تنجح إلا في الفشل ، على أن يأخذ معه كلّ الذين أتى بهم ، أو تمّ تسليمهم إليه في عمليات ترقيع يائسةٍ لا تقدّم شيئًا ، ولا تعطي أملا ، نحن نتنفّس تحت ماء اليأس والإحباط في مستنقعات الخيبة ، ولا نرى إلا عزفا ارتجاليا في كل اتجاه ، سبعة آلاف سنة معروضة الآن على قارعة الطريق ، ليأتي كلّ مَن ليس له أصل أو فصل أو تاريخ ليشتري قطعة من تاريخنا ليتباهى بها على الأمم ، أمّا المستقبل فيُلقَى تحت أقدام الثعالب الضالة والضباع الجائعة كرهن أو رهينة إلى حين ميسرة ، ولم يعد هناك مانع في التنازل عن سيناء لحماس ، وحلايب وشلاتين للسودان ، والغردقة للبحر

الأحمر ، والإسكندرية للبرنس ليركب العجَل ويأكل البطيخ ، فالإحساس بالوطن وقيمة التراب لا يتأتى بسهولة لمن لم يخوضوا معركة ولم يعرفوا الشهادة ، الإحساس بقيمة التراب لا يعرفه الذين يرون وطنهم في ثمانين دولة وأكثر ، وهم ماضون في التخريب والتدمير والتجريف ، لا تهزهم صرخات الأوفياء ، ولا تزعجهم شتائم الغاضبين ، ويلقون كل ذلك تحت عجلات الاستعلاء والتكبّر ، ويمضون إلى أهدافهم الضيّقة ، وهم لا يعلمون أنّ أعلى نقطة يصلون إليها هي بداية السقوط السريع .

يأتي وزراء ويرحل آخرون ، وتوضع رُقع مهترئة مكان مثيلاتها ، ويمضي كلٌّ منّا إلى نهايته ـ في يوم ما ـ تاركا خلفه سيرته بما له وما عليه ، وقد يسألني أحدكم : ولماذا لم تكتب اسم السيّد الوزير إياه ولم ترسموا صورته ؟ فأقول : مستخســـر !!

***

نؤازرُ جنودنا الأبطال ونبحثُ عن الإجاباتِ الضائعة:

التمثيليّـة مكشوفة ،

والمـؤلف سـاذج وفاشـل[1]

" إذا لم يتمّ الكشفُ عن أسماء المجرمين الذين قاموا بعملية خطف الجنود السبعة وإذلالهم وإذلالنا ، فلا بُد من الكشف عن مؤلّف هذه التمثيليّة ".. هكذا قلتُ لحظة إسدال الستار على حكاية اختطاف الجنود ، تلك العملية التي اختُطِفت فيها قلوبنا جميعا ، وخصوصًا بعد نشر الفيديو المُهين لكل ما في تاريخنا وحضارتنا وتحضّرنا ، عندما رأينا أبناءنا الأبطال مجبورين على استجداء العطف من رئيس ليس له في الأمر حيله ، وقائد ـ وزير دفاع ـ أصبح في نقطة التأرجح بين الثقة المطلقة وانعدامها المطلق (!!) ، وزير طغت شعبيته بشكلٍ يثيرُ الحسد والقلق والمخاوف ، وهو يواجه ـ دونما قصد ـ جماعة محظورة أدمنت الشك والارتياب والرعب لطول ما عملت في الظلام ، ولطول ما عاشت في ظلمات الأنانية والانكفاء على المصالح الخاصة الضيقة ولو كان الوطن هو الثمن .

لا نُخفي سعادتنا بعودة أبنائنا سالمين ، إنهم أبناء كلّ الشعب ، وهم ورثة أبطال جيشنا العظيم على مرّ التاريخ ، ولا ذنب لهم في هذه المقامرات والمغامرات

[1] العدد ٧٠ – الثلاثاء ٢٨ مايو ٢٠١٣م.

الصبيانية التي يمارسُها الذين لم يحملوا سلاحا للذود عن تراب الوطن ، ولم يعرفوا قيمة الواجب أوالشرف الوطني ، أولئك الذين ساورتهم الأحلام أنهم سيملكون العالم كلّه ويحكمونه بالنبّوت ، في عصر تُدار فيه الحروب بالريموت كنترول ، سيقول كثيرون : إنك تتحدّث عن الجيش ، بالرغم من أن المخطوفين السبعة كان من بينهم ستة من جنود الشرطة ، أي يتبعون وزارة الداخلية ، وجندي واحد ينتمي إلى القوات المسلحة ، أي الجيش ، فأقول : أعي ذلك جيّدًا وأعنيه ، وهُما ـ الجيش والشرطة وقبل كلّ شيء ـ وجهان لعملة واحدة ، وهما معًا حصن أمان هذه الأمة وهذا مربط الفرس ، لكنّ الجيش هو المُستَهدف الأوّل من الداخل قبل الخارج وهذا قمة المأساة ، المقصود كسر أنف الجيش وإذلاله وإخضاعه ، وكبح جماح الشعبية الجارفة لقائده المحترم الفريق أول عبد الفتاح السيسي الذي خطف الأضواء من الجميع ، وأصبح اسمه كافيا لفرض الثقة والطمأنينة على الوطن (المخطوف) ، أمّا الشرطة فهي أكبر علامة استفهام باضتها الثورة المسروقة ، ونكاد نشعر أن البطولات التي يقوم بها أبناء الداخلية هي أعمال فردية (أو غير مقصودة) من جانب أبنائها الأوفياء الذين تمّ تشفيرهم ووضعهم تحت سقفٍ لم يألفوه ، فأصبحوا منزوعي الأظافر فاقدي القدرة على التحرّك ، ليستمرّ إضعافهم واستنزافهم وتصغيرهم في أعين مواطنيهم ، وليصبح من السهل التهامهم وابتلاعهم عندما يخرجون عن أوامر بيت الطاعة الكائن بالمقطّم ، وإذا كان النسيان من النّعم الكُبرى ، إلا أنّ هناك أشياء لا يجب نسيانها ومنها تصريح السيّد وزير الداخلية في لقائه مع خيري رمضان على قناة **cbc** قُبيل الترقيع الوزاري الأخير بأنه ـ أي الوزير ـ باق في منصبه ، وهذا معناه أنه يسير طبقًا للكتالوج الذي وضعه

حكماء المقطم ، فكيف يتم تغييره ؟ ثمّ إنّ الرجل لا يحظى بأية شعبية في الشارع العام ، وربّما داخل الوزارة ذاتها بكلّ توابعها ، فهو الأنسب من وجهة نظر إخواننا في هذه المرحلة من عمر الوطن ، مرحلة هتك دولة القانون ، والاعتداء على القضاء، وتشفير الصحف وأجهزة الإعلام الأخرى ، وإسناد التشريع إلى مجلس غير مشروع ومطعون في أساسه ، لتنال مصر الثورة أسوأ عقاب لها على قيامها بالثورة التي جاءت بهؤلاء في سيناريو رديء يرفضه إبليس ويأبى أن يُجازى به شعب كشعب مصر الصابر المثابر الذي يستحقّ كل الاحترام والتقدير والسهر على مكافأته لا السهر على تمزيقه وتفريقه وتشتيته في آلاف الطرق والشعاب لتلتهمه الكلاب الضالة وقُطاع الطرق .

الشرطة المنزوعة الدّسم لم تعد تشغل بال أعداء الداخل أو حلفائهم من المحيطين بنا ، الجيش هو الشوكة التي تقف في زور جميع الطامعين بدءًا من أول ثانية في تاريخ أجدادنا الفراعنة ، وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها . ملايين الشهداء الذين قدّمهم جيشنا العظيم على مدار تاريخه من رمسيس الثاني إلى أنور السادات ، كان وداعهم بالزغاريد ومشاعر الفخار والعزة والكرامة ، ولم نذق مرارة الوداع والإحساس بالفقد إلا في اللحظة التي كان ينبغي فيها أن نصل إلى أقصى درجات الفرح والسعادة ، اللحظة التي تخيّلنا فيها أن الأيام ستنحني أمامنا لتلبّي طموحاتنا وأوامرنا بعد ثورتنا المدهشة ، ثورتنا التي أوقفت العالم على أطراف أصابعه ليسجّل ما يصنعه المصريون ، ولم يكن يدرك ـ ولا نحن ـ أن مصريين من بيننا سينقضّون على أوراق الأحلام الخضراء انقضاض الجراد المحروم ، ليتركوا هذه الأحلام حطبا أجرد يمرح فيه سوسُ الشّكّ وسوء الظن والشعور بالخيبة

وضياع كلّ شيء!! كنّا نحلُم في الهواء الطلق ، بينما الأيدي الخبيثة تتحرّك في الظلام وتغزل لنا من حلوكته الدامسة أثوابًا لسنوات الحِداد المقبلة ، اختطفوا فرحتنا قبل أن تكتمل ، وهانت دماء الشهداء وتضحياتهم ، وتسللت ملابس الحداد لتغطّي الشرفات والأيّام وتسرح في الزمن المسروق ، صعدت أرواح الأبرياء وهي تبصق في وجوهنا ، وتسخر من سذاجتنا وعبطنا المزمن ، لا حققنا أحلامهم التي دفعوا حياتهم من أجلها ، ولا عثرنا على قاتليهم واقتصصنا لهم ، ولا كففنا عن الكلام والأوهام البالية ، عاش الشهداءُ يحلمون لنا ثم ضحوا من أجلنا ، وعندما ذهبوا تركوا أعمارهم المخطوفة ديونا في رقابنا التي تستحقّ الشنق ! نحن الموعودين بالكمائن والخوازيق إلى درجة الإدمان ، بلعنا نار شهداء الثورة واخترعنا المبررات لصمتنا وضعفنا وهواننا وقلة حيلتنا ، فماذا فعلنا وستة عشر رجلا من أنبل رجال قواتنا المسلحة يؤخَذون غيلةً وهم على وشك تناول طعام الإفطار في الخامس من أغسطس ٢٠١٢م ؟ عشرة شهور من الدوران في الدوائر المغلقة ، لا ندري أهي بالفعل مؤامرة لإلهائنا عمّا تفعل الجماعة وشركاؤها لإتمام خطة الإجهاز على الوطن، أم نحن هكذا أصبحنا مكشوفين ومنتهكين وفي متناول أي عابر سبيل ؟ أين مخابراتنا التي مرمطت سمعة أعدائنا الذين ظنوا أنهم لا يُقهرون ؟ أين أجهزتنا التي تعرف دبّة النملة ؟ هل وصل بها الصمم إلى درجة أنها لم تسمع هدير الرصاص ولا تستطيع الإتيان بالقتلة الجبناء لتهدأ أرواح الشهداء ونشعر نحن أننا على قيد الحياة؟ مَن المتواطئ الصامت المشارك في كلّ ما يدور على أرض سيناء المُستباحة ؟ كيف هانت أرض البطولات إلى الحد الذي يقوم فيه مصري بإذلال مصري آخر كلّ الذي جناه أنه ذهب ليحمي هذا المجرم وقد يبذُل حياته من أجله ؟ كيف وصلت

بنا الحال إلى أن نحوّل أبناء سيناء من ظهير قوي إلى خنجرٍ في الظهر ؟ كنّا نتهم الأنفاق ورفقاء سجن وادي النطرون وشركاء المستقبل الأمني الذي سيحكم العالم في المستقبل معتمدًا على تكنولوجيا نبّوت الغفير ، الآن ماذا نقول ومصيبتنا منّا فينا؟ وهل يليق بأبناء سيناء العظماء أن يخرج من بينهم هؤلاء الذين أهانوا كرامتنا بشكل غير مسبوق حتى ولو كانوا مجرّد كومبارس في تمثيلية فاشلة ؟ هل تستحق الكراسي كلّ هذه الخيانات ؟ وهل يضمن أحدنا العمر إذا ضمن الكرسي ؟ وقبل كلّ هذه الأسئلة وبعدها ، وإلى ما لا نهاية : أين الجيش ؟ أعني : أين القيادة ؟ هذا الغبار الذي غطّى ملامح السيّد وزير الدفاع وهو يجلس محزونا وإلى جواره زميله بتاع الداخلية جعلني أصاب بالفزع وأشعر بعمقٍ آخر للمصيبة ! أهذا الذي قلنا إنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ مصر وشعبها من مخالب الوحوش العمياء ؟ ما هذا أيها الرجل العملاق الذي احتل زمننا ؟ مَاذا تُخفي تحت هذه الملامح اليائسة الحزينة؟ وماذا نفعل نحن ، عامة الشعب المظلوم، بعد أن ألقينا العبء على كتفيك ونمنا ؟ ما هذا الكابوس ؟ متى ستسترد روحك ، ونسترد معها أرواحنا ؟ الداخليّة منّا فينا ، ولن نختلف تحت سقف بيتنا حتى ولو فرضوا عليها خمسين وزيرًا منزوعي الإرادة والإدارة ، لكنك ، وجيشك العظيم ، غطاؤنا وسقف هذا البيت ، ماذا سنفعل لا قدّر الله لو انكشف سقفنا أو أصابته الثقوب ؟

لن أصرخ فيك كما يصرخُ الآخرون لتنزل بجيشك إلى الشارع لتوقف سيل الانتهاكات وترمم التآكل الذي يضرب جسد الحبيبة مصر جرّاء ما يفعله الهواة بها وبنا ، لن أطالبك بالوقوف في وجه المجلس غير الشرعي الذي أصيب بإسهال تشريعي سيحمل الشعب قرفه ورائحته الكريهة ، ولن أقول لكم : أعلنوا العصيان

واعترضوا على الضرائب والمصائب التي تلتف حول رقاب الغلابة ، لا أطالبكم بالانقضاض ولا الانقلاب ولا الاختلاف مع مؤسسة الرئاسة ، لكنني أرفض الانصياع التام في أشياء تخصّكم أنتم ولا علاج لها إلا بإيديكم ، نريد أن نعرف قاتلي أبنائنا الستة عشر في الخامس من أغسطس ٢٠١٢م ، ونريد أن نرى محاكمة عاجلة لخاطفي جنودنا السبعة في العملية الأخيرة (ما دام هؤلاء الخاطفون معروفين ، ولهم وسطاء سعوا بينكم) ، فيا إمّا هذا ، ويا إمّا الكشف عن مؤلف هذه التمثيلية ومُخرجها الساذج الأهبل ، والمحاسبة على كلّ نتائجها سواء كانت عملية أو كانت تمثيلية (!!) أما الثورة فلها شعبٌ يحميها ، هي مريضة الآن ، ولكنها ستسترد عافيتها وتؤدّب سارقيها وتكمل أحلامها ولو كره الكارهون .

أمّا أنت يا جيشنا العظيم بجناحيك على الحدود وفي الداخل / الداخلية ، فأنت في القلب ، برجالك ، وبطولاتك ، وتضحياتك ، مَن يستهتر بك يسعَ بسرعة البرق إلى حتفه ، وإذا مرّ غبارٌ طارئٌ على بيادة أحد أبطالك فلا تحزن ولا تيأس ولا تنكسر ، أنت الأبقى كالهرم الأكبر وكلهم حول بياداتك الشامخة كالنمل التائه ، وراءك التاريخ ، وأمامك المجد كلّه ، وحولك شعبٌ قويٌّ لن يفقدَ ثقته فيك ، ولن تخيّبَ أملَه أبدًا .

***

لانسخرُ منها

ولكـــــــن هذا بختها

زمــن نــانـســي عــجـــرم[1]

تكاد الأغنية تكون صورة بالأشعة الدقيقة لواقع المجتمع، وكان السابقون من الراسخين في العلوم الاجتماعية بكل أركان الدنيا وفي كل الأزمان يؤكدون هذه الحقيقة ويؤكدون عليها، ومن ينظر أو يستمع إلى تاريخنا الغنائي المسجل (كمقياسٍ لصدقِ هذه المقولة) يجده يواصل تأكيد الحقيقة والتأكيد عليها ، ولو أخذنا العقود الثمانية الأولى من القرن العشرين وواجهناها بثلث القرن الأخير، أي الذى يبدأ من العام ١٩٨٠ إلى اليوم ، لصفقنا لواضعي هذه النظرية، الحقيقة، ولو أخذنا من هذه العقود - تحديداً - الفترة من نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى ذهاب الرئيس أنور السادات إلى القدس بمبادرة السلام ، لوجدنا الأغنية مرآة صادقة للحراك الوطني والكرامة الوطنية، ولوجدناها مؤشراً دقيقاً لقياس حركة المجتمع كله صعوداً وهبوطاً، وقوة وضعفاً، فمن رحم ثورة ١٩١٩ ولدت أسطورة سيد درويش قائد أعظم ثورة موسيقية في القرن العشرين، وعند رحيله في العام ١٩٢٣ كان تحت يده الشاب الموهوب محمد عبدالوهاب الذي يتعلم منه من

[1] العدد ٧١ - الثلاثاء ٤ يونيو ٢٠١٣.

خلال عملهما معاً في فرقة منيرة المهدية، ومع رحيل سيد درويش تسلم عبدالوهاب راية التجديد والتحديث وإكمال ما بدأه درويش العظيم ، في الوقت نفسه لم يكن عبدالوهاب قادماً من فراغ، بل كامتداد لعبده الحامولى وسلامة حجازي وأبو العلا محمد، وكان تلميذاً نجيباً لمحمد القصبجي ، وبمحاذاة عبدالوهاب وموازاته، كانت الأسطورة الكلثومية ترتقي السلمة الأولى في صعودها نحو القمة، ويشاء القدر ، وقدر هذه الأرض المعطاءة ، أن تلتقي أم كلثوم بأحمد رامي في ٢٤ يوليو ١٩٢٤ بالقاهرة، ويلتقي محمد عبد الوهاب بأحمد شوقي في ٢٦ يوليو ١٩٢٤ بالإسكندرية!!، شاعران عظيمان يضع كل منهما يده وعلمه وثقافته في يد صوت ناشئ ما يزال في طور التكوين، وليواصلا معاً – رامي وشوقي – ما بدأه أستاذهما إسماعيل باشا صبري في انتزاع الأغنية المصرية من مستنقعات الانحطاط والانحلال، تنفيذاً لأمر الزعيم الأكبر محمود سامي البارودي الذي كان يأنف من أن تُغنَّى أشعاره، أو أن يجالس المطربين والموسيقيين ـ لسوء ما كانوا يقدمون – ولكن بعد عودته من المنفى وجد أشعاراً لرفيق دربه إسماعيل باشا صبري على ألسنة المطربين، فطلب منه أن يستمر، وأن يكتب باللهجة العامية ليحرض المواطنين على الثورة ضد الاحتلال وضد الخونة سكّانِ القصر ، بدلاً من أن تظل الأغنيات رهينة علب الليل القذرة التي تدفن النخوة والرجولة والروح الوطنية في وحل الابتذال والخلاعة.

مع ارتقاء المجتمع في وطنيته وكرامته وثقافته واقتصاده ووقوف زعاماته الكبرى موقف الند للند سواء كان ذلك في مواجهة القصر، أو في مواجهة سلطة الاحتلال ومن يسير في ركابها بالخارج، كانت الأغنية جنباً إلى جنب أو رأساً

برأس ، كالأواني المُستطرَقة، وبرغم كل الهزات والتراجعات والخيانات العنيفة، لم يتقهقر الشعب إلى الوراء، ولم تتدحرج هيبة الدولة « كجلمودِ صخرٍ حطـَّهُ السيلُ من عَلِ » كما قال زميلنا العزيز امرؤ القيس، وسوف نخطئ كثيراً في العد لو جلسنا نحصي الأسماء والقامات التى طرزت تاريخ المصريين فى سنوات الصعود، وفى كل المجالات وبلا استثناء، فإذا ما جاءت ثورة يوليو في العام ١٩٥٢ كان الأدباء المصريون، ورجال الاقتصاد والفنون والعلوم كالمانشيتات الرئيسية فوق جبين العالم، ومع المد القومي باتجاه العروبة، والمد الجغرافي باتجاه عمقنا الإفريقي ، أصبحت مصر محوراً لارتكاز الكرة الأرضية، وبدأت تستعيد وهجها القديم الذي يشع في الكون كله باتساع سبعة آلاف سنة، كان عبدالناصر يتحرك كوريث شرعي لكل هذه الحضارة، وكأنه عصارة هذا الشعب بامتداد كل هذه السنين، كان «واثق الخطوة يمشي» مطمئناً بأن وراءه شعباً يحبه ويرى فيه الترجمة الفورية لكل الأحلام والطموحات الموءودة أو المؤجلة أو التي لم نحلمها بعد.. طار إلى الشرق وإلى الغرب، إلى الشمال وإلى الجنوب، وزرع اسم مصر في أركان الدنيا مرة أخرى، وكانت إطلالته كافية لإذابة الحديد وزلزلة الأرض تحت أقدام أعدائنا وحاسدينا وشانئينا، بما كان يملك من هيبة وقوة ومن ثقة بالله وبالنفس وبالشعب.

وبرغم كل الثقوب التي اخترقت التجربة الناصرية، وبرغم الاستبداد والسجون والمعتقلات وكل المساوئ التي ارتكبتها حكوماته تحت قيادته وعلى مسؤوليته، فإن إنجازاته ستظل شاهدة له، وأن عصره كان عصراً من النخيل في كلّ مناحي الحياة المصرية، وأن ما أنتجه المصريون من فنون وآداب، وما بنوه من مصانع ومشروعات عملاقة، وما أحرزوه في الاقتصاد والطب والهندسة والعلوم كلها

يفوق أنما تكثرنا عدداً ومساحة وقدرات مالية عشرات المرات حتى عندما غامر بالحرب ضد إسرائيل وشركائها وأورثنا الهزيمة الثقيلة التي تتمدد آثارها في الزمن، فسوف يظل عظيماً وكبيراً، في إنجازاته وفي أخطائه كما قلناها من قبل. في عصر عبدالناصر كانت الأغنية سلاحاً فعالاً على كل الجبهات، كانت أمّ كُلثوم تطل كمسلة فرعونية شامخة تستند إلى الهرم الأكبر لكنها لم تستطع إلغاء الآخرين، بل تحولت إلى قدوة عظيمة احتضنت كل القادمين والقادمات من الخلف، فازدحمت الأيام بعشرات الأصوات الكبرى، ومئات الشعراء والملحنين الكبار، فأنتجوا في عقدين فقط ما يكفى لمئات السنوات المقبلة (بالرغم من سرقة ما يفوق ثلث التراث الغنائي والفني من مكتبتي الإذاعة والتليفزيون)، كان الكبار كباراً في كل شيء، لم تنس أمّ كُلثوم دورها كزعيمة للغناء حتى بعد أيلولة رئاسة نقابة الموسيقيين إلى غيرها، وسيبقى دورها الوطني هو الأكبر على الإطلاق في سجل الفن المعاصر، بقيادتها مبادرة تسخير الفن لدعم المجهود الحربي في أعقاب هزيمة يونيو المنكرة، وبدلاً من أن تفتعل الاكتئاب وتمثل الحزن مثلما فعل كثيرون، أعلنت على الملأ ـ بكل قوة وشجاعة وعقل – أن صوتها هو سلاحها، وسوف تقاتل به من أجل الثأر واسترداد الأرض والكرامة، وبدأت دورتها الطويلة بهذا السلاح قبل أن يمر شهران على النكسة، وفي شهر أغسطس ١٩٦٧ م انطلقت لتجمع المال وتوقظ الروح المصرية وتنقذها من أنياب اليأس والإحباط والإحساس بالعار والمهانة، ومن محافظات مصر إلى باريس إلى معظم العواصم العربية الشقيقة.. تغني ، وتعيد الدماء الساخنة إلى الشرايين المتيبسة، فجمعت ما جمعت، ولكن بقيَ الرمز والمعنى أكبر من كل أموال الدنيا وكنوزها.

بعد رحيل عبدالناصر في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠م لم تنطفئ جذوة الروح المصرية ولا وهج وطنيتها، استمرت النهضة «الحقيقية» على أشدها، وكل تروس المجتمع تدور بقوة وبإتقان من أجل الوصول إلى اليوم الموعود ، يوم تأديب إسرائيل ومَنْ وراءها، وإثبات أن ما حدث فى الخامس من يونيو كان مجرد غفوة طارئة لن تتكرر، وعندما ملأت شمس العاشر من رمضان سماء مصر العظيمة وأضاءت تاريخها المجيد مرة أخرى، تحول الشعب كله إلى أسلحة، وكما كان أهل الأغنية يرابطون في استديوهات ماسبيرو أثناء حرب ١٩٦٧ وينامون في الطرقات وعلى السلالم ولا يسألون عن أجر « عدا عبد الرحمن الأبنودي »، انطلقوا أيضاً إلى معسكرهم الدائم فى ماسبيرو وانسكبوا غناءً يؤرخ للقتال وللنصر لحظة بلحظة، فمنحونا الثقة وطرزوا فرحتنا بالنصر بورود المعاني ، وأضاءونا بعد أن أظلمت مشاعرنا في ليالي الهزيمة الكئيبة، ولتواصل الأغنية دورها في التعبير عن الأحداث العـظمى وتسجيلها والتأريخ لها، فإذا كان الشعر العربي هو ديوان العرب في تاريخهم القديم ، فإن الأغنية الوطنية هي ديوان المصريين، بدءاً من نهايات القرن التاسع عشر، وهي الأصدق من كل المؤرخين المنافقين وصناع الأدوار والبطولات الوهمية والإنجازات الزائفة، ولم تكن الأغنية الوطنية فقط هي رأس هذا الفن ، ولكن ناطحتها الأغنية الدينية والأغنية العاطفية ، حتى الأغنيات الفكاهية أو الساخرة ، كانت كلها تخرج من الامتحان بدرجة امتياز .

بعد زيارة الرئيس السادات للقدس، ثم اغتياله في ١٩٨١ ثم مجيء خليفته الذي يحمل لقب المخلوع، كان المنحنى المصريُّ يستدير إلى الوراء ليبدأ رحلة الهبوط، (الذي لم نكن لنظن أنه سيصبح شنيعا إلى هذا الحد)، تساقطت أشجار

النخيل المصري في كل المجالات نخلة تلو نخلة، وكلما فقدنا نخلة ورثنا معها فراغاً كبيراً أو أرضاً محروقة لم تعد تقوى على حمل النخيل، سقط السياسيون الأفذاذ، والاقتصاديون العمالقة، وتوارى الموهوبون أو فروا إلى جحيم المنافي الاختيارية بعيداً عن البيئة الفاسدة ، وانعكس السقوط عبر الفن بسرعة البرق وكانت أسرع إصاباته في فنون الأغنية والسينما والمسرح ، عدنا مرة أخرى إلى عصور الضعف والانحطاط والابتذال، غير أن تلك الانحطاطات كانت تصيب الأمة، أو الأمم الأخرى، في أعقاب الهزائم أو الاخفاقات الكبرى، ولكنها أصابتنا ونحن منتصرون وننعم، بمعاهدة سلام «لا يعلم محتواها إلا الله»، ونرتع في أمان – ولو كان وهميا ـ ولا نشعر بتهديد ما من قبل عدونا الإسرائيلي المزمن، أي نتمرغ في الرحرحة، وبدلا من أن نستغل الفرصة والظروف لمواصلة الارتقاء استغللناها في العودة إلى الوراء أو بدايات القرن، واستطاع صفوت الشريف – وزير الإعلام في ثلاثة أرباع الحقبة المباركية الهباب – أن يستغل دهاءه القديم في الطبطبة على مشاعر السيد الرئيس والست مراته، فابتكر الاحتفالات الأكتوبرية إياها لتتحول إلى فرصة سنوية للاحتفال بختان علاء وجمال وزفاف السيد الرئيس – بأثر رجعي – ونشأ جيل الأغنية الارتزاقية أو السبوبة الموسمية بقيادة عمار الشريعي الذي لم يعد يجوز عليه سوى الرحمة، وأغلق الباب في وجه الشعراء والملحنين المحترمين الذين رفضوا الانصياع لرغبات السيد الوزير أو بيع تاريخهم في حفل نفاق حضرة العمدة، وفي المقابل قفز قرداتية الأغنية وتسلقوا المواسير الخلفية لمبنى ماسبيرو، وبكل أنواع الرشوة دلقوا قاذوراتهم علينا من كل القنوات والإذاعات، وخلال

العقدين الأخيرين من القرن العشرين (اللذين شهدا بداية الانحدار في كل شيء) تم الإجهاز على معظم كنوز الإذاعة المصرية والتليفزيون المصري ، وبعمليات نهب منظمة بقيادة رؤساء القطاعات أو تحت سمعهم وبصرهم تسرب معظم تاريخنا المسجل بالصوت والصورة إلى الفضائيات الناشئة أو الإذاعات العربية التى أؤمن أنها أخذت ما أخذت بحسن نية، ومع دخولنا القرن الجديد.. دخلنا زحفاً على الخدين في السياسة والاقتصاد والإعلام والعلوم وفي كل الآداب والفنون، وفي خضم فوضى الانهيارات المتتالية توارت الأصوات أو الأشجار الصالحة للنمو، أصبح كل مجال أوسع من ألف فدان ولكن لا نرى فيها سوى عدة أعواد لا تقوى على مواجهة الريح!! ومع قيام ثورتنا المسروقة التي يشار إليها بثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م، ومع خلع أعتى نظام عرفه تاريخنا الحديث، توهمنا أننا استعدنا مصرنا وملكنا زمامنا، وتخيلنا أننا سوف نبدأ الخلاص من حقبة الخيبة إلى مرتقى الهيبة، لم نكن نظن أن عصر عبدالناصر والسادات وطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ونجيب محفوظ ورامي ومأمون الشناوي ومرسي جميل وبيرم وفؤاد حداد والقصبجي وزكريا وعبدالوهاب والسنباطي والطويل والموجي وأم كلثوم وفريد وعبدالحليم.. إلخ قد ولى إلى غير رجعة وأخذ معه بذوره وأشجاره وآثاره، لم يكن أحد يتخيل أن ثورتنا ستفقس خرابا لم نعرفه من قبل، وحكومات لا علاقة لها بالواقع، ونظام عديم الحيلة منزوع الهيبة مرتعش الأقدام، لم نكن نتخيل أن يستمر عصر رائدات النفخ والشفط والتكبير والتصغير في مجال الغناء، كنا نحلم بميلاد أم كلثوم أخرى وانحسار موجة هيفاء وإليسا

وروبي وكارول وميريام وكل هذه الأشكال، فإذا بالساحة تخلو لهن ليتوالدن ويتكاثرن وينهضن نهضة لا مثيل لها، كانت أم كلثوم زعيمة للغناء ونقيبة للموسيقيين، فجاءت أيامنا الهباب هذه بفلان الفلاني نقيبا للموسيقيين (أستخسر فيه أن أكتب اسمه)، وبعد ثروت عكاشة وأعلام وزارة الثقافة جاءت لنا الحقبة المقندلة بوزير للثقافة كل مؤهلاته تتمثل في مقالٍ أو مقالين دلقهما في خرابة «الحرية والعدالة» يسب فيهما رموز المعارضة ويمدح الإخوان، سارقي الثورة والوطن، وربما كان لملامحه مبرر قوي في عملية انتقائه فمن يدقق في ملامح المذكور يجده وكأنما ارتدى المرشد أو بلعه، كما لم أر له صورة واحدة يبتسم فيها، وهذا معناه إما أنه يعلم أنه أقل من أصغر مثقف في وزارة الثقافة وهيئاتها، أو أنّه يشعر بتأنيب الضمير لارتضائه قبول هذا الدور الانتقامي من كل الرموز المبدعة التي يفتقر إليها الذين جاءوا به إلى هذا المنصب الرفيع، وفي مقابل هذه الحكومة الفارغة الهشة توجد معارضة أكثر هشاشة تمارس دوراً صوتيا لا غير مثل ذلك الذي يمارسه الملحن حلمي بكر في تقطيع المطربين الجدد وانتقادهم، فلا هم سمعوا لانتقاداته ولدغاته وارتدعوا، ولا هو قدم لحناً أو بديلاً مقنعاً يسد ثغرة أو فجوة !! نحن جميعاً في المرحلة النشاز، أظهرنا ضعفنا على نواصي الطرق، فسال لعاب النمل طمعاً فينا، حدودنا مُختَرَقة، جنودنا يقتلون ويخطفون ونهان ويهانون، كان لنا زعماء يفرضون كلمتنا بالنظرة والإشارة فيعرف الآخرون مواضع أقدامهم، ويتحسسون ملابسهم خوفاً من الإسهال، ولم يكن أحد يجرؤ على أن يسعل أو يعطس أمامهم، الآن دخلنا في غمار الأبلج واللجلج والسجع البطيء البليد، وتخبطنا في حروف الخطب

الركيكة وتشعلقنا فيها، فقامت أنصاف القوالب النائمة، وببساطة شديدة يتم قطع الصوت عن السيد الرئيس الذي لم يراع الوقت المحدد في مؤتمر أديس أبابا، وبعد قطع الصوت يتم قطع الماء وإغلاق محبس النيل استمراراً لفوضى الإهانات والاستهانات والطمع في مزيد من التنازلات والركوع أمام مطالب الآخرين ورغبتهم في الانتقام.

ـ ولماذا جئت بنانسي عجرم لتكون بطلة العنوان والرسم المصاحب؟

- أقول: هذا بختها وقدرها، كان من الممكن أن تكون إحدى الشبيهات من أمثال هيفاء وروبي وإليسا وميريام وكلّ زعيمات هذا الانهيار، لكن نانسي الآن تحظى بحضور كعضو لجنة تحكيم مسابقة غنائية «!!» وهي ، وكل المحكمين في تلك المسابقات لا يصلحون ككورال أصلاً، ثم ما أثارته أخيراً في ذكرى ميلادها ومداعبات راغب علامة لها ، ثم انتكاسة محمد منير الكبرى الذي فقد نصف رصيده وهو يردّ عليها ردّ المراهقين السُّذَّج :" قولي يا مُـزَّة " ولم يكن راغب أو منير أول من تعامل معها كـ « مـُزَّة » فقد سبقهما الراحل فؤاد المهندس بعد أن أبدى إعجابه بها كأنثى بشكل لا يليق بسنه ولا مقامه ولم يكن يتحدث عنها من حيث كونها فنانة أو صاحبة صوت ما، هي بريئة ومسكينة وأغنياتها تشبهها، وهي تشبه عصرها الفارغ وتنطبق معه تمام الانطباق، فإذا كانت أمّ كلثوم نتاجاً لعصر الشموخ والتحضر والكرامة ما جعلها رمزاً للفن المسؤول فظلت - طوال خمسين عاماً - تواجه جمهورها بتسريحة شعر ثابتة، وبفساتين تشبه القصيدة العمودية، وكانت لا تدخل على الجمهور ـ خوفا منه - بل تجلس وسط فرقتها ترتعش حتى يُفتح الستار

وتأخذ الأمان ثم تغني ، فإن نانسى وشبيهاتها نتاج عصر الاستهانة والضعف وعدم الإحساس بأية قيمة .

في ظل الحكومات الطاغية المستبدة التي ستدخل النار، كانت مصر قبلة الدنيا وبهجتها وزينتها، وكانت الشمس المتألقة في وجدان الحضارة والرقيّ الإنساني. وفي ظل الحكومات التي تتاجر بالدين أصبحنا مطمعاً وملطشة للأمم ولقمة سائغة تحلم بها دول فى حجم النملة فتلعب بنا وتتحدانا !!

كانت أمّ كُلثوم تشبه عصرها.

ولم تخطئ نانسي عندما جاءت تشبه عصرها.فعذراً يانانسي .. يا كوكب المُزز .. أقصد ياكوكب الشرق في القرن الحادي والعشرين.

***

أتصبَّبُ خجلاً من أفعالِ الدولة المفضوحة

وزير الريّ .. الرجل الغرقان في دوّامات الخضّة والاندهاش !![1]

بسبب تراجع هواية القراءة والمطالعة عندي ، لم أكن قرأت ولا رأيت ولا سمعت ولا عَرَفْتُ شيئًا عن الرجل الطيّب الدكتور محمّد بهاء الدين ، وزير الريّ والموارد المائيّة في الترقيع الأخير لوزارة طاقيّة الإخفاء التي يقودها المواطن المعجزة هشام قنديل .

وعندما شاهدتُ الرجل ـ بهاء الدين ـ للمرة الأولى يتحدّثُ على شاشة التلفاز، أدركتُ أنّه بريء مثلنا تمامًا ولا يعرفُ سببا لاختياره لهذا المنصب في هذه الظروف القاسية المهبّبة التي تتطلّب مواطنا سريع التفكير والحركة والتنفيذ، وعلى وعيٍ كاف بالمخاطر التي تتكالبُ علينا فيما يخصّ صراع المياه الذي قد يفضي إلى عواقب وخيمة ولا يعلم مداها إلا الله .

الدكتور الوزير متفائل ، يأسان ، متفاجئ ، مندهش ، موافق ، معترض ، متردّد ، قلِق ، فرحان ، زعلان ، بينَ بينَ ، يعني ـ باختصار ـ ستجد كلّ ما تريده لديه ، كلّ المتضادات حاضرةٌ فيه في لحظةٍ واحدة ، وتشعر أنّه في حالة توهان تذكّرني بحالة القروي الغلبان رجب (عادل إمام) عندما ذهبَ إلى المدينة للمرّةِ الأولى ضمن أحداث الفيلم التافه " رجب فوق صفيح ساخن "، ولأنني بطيء

[1] العدد ٧٢- الثلاثاء ١١ يونيو ٢٠١٣م .

المتابعة ، فقد قلتُ ـ في عقل بالي ـ : في هذه الظروف المائية الحالكة ، كان ينبغي على مكتب الإرشاد (بوصفه الحاكم الفعلي للبلاد في هذه المرحلة المقندلة) أن يأتي بوزير للريّ والموارد المائية على علم بكلّ هذه المخاطر وعلى دراية كافية بتاريخها وتفاصيلها ، ولديه عدة حلول أو سيناريوهات للتعامل معها ، أما هذا الرجل المخضوض المتفاجئ أوتوماتيكيًّا (من تلقاء نفسه يعني) ، فكبيره أن يجلس تحت توتة تمرّ بجوارها قناة في غيط عمك الحاج عبد ربّه ، ويا حبّذا لو كانت المياه تجري في القناة على إيقاع ركية نار تحتضن ـ في جانبٍ منها ـ برّاد شاي عتيق مثقوب من الناحيتين ولا أذن له ، ومن الجانب الآخر عددا من كيزان الذرة المسروقة من غيطان الجيران ، والبقيّة معروفة من حكايات أبو رجل مسلوخة وأمنّا الغولة وثلاثي زعيط ومعيط ونطّاط الحيط !

غيرَ أنّ النفسَ الأمّارة بالمعرفة والنخربة فيما وراء هذه الشخصيات الفُجائيّة، قادتني للسؤال عن هذا الرجل الصالح الذي جيء به من الدّار للنار ، فبدا أمامنا وأمام الدنيا كلّها مرتبكا مرتعشا لا يملك من أمره شيئا ، ولا يعرف كيف يردّ أو ماذا يقول !! فكانت صدمتي فادحة وأقسى من وضع الرجل وأفجع ، إذ وجدته ذا علاقة قديمة ووثيقة بوزارة الري والموارد المائية والحاجات دي ، وليس غريبًا عن مطبخ الكارثة ولا بعيدًا عن موقع الفرن ، وتوصّلتُ إلى أنه قد شغل منصب رئيس قطاع التخطيط بالريّ من عام ٢٠٠٢ حتى ٢٠٠٣، ثمّ منصب رئيس قطاع الخزانات بوزارة الري والقناطر الخيرية من عام ٢٠٠٣ حتى ٢٠٠٥ ، ومن عام ٢٠٠٥ إلى ٢٠٠٧ وكيل أول للوزارة ورئيس مصلحة الريّ ، ومنذ بلوغه سن المعاش في٢٠٠٧ أسند إليه منصب المنسق العام لمشروع الخطة القومية للموارد المائية والريّ وحتى ترشيحه لمنصب وزير الريّ ، كما شغل عددا من المناصب أهمها

عمله كمدير لمعهد الهيدروليكيا ثم كنائب لرئيس المركز القومي لبحوث المياه ثم عمل رئيساً لمصلحة الريّ والتي تعد أهم قطاعات وزارة الريّ (!!!) ضع ألف علامة تعجّب ، واستأجر ألف نائحة وأقم جنازة حارة تليق بتشييع النيل والكرامة الوطنيّة ! فإذا كانت هذه المقطورة من المناصب المتدرّجة والمتعرّجة في دهاليز وزارة الريّ والتنقيط وتُرعها وقنواتها وسراديبها المختلفة والمتصلة ببعضها في آنٍ واحد ، وبعد كلّ هذه السنوات يخرجُ الرجل ويداه فارغتان لا تحملان شيئا من خبرة ولا تجربة ولا أي شيء يخصّ " الموضوع " ويبدو أمام الجميع " أبيض يا ورد " هكذا؟ يا نهار أزرق من النيلة!!

في أقل من سنة تحت قيادة مولانا الرئيس المؤمن تكبّدنا خسائر ما كانت أبدًا في الحسبان ، ولا مرّت بها بلادنا طوال تاريخها التليد وفي أسوأ حالات ضعفها !! السيّد الرئيس منذ البداية داس دولة القانون ، واعتبر مصر كلّها هي تلك المجموعة المنتمية إلى الجماعة المحظورة ، وما عداهم فهم أقلية مارقة لا تستحق الاهتمام أو الالتفات ، غير أننا كنا نتقبّل الأخطاء الفادحة والفاضحة بنوع من الصبر ونقول : ربّما مع الأيام واكتساب الخبرة تنصلح الأحوال ، ولكن عندما جاءت الضربة القاضية بالإعلان غير الدستوري المستبد ـ ٢١ نوفمبر ٢٠١٢م ـ تقهقرت مصر آلاف السنين إلى الوراء ، وسقطنا في مستنقع العشوائية والارتجال والارتباك ، ولبسنا شيئًا يشبه الحقنة الشرجيّـة اسمه مجلس الشورى ، أجمعت كلّ دوائر القانون المعروفة وغير المعروفة على بطلانه وعدم شرعيته ، ومن ثمّ بطلان كل ما ينتج عنه من قوانين وتشريعات ، ولكنّ أسماع الجماعة لا تسمع إلا ما يروقها ، ولا تنصت إلا لصوت غرورها واستبدادها واستعلائها المتورّم ، ولو كانت قدّمت شيئًا يستحقّ ، أو أنجزت إنجازا واحدا يليق بهذا الشعب ودماء شهدائه ، لصفّقنا لها وأيدناها

وساندناها مع غرورها واستعلائها وتورّمها ، لكنها لم تقدّم سوى الخراب والتهميش والتخوين ، ليتم لها التمكين والتكويش والتهام ما تبقّى من روح الثورة ومن أحلامنا المسروقة ، وكعادة كل عصر ، وجدت المحظورة من المنافقين وركّاب الموجة ما يفوق أحلامها ، أولئك من ذوي الميول النفاقية والعمل كخبراء تجميل يزيّنون للناس كل الأفعال الهباب التي ترتكبها الجماعة خلف ستار السيّد الرئيس ، هناك مواطنون لا يأتيهم النوم إذا باتوا شرفاء ـ بدون قصد ـ عندما يضع الواحد منهم رأسه على الوسادة ويحصي نفاقاته فلا يجد ، يطير النوم من عينيه ويسهر يكتب شعر الغزل الصريح في عيون الجماعة وانقطاع الكهرباء وسد النهضة الذي يسمّيه البعض سد الألفيّة حتى لا يختلط الأمر على ضعفاء البصر أمثالي ويخلطوا بين نهضة إثيوبيا ونهضتنا التي لا مثيل لها !

تنتشر الكائنات الإخوانية في الصحف وعلى شاشات التلفاز وفي خرابات الإنترنت ، فترى منها ما يحيلك على الفور إلى ظلمات ما قبل التاريخ ، وتجد مصر العظيمة تجرُّ بعنفٍ وبقسوة لتُحشَر في مقبرة التخلّف والاندثار ، وإذا كان أعضاء المحظورة لهم الحق في تجميل ما اقترفت أيديهم وقلوبهم ، ولهم العُذر بعد أن نسوا عقولهم في صندرة المرشد ، فما عُذرُ أولئك المتطوّعين الذين ينثرون الغبار في عيوننا، ويعرضون بضاعتهم المغشوشة في الطريق العام مثل فتيات الليل اللاتي يتسكّعن على نواصي الشوارع المظلمة ؟ يتملّكني الاشمئزاز إلى درجة التقيّؤ عندما أرى أحدا من هؤلاء والكلام يتدلدق من شدقيه كالعنزة المبشومة ، وأشعر أنه ـ بالرغم من أناقته الشكلية ـ يحمل تحت طيّات ملابسه وفي تكوينه أخلاق المومس التي تمارس أفعالها من باب الهواية أو " الطفاسة " إذ لا تحتاج فخامتها إلى المال بل قد تكون زوجة لرجل محترم يُسكنها في بيت جميل ويوفّر لها ما لم يخطر ببالها من رفاهية.

الكائنات الإخوانية كالشرائط المسجّلة ، إذا قال أحدهم : كاك كاك كاك ، يرد الآخرون : كاك كاك كاك ، وإذا قال : واك واك واك ، انطلق الآخرون : واك واك واك ، بالكربون ، على الفضائيات ، وفي الصحف ، وفي فضاء الانترنت الذي جعلوه مثل المراحيض العمومية لسوء ما يصنعون فيه ، ولذلك تجد المصكوكات الآتية : أعطوا الرئيس فرصة فقد صبرتم على مبارك ثلاثين عاما // التركة ثقيلة والفساد فوق ما كنّا نظن // هذا أوّل رئيس منتخب ولن يذهب إلا بالصندوق// مجلس الشورى أعظم مجلس في تاريخ مصر وكل تشريعاته صحيحة // لا بدّ من تطهير القضاء مهما تكن التحديات // ... إلخ إلخ إلخ ... ، فإذا قلت لهم : هل مصر حقل تجارب حتى نصبر على مُرسيكم هذا ثلاثين عامًا أخرى فنفيق بعدها ولا نجد مصرنا على الخريطة ؟ يقولون : أنت خائن وعميل وفلول وتعمل ضد مصلحة الوطن !! أين مصلحة الوطن في فكر هؤلاء وتصرفاتهم وأعمالهم ؟ لم أرها ولم أرَ أثرًا يدل عليها..

مشكلة سدّ النهضة ليست وليدة اليوم ، وليست مفاجئة إلى الدرجة التي تخضّ السيّد وزير الري ، المشكلة بدأت منذ عصر محمد علي باشا صاحب النهضة الحقيقية لا النهضة الوهميّة أو الفوتوشوب التي روّجها الإخوان من خلال باعتهم الجائلين المتسكّعين على نواصي الفضائيات والصحف المخرومة ، ثم تجددت التهديدات مع الزعيم المرعب جمال عبد الناصر ومن بعده الرئيس الدكر أنور السادات ومن بعده الرئيس المخلوع الفاسد الـ .. كذا كذا ، وكلهم وأدوا الأفكار في المهد ، وأرغموا الآخرين على احترام حقوقنا ، لأنهم كانوا رؤساء بجد ، زعماء بجد ، قادة لدولة عظيمة بجد ، ولم يكونوا مجرد أرقام تمر على الكراسي الفارغة !

السيّد الرئيس محمد مرسي يتجاهل الآخرين بشكل جارح ومهين ، وأكرر .. لقد جلست أتابع خطابه الممل أمام أهله وعشيرته في استاد القاهرة بمناسبة احتفالات السادس من أكتوبر ، وانتظرت أن يذكر اسما واحدا من أسماء أبطالنا أو شهدائنا أو زعمائنا فلم يذكر ، ونفحنا خطابا يصلح أن يُقالَ في أية مناسبة ، ومثلما جرحنا نحن ورثة الحزن والإحباطات لتجاهله شهداءنا وأبطالنا ، فقد جرح الأشقاء في إثيوبيا عندما التقى بالأخ أسياسي أفورقي رئيس أريتريا وتطرّقا إلى مشاكل المياه ولم يذكر اسم إثيوبيا ولا رئيسها ولا أي عيّل من عيالها ، وعندما ذهب للمشاركة في المؤتمر الأخير لم يحاول الاقتراب ومدّ الجسور وكان كلّ ما يحمله هو الخطبة الطويلة التي تتنافى ومثل هذه المؤتمرات الدولية فقطعوا عليه الصوت (وحسنا فعلوا ، فهذا أهون من فتح الميكروفون على شخير الوفد كله في قطر الشقيقة) ، وبعد أن عاد السيد الرئيس من أديس أبابا بأربع وعشرين ساعة تلقينا صدمة تحويل النيل الأزرق إيذانا ببداية بناء السد (لن أقول : سدّ النهضة ما دامت بتوجعهم) ، وبعد وقوع الفاس في الراس شاهدنا ردود فعل وزير الري المخضوض المتفاجئ المندهش ، ثم شاهدنا على الهواء مباشرة جلسة فتّة الستّ باكينام ، ورأينا الطريقة المقززة التي يلهط بها كلّ من مجدي أحمد حسين وأيمن نور ومحمد أنور السادات (التقليد)، وكان ما كان لتصبح مصر أكبر دولة مفضوحة بسبب هذه البلاهة وهذا التهريج !

الكارثة لم تبدأ بعد ، ولذلك أقترح أن تكون جلسة الحوار الوطني السريّة المقبلة تحت التوتة في غيط الحاج عبد ربّه ، وأن يرتدي الجميع الزي الرسمي للغيط : الجلابيب (الجلاليب) البلدي ، وأن يتناولوا الفتّة القرديحي من مطبخ السيّدة باكينام ، وتحت رعاية وزير الري والموارد المائية قبل إلغاء الوزارة ، فلن يكون عندنا

ري ، ولا موارد ، ولا مائية ، اللهم إلا إذا جلسنا بالجرادل والجراكن تحت المزاريب المشروخة في انتظار المطر ، وعندها ، سيليق بنا إنشاء وزارة الأمطار والعواصف الرعدية ، ولا مانع ـ عندي ـ من أن يكون وزيرها الرجل الطيب المندهش لله في الله .. محمد بهاء الدين !!

***

" محـور الشّرِّ "

في دولة الإخوان الابتدائيّة المشتركة !!

جماعةُ المُراوَغة ، وحكومةُ الطَّفاسة ، ومجلسُ السُّحت !![1]

لم تكن واقعة / فضيحة وزير الساندوتشات ـ (واللقب من ابتكار جريدة " الوفد ") ـ أوّل المصائب التي تتكالب علينا بفعل الجماعة المحظورة ، ولن تكون آخرها ، بل أراها أهونَ المصائب على الإطلاق ، غير أنّها ـ على الأقلّ ـ تصلح كمقياس لما أفضت إليه ثقافة الطفاسة التي تربّى عليها مَن يدّعون الزهد والترفّع ، ولو كان الثمن من مال اليتامى وفقراء الشعب المحرومين من أبسط ما يقيم الأود ، وما يليق بحياة الإنسان في أيّ زمان أو مكان .

الأخ وزير الاستثمار ، القادم من مبيعات إحدى شركات التليفون المحمول، ومن ـ عقبال عندكم ـ بين أفراد حملة السيد الرئيس الإعلاميّة على مصر ٢٠١٢م ، ظنّ أن الوزارة " أنجر فتّة " (بلغة العصر البائد ، عصر المخلوع وشركائه الذين أسسوا لهذه الثقافة وأوصلونا إلى ما نحن فيه الآن) ، وانصياعًا لمطامع النّفسِ الأمّارة بالأكلِ وإشباع الرغبات البطنيّة نسف في شهرٍ واحد بما يجاوزُ ثمانين ألفًا من الجنيهات الكسيحة التي تترنّح أمام الدولار ، وعندما طلب من رئيس القطاع المالي

---

[1] العدد ٧٣ – الثلاثاء ١٨ يونيو ٢٠١٣م .

ـ السيّد محمد نجيب ـ تسوية هذا المبلغ في بنود مصروفات خالتك الوزارة ، قال له السيّد الرئيس (رئيس القطاع المالي) : ما يحكمشي !! ، وأصرّ على تطبيق اللوائح والقوانين الخاصة بالضيافة ، والتي لا يستطيع أحد أن يتخطّى الأرقام المنصوص عليها فيها مهما يكن وضعه !

الوزير الناشئ الذي يبلغ من العمر ٣٦ عامًا لم يكن أنانيًّا أو يلتهم كلّ تلك (الأرقام) بعد أن يترجمها ترجمةً فوريّةً إلى (أكل) وحده ، بل كان ـ لفرط كرمه وحنّيّة قلبه ـ يعزم معه كل مساعديه من جماعة الإخوان ، أولئك الذين يصلِون الليل بالنهار ساهرين على حماية مقدّرات هذا الشعب الغلبان حتى يتمكنوا منها ويكوّشوا عليها ويأكلوها!!وبعض أهل الإعلام من حَسَني النيّة والسير والسلوك يعطون الوزير المذكور لقب " المستشار " ، وكما قرأت في سيرة سيادته أنه تخرّج في كلية الألسن عام ١٩٩٩م ، فعلى أي أساس نال لقب " المستشار " ؟ هل لأن مساعديه في الوزارة وفي الأكل كانوا يصرّون على " استشارته " في أنواع الأطعمة التي يطلبونها على حسابنا ويكون الخيار الأخير له ؟ (أي الاختيار ، وليس الخيار الاستراتيجي أو الخيار البلدي المخلل وإن كان الأخيرُ مطلوبا كعاملٍ مساعد في معظم الأكلات الوزارية الإخوانيّة الـ " تيك أواي ") .

هذا التصرّف الكاشف الفاضح لتصرّفات المفجوعين ليس سوى قطرة في بحر ، فنزيف المال العام الذي يستهلكه أهل النظام على جميع الجبهات يمثل أكبر مصيبة ، هو يشبه مواسير المياه النقية المشروخة التي تصب ماءها في مصارف الصرف الصحي ، فلا هي ـ المياه ـ تصل إلى مستحقّيها من المواطنين الذين يلحسون الزلط ولا يجدون قطرة ماء نقي ، ولا احتفظنا بها خلف السد كنوع من

الادّخار لمواجهة الأيام السوداء التي تنتظرنا مع إتمام بناء سدّ النهضة الإثيوبي ، ولا نحن ـ على الأقل ـ احتفظنا بما يُنفق على تنقيتها ورفعها ودفعها ونحن ندرك أنها ذاهبة إلى المستنقعات ! انظروا ـ على الأقل ـ إلى جلسات الفئة المعروفة حركيًّا باسم " الحوار الوطني " وما يُنفَقُ فيها من أجل لا شيء ، وانظروا إلى حراسات السيد الرئيس حتى وهو يصلّي بين يديّ الله !! وهذا الحشد من السيارات الفارهة التي تبتلع ترعة وقود كلّ صباح ، في الوقت الذي نزحف فيه على وجوهنا ونكنس بألسنتنا أعتاب صندوق النقد الدولي من أجل قرضٍ ننفق أضعافه كلّ شهر على الفشخرة والمنظرة والصور التذكارية ، وفي الوقت الذي نلتمس فيه من الشقيقة الكبرى قطر التي لا يصل عدد سكانها إلى ما يساوي عدد ضحايا حوادث السيارات على طريق العيّاط / القاهرة أن تمنحنا ما تجود به كصدقة جارية من الغاز ومواد الوقود الأخرى ، وها نحن على أعتاب اليوم الذي سنتوسّل فيه إلى إثيوبيا الشقيقة أيضا أن تحنّ علينا بجركن ماء لأن لدينا رضيعا يتلوّى ويصرخ : إمبوووووو ه......!!

الطامة الأخرى التي حطّت على رأس هذا الشعب الموعود بالخراب هي ذلك الشيء المسمّى بمجلس الشورى ، لا مؤاخذة ، وها هي المحكمة الدستوريّة تحكم بعدم مشروعيته ليصبح شيئا كالعدم !! غير أن المحكمة الدستوريّة ـ ذاتها ـ تركته يعيش وينمو ويكبر و.... وكيف يعيش العدم وينمو ويكبر يا عمّ الأخ ؟ لا أدري واللهِ ، أنا مثلك عزيزي المتسائل المحتاس ، ولا أعرف شيئًا بالرغم من أنني رجل قانون (مع إيقاف التنفيذ) ومعظم مستشاري تلك المحكمة أصغر منّي سنّا ، بما فيهم زميلهم السابق / المعجزة حاتم بجاتو الذي دخل كإحدى الرّقع في العملية

الجراحية الأخيرة لحكومة فلتة هذا الزمان هشام قنديل ، وقد أشرت إلى أن السيّد بجاتو كان من أبناء دفعتي في كلية حقوق الإسكندرية (مايو ١٩٨٢م) ، هذا المجلس بعد هذا الحكم أصبح ميّتا حتى بعد فزورة المحكمة التي اعتبرته حيًّا يُرزَقُ من أموال الشعب ليشرّع القوانين (وليس من حقه تشريع معظمها حتى ولو لم تحكم بموته وإحيائه) ليكبّل بها الشعب ويوقف تقدّمه نحو المستقبل ، ويزداد الموت موتا بحكم المحكمة الموقّرة أيضا ببطلان تشكيل الجمعية التأسيسية التي سكعتنا دستورًا معيبًا باطلا رفضناه وهو في المهد ، ذلك الدستور المعيب الباطل المرفوض مع سبق الإصرار ، أنهى وجود الإعلان اللا دستوري المستبد الذي قام فيه السيّد الرئيس بالإغارة على دولة القانون ، وحصّن ـ ضمن مهرجان التحصين ـ هذا المجلس اللا شرعي !! أي أن الدستور المعيب الذي أنهى وجود الإعلان الرئاسي المعيب هو ـ الدستور ـ الذي يستمد منه هذا المجلس شرعيته وبقاءه ، أي : مجلس باطل يستمد شرعيته من دستور باطل أنهى وجود إعلان باطل كان قد حصّن هذا المجلس الباطل !!

ـ كيف ـ يا عم الأخ أنت ـ يستمر وجود هذا المجلس ويواصل التشريع والتضييع والتمييع ؟

= وأنا مالي ؟ المحكمة الدستوريّة معروفة للجميع ، والحمد لله انفك حصارها وتمّ الجلاء عنها ، ومَن يحبّ أن يعرف حلّ الفزورة فليذهب ويسأل هناك و...

ـ اهدأ قليلاً ، كنت قبل حكم المحكمة تصف التشريعات والقوانين التي يصدرها هذا المجلس بأنها كأولاد الزنا والعياذ بالله ، بماذا تصفها اليوم بعد هذا التراكم " البطلاني " الذي بنيته وبيّنته أعلاه ؟

– نحن ، يا أخي الحائر على باب الله مثلي ، أمام حالة نادرة ، وما دمت تثق في تشبيهاتي وتفسيراتي التي لن تقدّم أو تؤخّر ، فإنني أقول لك : إننا الآن أمام حالة متفرّدة ، فالسفاح والزنا وكل معاصي هذا الباب مقبولة علميا (ومرفوضة دينيا وأخلاقيًّا وعُرفا اجتماعيا) ، والحالة المتفرّدة التي أراها الآن لم يسبق لها مثيل ، وقد لا يأتي بعدها ، نحن أمام مايمكن أن نسمّيه " أولاد اللواط " لاالسفاح أو الزنا ، وهذا ابتكار مصري قد ندخل به الموسوعات العالمية من أقذر أبوابها !!

ـ ولماذا لا يستقيل أعضاء المجلس من تلقاء أنفسهم حفاظا ، على الأقل ، على ما يليق بهم وبكونهم حريصين على النزاهة ويحترمون إرادة هذا الشعب الذي لم يخترهم ، بل يجاهر برفضهم والاعتراض على بقاء هذا المجلس من الأصل في حياتنا النيابية ؟

– اذهب إلى المجلس ، واصدع بأعلى صوتك بما تودّ أن تقول ، ولا تنتظر الرد أو مجرّد الاهتمام !

ـ وما حكم بدلات ومخصصات هؤلاء الأعضاء المحكوم ببطلان وجودهم من أكبر محكمة مصريّة ؟

– لن أقول لك : اذهب إلى دار الإفتاء هذه المرة ، ولكن أقول : كل مليم يدخل أيدي هؤلاء الأعضاء المحكوم بعدم وجودهم ، هو سُحت والعياذُ بالله ، من أموال اليتامى والغلابة والأولى به أولئك المشرّدون المتناثرون تحت الكباري وبجوار مقالب النُّفايات ، وهذا استمرار ـ أو ترجمة فوريّة أيضا ـ لطغيان ثقافة الطفاسة مع التظاهر بالزهد والعفة والترفّع !!

ـ سامحني في السؤال .. ماذا يعني " السُّحت " ؟

- السُّحت ـ في مُعجم " لسان العرب " ـ هو " كلُّ حرامٍ قبيح الذِّكر؛ وقيل: هو ما خَبُثَ من المَكاسب وحَرُم فلَزِمَ عنه العارُ، وقَبيحُ الذِّكْر.... إلخ " ....

ـ يا ستّار يا ربّ !!

وما رأيك في علاقة المحكمة الدستوريّة الآن مع الجماعة التي تسمّيها المحظورة؟

- "المحظورة " هو حكم قضائي مرّ عليه أكثر من ستين عامًا وليس من اختراعي أو اختراع أحدٌ من عائلتي ، أما العلاقة فهي والحمد لله سمن على عسل ، والأحوال على ما يُرام ، فالجماعة تجيد المماطلة والمراوغة وقتل الوقت عندما تتهدد مصالحها و"طز " في القانون وفي مشاعر المواطنين! (ألم يقولوا : " طزّ في مصر"؟) فترى محامين من كل حدب وصوب يرفعون الدعاوى ثم يطالبون برد المحكمة ثم ثم ... وفي النهاية : بُصّ العصفورة ، و.... هيييييه ، ضحكنا عليكم وضيّعنا سنة ، أما الآن فشعبية المحظورة في الحضيض ولا تستطيع المغامرة بدخول الانتخابات ، وطوفان الكراهية والرفض والغضب وصل إلى الأذقان ، وأعظم مقياس أو ترموتر هو نتاج حملة "تمرّد "وردود أفعالها ، ولم تعد هناك جدوى لرشاوى السكر والزيت وأنابيب الغاز المهبوشة بالتواطؤ مع السلطات المنسحقة ، وأحكام المحكمة الأخيرة جاءت " على الطبطاب " كما يقولون ، فلماذا يمارسون هوايتهم في المراوغة وقد أراحتهم المحكمة وأعطتهم قبلة الحياة بلا مراوغة ولا وجع قلب ؟

أصبحتُ أستخسر الوقت والجهد وهذا الرسم وكلّ حرف في هذه المساحة في هؤلاء البشر الذين يتفانون في إنهاك الوطن وقتل كلّ أملٍ فيه ، نيابة عن الأعداء

الذين لم يحلموا بأن يروا مصر جسدًا طريحا ينزف ويُستنزف ويواصل الانبطاح بدون أن يخسروا دولارًا واحدًا أو يتحرّكوا ملليمترًا أو يُطلقوا رصاصة أو يهرش أحد جنودهم مجرّد الهرش !!

من أية طينة هؤلاء ؟ وبأي وجهٍ سيقفون أمام الله وهم يتاجرون بدينه ويكذبون عليه ويستهينون بآيات قرآنه العظيم ويجتزئونها ويوظّفونها في النصب على البسطاء وتضليلهم وتعليقهم في مشانق الترهيب والتخويف والوعيد ، وكأنما لم ينزل القرآن إلا لتأييدهم وتمكينهم ؟

ستظلّ الأسئلة تدور وتتلامس وتتكاثرُ إلى أن يقضيَ الله أمرًا كان مفعولاً ، وأظنه قريبًا ، وأكاد أراه رأي العين ، مع الاعتذار للوهم الذي لبسناه على هيئة شيء اسمه الشيخ العريفي ـ وأعتذر عن مقالي الذي أشدت فيه بفضيلته ـ جاء ليبيع لنا الكلام ويطالبنا بالزحف للدفاع عن الشعب السوري ، ولم يقل لماذا لم يزحف هو ؟ ولماذا لم يأمر السوريين المقيمين بمصر بأن يزحفوا ليدافعوا عن أشقّائهم ؟ بسلامته جاء ليبشّرنا بالخلافة ، ثم يركب الطائرة وينصرف على طريقة مفتي الناتو المتجوّل!! غير أننا لا نستغرب شيئًا في زمن الكذب والمراوغة وأكل السّحت والطفاسة ، وتحوّل منابر المساجد إلى منصّات لترويج الضغائن وتضليل البسطاء والأبرياء .. و..." ياما لسّه في الجراب يا حاوي " !!

***

أقفُ في صفوفِ الشعبِ الرافضِ ، وأؤكّد :

التَّمَــرُّدُ ..

فرضُ عَينٍ على كلِّ مصريٍّ ومِصريّة !![1]

لكِ الله يا مصر !!

لكِ اللهُ ، وأنت تتمزّقين بين أنياب مَن لا يرحمون !!

لكِ اللهُ ، وهم يهرلون إلى الصلاةِ ودماؤكِ على أيديهم وشفاههم ، ولا يخجلون من الله ولا من الناس ، بل يحاولون احتكار التحدّث باسمك بعد أن سطوا على ديننا الحنيف وراحوا يتحدّثون باسمه ويتاجرون به في مزادات الخسة ومزايدات السياسة النجسة ، يكذبون على الناس والناس لا حيلة لهم، ويكذبون على الله وهو المنتقم الجبّار الذي يمهل ولا يهمل ، وما هو ـ جلّ جلاله وعلا شأنه ـ بغافلٍ عمّا يفعلون ويفعل مَن يشاركونهم الطمع والنصبَ باسم الدين وباسم الوطن وباسم الثورة المسروقة التي كانوا على رأس المشكوك فيهم بقتل زهرة شبابها ، وعلى دمائهم ودماء الثورة زحفوا وصعدوا ، وبكل بجاحة يدّعون امتلاكها ، ويتحدّثون باسمها ، ويحملون لواء حمايتها والدفاع عنها !! إنهم بالفعل يدافعون عنها بكلّ قوّة، ويبالغون في حمايتها وذلك من أجل التكويش عليها ، وحتى لا تقفز من بين

[1] العدد ٧٤- الثلاثاء ٢٥ يونيو ٢٠١٣م

أنيابهم المسمومة وتعود إلى أهلها الذين يبكون دمًا وهم يبحثون عنها في ظلمات الليل وسراديبه الحالكة !!

مرّ عام واحد تحت حكم جماعة الإخوان المحظورة في صورة السيد الرئيس الذي لم يفعل شيئا واحدا من تلقاء نفسه سوى الصلوات ، تلك الصلوات التي تكبّدنا من الذنوب ما ينوء بحمله الجبل ، وتحتاج إلى عشرات السنين من الدعاء حتى يغفر الله لنا ، فالسيد الرئيس يصرّ على أن يصلّي في حماية جيش من المصوّرين ، وينظر إلى الكاميرا وهو في عز صلاته بين الركوع والسجود أو وهو جالس للتشهّد، وكأنما يريد أن يقوم هؤلاء بتوثيق صلواته وتسجيلها بدلا من الملائكة (وأستغفر الله العظيم ، وأنحني لملائكته الكرام المطهّرين) ، ولا أدري لماذا يواصل السيد الرئيس إصراره على ذلك بالرغم من تبرّم المصلين حوله وإعلان غضبهم !! نحن جميعا نصلّي ، وكلنا نبتهل إلى الله ونتوسّل إليه أن يتقبّل منا ، نصلي له سرّاً وعلانية ، ولكن بلا مظاهر ولا مظاهرات ولا حاجة إلى شهادات موثّقة من بعض المصورين أو الحرّاس الواجمين ، الصلاة سرّ ، وهي ضوء من الروح موصول من الأرض إلى السماء ، إذا اخترقته عينٌ فإنه يتحوّل إلى رماد وركام ، ويترك مكانه أخدوداً أسود لا يمحوه الدهر !! صلاة الرياء عبءٌ ثقيل على كاهل مَن يتاجرون بها ، والعبادات ـ كلّها ـ جوهرها الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، وهو الذي يعلم ما نُخفي وما نعلن، ولا يحتاج إلى وثائق من مصوري الصحف أو الرئاسة أو من كاميرات قناة مصر ٢٥.

يقولُ العربُ " بلَغَ السيلُ الزُّبى "..في ثلاث كلماتٍ تشكّلُ جملة مشحونة بالضيق والإحباط ، وهي واحدةٌ من المأثورات الخالدة التي تعبّر عن قمّة الغضبِ

وعدم القدرة على الصبر أو التحمّل ، وبها يُضرب المثلُ للأمرِ إذا تفاقم أو تجاوز الحدَّ حتى لا يُتلافى ، وقد جاءت في استهلال كتاب عثمان بن عفّان إلى عليّ بن أبي طالب ، رضيَ اللهُ عنهما وأرضاهما ، عندما حوصر عثمان فكتب لعليّ : أما بعد ، فقد بلغَ السيلُ الزُّبى ..... إلخ !! والزُّبى ـ لمن لا يعرف ـ جمع زُبية ، وهي المكان العالي مثل قمة الجبل ، وكانوا يشيرون بها إلى الحفرة التي يحفرونها للأسد في الأعالي، حتى لا يغرق إذا حدثت سيول مفاجئة ، وها نحنُ نصرخها بأعلى أصواتنا، في كلّ وقتٍ وفي كلّ مكان : بلغَ السيلُ الزُّبى ، ويكادُ يطغى ويغطّي رأسَ برج الجزيرة وقمّة الهرم الأكبر !

في عامٍ واحد تحت قبضةِ المحظورة والسيّد الرئيس الذي يعملُ في ظلالها ومن أجلها ولا يمثّل كلّ المصريين ، فقدت مصر ما يفوق كلّ ما فقدته في كلّ حروبها عبر تاريخها الذي يجاوز سبعة آلاف سنة ، وتراجعت بسرعة البرق إلى عصور التخلف والانحطاط وأصبحنا على شفا حفرة من التلاشي بفعل الفتن والنيران المشتعلة تحت ملابسنا جميعا بفعل المحظورة وشركائها في الخراب ، أولئك الذين لا يرون سيئةً من سيئات السيد الرئيس ، ولا يشعرون بما يشعر به المواطنون ، بل يصلون الليل بالنهار في كتابة قصائد الغزل الصريح في إيمانه وعدله وحُسن قيادته وزعامته ، وأنه صلاح الدين الأيوبي موديل القرن الحادي والعشرين ، وعلى يديه ستعود الامبراطورية المصرية وستتحرر القدس ويتم دحر الصهاينة والأمريكان والغرب كله والروس والشيعة والإثيوبيين ومن قبل كلّ هؤلاء ومن بعدهم كلّ الكفار المصريين من المسلمين والمسيحيين الذين ينادون باسترداد ثورتهم من بين أنياب الإخوان ويحلمون بالحريّة وبالعدل والمساواة ، وينتصرون لدماء الشهداء

الذين بذلوا أرواحهم من أجل مستقبل يليق بهذا الشعب وتضحياته على مرّ التاريخ !!

في عام واحد ، قاد الأخ الرئيس المؤمن مصر بسرعة الصاروخ ليحطّ بها في مستنقعات الكراهية والأحقاد والضغائن ، وليجعل من شعبها الطيّب المحبّ للناس والحياة شعبا بائسا يائسا مُحبَطًا متربّصًا يرتعد من هول الخوف من اللحظة المقبلة ، بعد أن تم تفكيك الدولة وتلغيمها من كلّ جانب ، ولم يعد لدينا مؤسسة واحدة لم يتم اللعب في مفاصلها وتسريب السوس والعقارب في شرايينها ، ولم يبق سوى القضاء الذي نجحوا في اختراق قطاعات مؤثّرة منه ، لكنه سيظلّ شوكةً صعبة البلع ، وغصّة في حلوق أولئك القادمين من أعماق الظلمات ليجرّونا إليها ويسكنونا فيها .

دولة القانون كانت أولى الضحايا الكبرى في هذه الحقبة النازفة من عمر مصر والمصريين ، وعندما يُداس القانون فالضربة في الرأس ، وعندما تكون الضربة في الرأس يصبح الجسد مجرّد شيءٍ ـ أو عبءٍ ـ يشغلُ حيّزاً من الفراغ ، وعندما بدأ الرئيس حملته على الوطن بانتهاك القانون والدستور ، فقد أسقط ـ بيديه ـ كلّ مبرر لشرعيته أو بقائه ، غير أنه لم يستعمل الفرامل مطلقا ، وظل يقود بأقصى سرعة ليهدم وينتهك ويدوس ، وعلى الجانبين ترتفع صرخات الغاضبين من هنا ، وترتفع صيحاتُ التأييد والتشجيع من هناك ، ويبدو أنه أغلق إحدى أذنيه ... تلك التي في مواجهة " هنا " وترك الأخرى التي في مواجهة " هناك " ، فلم يصل إليه إلا صيحات التشجيع والتأييد والشعارات الجوفاء الكذّابة ، ولم يمتلأ ذهنه إلا بتلك الخيالات الوهمية التي تنافي الحقيقة وتجافي المنطق ولا يمكن وجودها على أرض

الواقع ، أدمن الرئيس تجاهل صيحات الغاضبين ، ولم يأخذ في اعتباره غضبة أهل الحق من أسر الشهداء ومن الفقراء والجياع والمرضى والمظلومين ، واستهان بأفكار العقلاء والغيورين على الوطن ، وظنّ كلّ النقد ـ الذي ارتفع إلى الانتقاد ثم إلى الهجوم ـ مجرّد تثاؤبات فارغة من نوع تثاؤبات جبهة الإنقاذ النهري ـ بقيادة حمدين وعمرو وشركائهما ـ تلك الجبهة الهشّة التي كبّلت طاقات الشباب الذين انخدعوا فيها وأضاعوا عاما من أعمارهم ومن عمر بلادهم ، وجد الرئيس كل إنتاج هذه الجبهة المسكينة لا يعدو أن يكون قراطيس أو بالونات هواء تفقس وتتلاشى من تلقاء نفسها ، وعندما يأتي المساء ونجومُ الليلِ تظهر .. ينامُ الجميع سواسيةً في أحضان النسيان ، وإذا ما هجع الهاجعون ولجلج الملجلجون ، دارت تروس معمل المقطم من أجل إنتاج بلاوي جديدة يتم توزيعها ـ بالعدل ـ على الشعب في الصباح تحت غطاء كثيف من قذائف جريدة الحرية والعدالة وقناة خميس إيّاه وبمصاحبة جوقة قنوات المتاجرة بالدين التي تقوم بتخدير الغلابة والضحك عليهم وتضليلهم!

يا سيادة الرئيس (وأقولها احتراماً للمقام ، ليس إلا) :

لقد كان لي الشرفُ الأكبر في عدم اختيارك ، كما لم أهرع إلى اختيار منافسك الهربان فلم أجد في أحدكما شيئا واحدا يبرر جلوسه على مقعد القيادة ، ومن هذا المكان قلتها بأعلى صوتي : إني رفضتكما معاً ، ولم أكذب على الله وأصررت على موقفي واستخسرت صوتي فلم أفرط فيه لمن لا أرى فيه أملاً ، بينما تعض زوجتي أصابع الندم ، وتستغيثُ إلى الله في كل صلاة أن يغفر لها إذ تكبّدت عناء الزحام ، وأعطتك صوتها ، واستأذنتني قبل نزولها ، وسألتني : أعطي مَن صوتي ؟ قلت لها :

هذا شيء كالصوم ، سرّ ما بينك وبين الله . قالت : سأعطي فلاناً (الذي هو حضرتك) ، قلت : هذا شأنك ، ولا طاعة لي عليك إن أمرتك بها يخالف ضميرك ! ها هي تندم في كلّ لحظة إلى الدرجة التي قد تدفعني لرفع دعوى على سيادتك لأطالب بالتعويض عما سببته لها من خيبة أمل ، وما سببته لي ولأطفالي ـ فوق نصيبنا مما تسببه للشعب كله ـ من نكد ويأس وإحباط !

كان فضيلة الإمام يدعو في الصلاة لك ـ بعد نجاحك المطعون فيه ، ولكن سلّمنا به احتراما للقانون ـ وكنتُ ـ من كلّ قلبي ـ أقول : آمين ! ، ولم أتمنَّ قَطّ أن تسقط أو تزلّ قدمك أو لسانك مجرد زلّة ، ليس من أجلك ولكن من أجل الوطن ، لكنك أخذتنا في طوفان الخطب المملة ، وأطعمتنا الوهم في ساندوتشات السجع الركيك ، ونزلت علينا باللجلج والأبلج ، وصحونا على مصرَ تتآكلُ وتصغر وتنهار ، وبفضل تعاون جماعتك المثمر والفعال مع حلفائكم من حماس وما فعلتموه أثناء الثورة وبعدها ...ضاعت القضية الفلسطينية لأنها سقطت من ضمائر المصريين ولم يبق لها إلا بقايا في نفوس أمثالي من المثقفين والمهمومين بقضايا العروبة وبموقع مصر من وطنها الكبير ، كما وجدتنا إثيوبيا الشقيقة لقمة سائغة ووجبة جاهزة ـ تيك أواي ـ فالتهمت حقوقنا التاريخية في نهر النيل ، وقد وعدتنا سيادتك بالدعاء إلى الله إذا اشتدت الأزمة ، وليتك تجرّب ، ولو بروفة ، لكنني أثق أن الله لن ينظر إلى مَن يدعوه تحت هذه الحراسة المشددة ، وها أنت تواصل القفزات العنترية بقطع العلاقات مع سورية وتطالب بالجهاد من أجلها ، فلماذا لا ترسل إليها جيشا من الإخوان بقيادة الفيلد مارشال صبحي صالح وأركان حربه عبده حجازي مثلا ؟ ولماذا تلقي بالمصريين إلى التهلكة بينما شباب السوريين يمرحون بمصر المحروسة

كما تمرح دودة القطن في مزارع الوجه البحري ؟ هل أغراك النخع باسم الدين الذي يمارسه المدعو العريفي ؟ وهل فتنتك العبارات الرنانة التي يطلقها مفتي الناتو وحليف بني صهيون من فوق منابر مساجد الدوحة عاصمة دولة قطر العظمى التي قال فيها صدّام حسين ـ قبل ثلاثين عاما ـ إن عدد سكانها أقل من عدد شهداء مصر الذين راحوا دفاعا عن فلسطين ؟ ها أنتم ـ ومعكم حماس وقطر ومحمود عبّاس منزوع الدسم ـ رشقتم آخر المسامير في نعش قضية فلسطين ، وقدمتم لإسرائيل ما لم يخطر بأحلام يقظتها ، فألف تُشكرون (على رأي نزار) !

ليتك تخفف العبء عن كاهلك وتقفز من السفينة قبل أن تغرق ، الدماء التي سالت كثيرة ، والدماء المرشّحة للنزيف أكثر ، ونافخو الكير من حولك لا يعرفون عواقب الأمور ، والدم الذي في رقبة حسني مبارك يتساوى مع الدم الذي في رقبة طنطاوي ومع الدم الذي في رقبتك ، فخفف الوطء وارحم وطنك من جحيم لا يعلم مداه إلا الله ، وسيكون كله محسوبا عليك ، لن تنفعك قطر ، ولا حماس ، ولا مكتب الإرشاد الذي تدفع الفواتير نيابة عنه ، وأرجوك ألا تستهين بحملة "تمرّد"، فما هذه الملايين إلا مقاييس للرفض والغضب والكراهية ، وقديما قال زميلي الشاعر الجاهلي ذو الإصبع العَدواني :

واللهِ لو كرِهتْ كفّي مصاحبتي
لقلتُ إذ كرِهت قربي لها : بِيني

فافعلها الله يعمر بيتك قبل أن يكون الثمن غالياً وفادحاً ، وادّخر شيئاً لآخرتك، عسى أن ترحم الوطن فيرحمك الله .

***

بين العنادِ في الحقّ ، والعنادِ في الباطل ..

مطرقة خالد محجوب ... وجيوش الغوغاء الهشّة !![1]

لا يعنيني ابن مَنْ هو ، ولا يهمّني من أين جاء ، ولا علاقة لي بـ " فيش وتشبيه" سيادته وتفاصيل حياته العائلية أو العملية ، الذي يهمّني في المقام الأول والأخير : ماذا يقدّم الرجل ؟ وما الحصيلة النهائية لكل ما يقـدّم ؟ وهذه هي القاعدة التي أتعامل بها مع كلّ كائن على هـذه الأرض ، بدءًا بنفسي ، وكم أجدني واقفا ـ على الحياد ـ في مواجهتي ، أحاسبني على أخطاء وهفوات قد تكـبر أو تصغر، وكثيرا ما أعنفني " بكلمات لم تكن مستعملةً في العصر القـديم "(طـه حُسَـين) ، وكثيراً ما أخرجُ من مواجهتي معي وأنا غير راضٍعن نفسي !!

أعني ، وبكلّ احترامٍ وتقدير ، المستشار خالد محجوب ، المطرقة الجديدة التي تدقّ بعنفٍ في فضاء أحلام يقظة أهل المحظورة فتنغص عليهم صحوهم وتطاردهم في نومهم وتفسد عليهم نهارهم وليلهم ، تلك المطرقة التي لم تخب لها ضربة من ضربات الحق ، فحطّمت كل الحيل والألعاب الحلزونية التي يتقنها حواة العصر الهبابي الجديد ومُراهقوه الذين يتاجرون بالدين وبالوطن فيأتون من الدين بما

---

[1] العدد ٧٥ –الثلاثاء ٢ يوليو ٢٠١٣ م.

يوظفونه في تضليل الغلابة والضحك عليهم ، ويدّعون أنهم حماة الوطن وقادة ثورته التي فتحت أبواب النهار أمام الشعب المُحبط ، والوطن يئن من أفعالهم ويستغيث بعد أن عرضوه للبيع بالجملة والقطّاعي في مزادات عشوائية بلا ضابط ولا رابط ، والثورة منهم بريئة إلا في جانبها المظلم والعياذ بالله ، فلا هم قادتها ، ولا هم حُماتُها ، بل هم مفسدوها ووائدوها وسارقو ما تبقّى من ضوئها ونقائها ، غير أنهم ـ لفرط غرورهم واستعلائهم وغبائهم الفطري الذي يتنافسون فيه ـ لا يدركون أن جذوة الثورة محلّها القلوب ، وأن نيرانها لا تخبو ولا تهدأ ولا تنطفئُ مهما سكبوا عليها من نُفايات الخيانة ، ومهما كبّلوها بقيود المراوغة والألاعيب الفارغة المكشوفة التي لم تعد تنطلي على أحد ، وبعد أن يقوموا بسرقة الوطن ووأد الثورة وقهر الثوار وخيانة الشهداء واستنزاف الوقت والجهد في الحركات الصبيانية، يخرجون علينا من أجهزة الإعلام التي أخرجتهم من مستنقعات التجاهل وغسلت سمعتهم في مياه التعاطف وأعادتهم إلى الوجود مرة أخرى ليواصلوا الكذب والتدليس والنصب باسم الثورة وباسم القانون وباسم الدين وباسم الوطنية ، وفي جزء من الثانية ينقلبون ليلعنوا القنوات التي غسلت سمعتهم، والصحف التي جففت خطاياهم وستروا بها عوراتهم ، وتراهم وقد عادوا إلى عاداتهم الموروثة وخبراتهم الطويلة في الخيانة والتآمر والغدر والكذب وقلة الأصل ، وكما قال المصريون الحكماء : " الطبع غالب "، أو " الطبع يغلب التطبُّع "، وهم في طباعهم حدّث ولا حرج ، ولكنهم لا يستحون ولا يعرفون أيَّ مرادفٍ للحرج!!

المستشار خالد محجوب ، هو رئيس محكمة جنح مستأنف الإسماعيلية الذي أُسندت إليهِ قضية "هروب السجناء من سجن وادي النطرون أثناء ثورة ٢٥يناير" وقام باستدعاء الرئيس محمد مرسي لسماع أقواله في واقعة اقتحام السجن أثناء الثورة باعتبار السيّد الرئيس أهم الهاربين وأشهرهم إذ وثّق عملية هروبه ـ والذين معه ـ باتصاله الشهير بقناة الجزيرة القطريّة في وقتٍ كانت فيه الاتصالات مقطوعة ومحرّمة على المصريين ((!!!!)) ، ولأن السيّد الرئيس ، وبعض الذين كانوا معه ، أصبحوا الآن منتشرين على مقاعد السلطة ما بين رئاسة الدولة ـ ذات نفسها ـ ومجلس الشورى الباطل بالثلاثة ، ومقاعد المحافظين ، فقد كان من الواجب واللازم لإظهار الحقائق وتحقيق العدالة أن يقوم السيّد المستشار باستدعاء السيد الرئيس باعتباره فاعلا أصليا لا تخطئه الأذن من خلال الوثيقة التي سجّلتها القناة القطريّة ، ولأن هذا حرام في شرع المحظورة ، وعيب وما يصحش ، فقد أطلقت كتائبها الجرّارة بأسلحتها المتنوّعة (وكلها فشنك ، مجرّد أصوات وأكياس هواء) لمحاصرة الرجل ودكّ حصونه وإرهابه وتخويفه لكي يتراجع ويكتفي بما تحت يديه "من كلام "، ويا حبّذا لو حاول النسيان وقيّد الجريمة ضد مجهول وأرخى الستارة (مع الشكر لنزار قبّاني)، تحرّكت الفصائل الإخوانجية برّا وبحرًا وجوًّا وحاصرت الرجل من كلّ اتجاه ، وكان في طليعة الجيش الحلزوني أهل المراوغات القانونية بالمماطلة وطلبات التأجيل وطلبات ردّ المحكمة ، كما تحرّكت الفصائل الصحفية حديثة العهد بالكتابة وبالحريّة وانسكبت في مبارازات الكذب والتلفيق والهلفطة ،وحاصرته فرق " الليل وآخره " بالتهديدات بالقتل والموت الزؤام ، وتحركت زواحف الانترنت الغشيمة لتسبّ الرجل وتفتري عليه وتشهر في وجهه كلّ

الأسلحة القذرة لكي يتراجع وينسى ـ أو يتناسى ـ واجبه ويخالف ضميره ويخون وطنه ورسالته الشريفة ويُسقط اسم السيد الرئيس وشركاه من أوراق القضية !! غير أنّه ـ خالد محجوب ـ لم يهتز ، ولم يفقد ثقته في الله وفي نفسه وفي واجبه ، تركهم يأكلون أنفسهم عملا بقول زميلي الشاعر القديم :

اصبرْ على غيظِ الحسودِ فإنَّ صبرَكَ قاتلُهْ

كالنارِ تأكلُ بعضَها إنْ لم تجدْ ما تأكلُهْ

هل "ارعَوَى "هؤلاء ؟ وهل عرفوا حُمرة الخجل مرّةً واحدة ؟ وهل هزّوا شعرة في أذن خالد محجوب وزملائه الشرفاء من هيئة القضاء أو أعضاء النيابة العامة ؟ لم يحدث ... ، وكأن كل ما تقوم به هذه الجيوش الكسيحة لا يعدو أن يكون طنين ذبابة تائهة على حافةِ الليل !! أصرّ هؤلاء الأبطال ـ أعني السيّد المستشار ورفاقه فالآخرون أشخاص كارتونيّون ـ على أن يكتبوا صفحة جديدة بحروف الحقّ والنور والشرف في سجل القضاء المصري العظيم ، ذلك الصرح الشامخ الذي يصر السيد الرئيس شخصيا على الشخبطة على جدرانه ، وإهانة رجاله ، ودعم المعتدين عليه وعليهم وتشجيعهم . واصل المستشار خالد محجوب ورفاقه المشوار ببسالة وعزيمة من حديد ، مؤمنين بأن (الله لا يضيعُ أجرَ مَن أحسنَ عملاً) غير عابئين بالتهديدات أو التشنيعات أو حملات المتطوعين من الكائنات الزاحفة على بطنها بدافع الطفاسة من أجل منصب أو منفعة أو حتى دعوة غداء أو عشاء في مهرجانات الحوار الوطني الكوميدية وأناجر الفتّة الباكينانيّة !!ولأن ربك بالمرصاد فقد كانت يده فوق أيدي الشرفاء ، وكلما ظنّ الحواة أنهم على مقربة من تسديد ضربة إجهاضية وتسجيل هدف ، ولو غير شرعي ، خابت أمانيهم وطاشت تسديداتهم إلى الآوت ونزلت مطرقة محجوب كصخرة من الهرم فوق رؤوسهم

الخاوية ، لم تنجح لهم محاولة واحدة من محاولاتهم البائسة من أجل "رد المحكمة" وإطالة أمد القضية إلى درجة الملل فاليأس فالإماتة فالنسيان ، بل سدد لهم سهم الله صفعة موجعة ليتعلموا آداب التقاضي وأخلاقياته ويحترموا وقت العدالة ورجالها ومجهوداتهم ، وكان ذلك بصدور حكم بتغريم أحدهم بأربعة آلاف جنيه عندما تقدّم بطلبٍ ـ ضمن مهرجان التعطيل والمراوغة والمماطلة ـ من أجل ردّ المحكمة لعدم الصلاحية ، ليواصل رجال القضاء إعطاء الدروس وبث الأمل والطمأنينة في نفوس أبناء وطنهم ، وليثبتوا للعالم أجمع أن منصة القضاء لا يمكن شراؤها ، وأن ضمائر أبناء هذا الحصن الشريف يستحيل اختراقها أو تلويثها أو تلوينها مهما تكن الإغراءات ، ومهما تكن التهديدات والمنغّصات ، وإن كانت هناك بقعٌ أو ثقوبٌ في الثوب الأبيض الناصع ، فإنها لن تطفئ شمس العدالة ، ولا تمحو تاريخا من الوطنية ينحني العالم أمامه ويتعلم منه ، فالدور الوطني لرجال القضاء لا ينفصل عن الواجب أو رسالة إحقاق الحق وتحقيق العدالة ، بل هو كامنٌ فيهما ومتحقق بهما ومعهما ، ولهذا ، بهرتني مرافعة النيابة العامة العامة ، وشعرت بالفخر وبالأمان ، واستمتعت ـ كأديب ـ بهذه اللغة الراقية الصافية التي أعادتني إلى ذكريات دراستي للقانون بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية عندما طالعت ـ للمرة الأولى ـ نماذج من أحكام محكمة النقض ، فصرخت على الفور : هذه الأحكام مكانها ليس بكليات الحقوق ، ولكن في الدراسات العليا بدار العلوم وأقسام اللغة العربية بكليات الآداب والتربية ، ها نحن نعود إلى تعانق العدل والوطنية واللغة الراقية الناصعة في مرافعة النيابة العامة ، وانظر إلى هذه المقاطع واستخرج العبر والدروس ، وصفق ـ معي ـ لكل القيم والمبادئ التي تكتنزها هذه العبارات العابرة

للأزمان : " لمصلحة مَن تم اقتحام السجون المصرية، وأي بلد يقبل أن يهان القائمون على حمايته وتوفير الأمن له على يد أناس وفئات ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً "،" ليس من شأن النيابة العامة أن تخوض في مطارحات ومجادلات تبين خطر هذا الفكر على ثوابت الدين الإسلامي المعلومة بالضرورة فلهذا رجاله من علماء هذه الأمة ،ولكن من شأن النيابة العامة أن تبين خطورة مسالكهم في تقويض أركان المجتمع وإحداث بلبلة بين أفرداه ، وخطورة ترويج وتحبيذ الأفكار المتطرفة والحيدة عن جادة الصواب فيه وهو أمر مجرّم بقانون العقوبات " ، لقد "تأكد لهيئة المحكمة صدق وجود تلك المؤامرة لتهريب أشخاص بعينهم منتمين لفصيل سياسي بعينه ما ثبت من أقوال الشهود من مشاهدتهم خلال الأحداث لبعض قيادات التنظيم الإخواني بمدينة السادات بمنطقة الأحداث ، وإجراء اتصال معه و الذي أكد فيه " لقد قمنا بفك أسر الإخوة بالكامل وحررناهم" ، " لم يراعِ هؤلاء الباغون أي تعاليم دينية حيث أقدموا على فعلتهم ضاربين بعرض الحائط ما تنعم به هبة النيل و المصريون من هدوء وسكينة "، أمّا الشجاعة فلم تكن خارج المشهد أو حتى في خلفيته ، بل تصدرته " بكل شجاعة " : " إنّ من يدّعون الإسلام ، قتلوا وسفكوا الدماء لتولي السلطة في البلاد، وثبت يقينًا للمحكمة عندما شاهدت الأسطوانة المتعلقة بالمكالمة التي تمت في ساحة السجن، أن من أجراها هو مَن يجلس الآن على كرسي الحكم "، " لقد استمعت المحكمة إلى أقوال شهود حملت من الوقائع أقل ما توصف به أنها خيانة للوطن وغدر بالشعب وخسة في الغاية ، من فئة لا تعرف في أعمالها طريق الحق، فالقضية المنظورة أمامكم وماتحتويه من وقائع ، أقل ماتوصف به أنها تسطر

صفحات من نور، ليعلم الشعب ما حاق به من مكائد على يد من يدَّعون أنهم من أبناء هذا الوطن وهم عملاء لخارجه ، ولم يكفهم امتزاج خمر السلطة في كأسهم بدم آلاف الشهداء الذين سقطوا، فوقفوا على أجسادهم لتمتد أياديهم إلى زمام الأمور"، وأقول ـ أنا الموقّع أعلاه ـ إن الفقرة الأخيرة هي عصارة القضية من ألفها إلى يائها ، وهي الصفعة التي أقضت مضاجع باعة الوهم والمتاجرين بالدين وبالوطن وبالثورة ودماء الشهداء ، ولذلك لم نستغرب ، ولم نستبعد ، تلك الطعنات التي سددها السيد الرئيس للقضاء وشرفائه في خطابه الأخير (المقرر والمكرر واللا جديد) الذي جلدنا به الأربعاء المنصرم بحضور الهتّيفة والمصفّقين المنسحقين أو المنساقين من أهل الحقبة المقندلة (نسبة إلى حكومة المواطن المعجزة هشام قنديل ، أو فاترينة عرض منتجات مكتب الإرشاد المشمومة) ، وعندما يئس الذين أدمنوا الكذب والالتواء والمراوغة من خالد محجوب ومطرقته الثقيلة الراسخة ، انتابتهم أخلاق الشمشمة ، فراحوا يبحثون للرجل ـ وفيه ـ عن ثقبٍ لنقيصةٍ ، حاشا لله ، فلم يجدوا إلا أنه ابن الدكتور محمد علي محجوب ، وزير أوقاف حسني مبارك !! يا لخيبتكم وبؤسكم وقلة حيلتكم !! (والله لو كان القاضي ابنا لحسني مبارك شخصياً وجاء ليحق الحق ويفعل بكم هذا لصفقنا له) ،لقد كان كباركم الذين علموكم السحر والدجل والشعوذة السياسية البلهاء أول مَن يلحس الأرض تحت أقدام مبارك وولديه وزوجته وأركان نظامه !! لماذا تتناسون القضايا الكبرى التي حكم فيها خالد محجوب وأصابت كبارا من كبار نظام مبارك في عز عنفوان الحقبة المباركية الاستبدادية ؟ تصدقوا بالله ... استبداد مبارك أخف وطأة ألف مرة من استبدادكم وطغيانكم ، فاستبداده كان فاجرًا قذرًا لا يتمسّح بالدين

ولا يتلامس معه ، بينما استبدادكم مبنيّ على المتاجرة بالدين والتوكؤ عليه وكأنكم الوكلاء الوحيدون للتحدّث باسمه وباسم المسلمين ، أنتم جلبتم الشحناء والبغضاء وقاذورات السياسة من مستنقعات التواطؤات والمراوغات والنجاسة ووضعتموها في أفواه الخطباء المضللين ليتقيأوها في وجوهنا من فوق المنابر في صلاة الجمعة !!فلوّثتم ثوب الدين الناصع وأسأتم إليه وإلينا ، أي وجهٍ ستقابلون به الله بعد كلّ الذي صنعتم وكلّ الذي تصنعون ؟ وأين حمرة الخجل والحياء من الله إن كنتم لا تستحون من البشر أمثالنا ؟

القاذروات التي تلقونها فوق رؤوس الشرفاء ترتد إليكم وتدفنكم تحتها ، ومطارق العدالة لن تهتز في أيدي رجال القضاء الشرفاء وستنزل بكل حسم وحزم وقوة فوق رؤوس ثعابينكم ، ومطارق الشعب الواعي لن تترك لكم لحظة تنامون فيها أو تهنأون بسرقاتكم ، أما جيوشكم العرجاء عديمة الحيلة قليلة الخبرة عقيمة الإبداع فلن ترهب نملة ، وعندما يفقس بيض الغوغاء وتخرج منه فراخ الغوغائية العمياء ، فإن مصر الولادة ستنجب لكم ألف خالد محجوب في كل طلعة شمس ، وستتحول كلّ أشجارها إلى مطارق تنتظر الرؤوس المارقة ، والثعابين الملتوية ، والثعالب البلهاء التي تتقمّص المكر والدهاء والعبقرية ، بينما هي مجرّد جراء صغيرة قليلة الحيلة عديمة الموهبة لا تقوى على تحمّل صدى مطرقة ، أو زفرة غضب يطلقها طفل حالم يحبو في طريق الحرية .

***

ثعابين الأمريكان ،
وعقـــارب الأتـــــراك ،
والضربة المصريّـة القاضية !! [1]

عاد المصريون مرّةً أخرى لممارسة أهم عاداتهم المزمنة وهي صناعة التاريخ،وانتفضت مصر العظيمة وأزاحت عن جسدها الطاهر أجهزة التنفّس الصناعي والمحاليل ونقل الدم وقفزت من غرفة الإنعاش إلى قارعة الصباح متأبطة فجرًا غير مسبوق وشمسًا بكرًا لم تسطع على الوجود ولم تنكشف على هذه الدنيا منذ بدء الخليقة ، وفي حفل زفاف الصباح الجديد رقصت كل أطيار الكون وغنت ، ووقفت الكرة الأرضية فاغرةً فاها مرة أخرى لتمحو من الأذهان اندهاشات بركان الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م ، ولتضع مكانها هذا الطوفان الهادر الذي حوّل شوارعَ مصر العظيمة وميادينها إلى أنهارٍ وبحارٍ أمواجُها من البشر الثائرين الذين لا يعرفون لغة الذلّ ولا طعم الانكسار .

ولأن الضوء كان مدهشاً وفجائياً واستثنائياً ، فإنّ عيونا مريضة بالخَوَصِ المزمن وقعت في قبضة البربشة إذ لم يكن بوسعها أن تتحمّلَ الصدمة فخرّت تتخبّط في خطواتها المرتبكة التي تحملُ أجسادًا معتّقةً في مستنقعات الحقد والأنانية والكراهية البغيضة ، ارتبك المرتعش المغرور رجب أردوغان وعصابة المحيطين به

[1] العدد ٧٦ – الثلاثاء ٩ يوليو ٢٠١٣م .

في فراغ الوهم التركي ، وخرّ أوباما الأمريكاني صريعا تحت سنابك الثواني المشتعلة ففقد لسانه وراح يتكلّم بالإشارة ، ومثلما رقص على كلّ الحبال في الموجة الأولى من الثورة (٢٥ يناير / ١١ فبراير ٢٠١١م) انتابه الحنين إلى ممارسة اللعبة نفسها في الموجة الثانية ، تلك التي جاءت عاتية فأرسلت نذرَ الطوفان في الثامن والعشرين من يونيو ٢٠١٣م من منبع النور والإشراق في وجودنا الحديث .. "ميدان التحرير" وتوابعه وفروعه في كلّ شبر على أرضنا الثائرة المنتفضة ، ولما شاءت إرادة الله أن يقولَ الشعب كلمة النهاية ارتجفت الأرض تحت الأقدام المتوهّجة ، واستيقظ الكون على الدبيب والضجيج والأغاني ، في كرنفال من المشاعر والرؤى المتضاربة ، وتشكيلة من نسيج الخيال يصنعها القدر بأنامل المصريين وألسنتهم ، وقفت الدنيا كلها في شرفات الوقت تتابع الميلاد الاستثنائي وتسجّل الصيحات والأغنيات والأهازيج وزغاريد الحسان ، وعندما اكتست الثواني بألوان العَلَم المصري ، ووقفت الجبال والأنهار والأشجار لتردد تحية الصباح بأدب والتزام : " تحيا جمهورية مصر العربيّة "، لم يكن مفاجئا أن تخرج بعض الأصوات المريضة التي تقتات على الثمرات المعطوبة في جناين مصر جنّة الله في الأرض ، فهناك ... خلف الأشجار الفرعونية الشامخة كالمسلات تتوارى جيوش من الحشرات الطائرة والهائمة ، وتحت حواف الأسوار ترقد الزواحف السامة في الحفر المظلمة التي لا ترى الشمس ولا تعرف إلا اللون الأسود ، وعندما جاء الطوفان غرقت كلّ الكائنات الهشة التي تسللت في ظلامها الذي خالته سرمديا ، وراحت تبث سمومها في الجسد المصري الممدد في غرفة الإنعاش لتساعد في إنهاكه وإرهاقه وتعجّل بنهايته، ولأنها حشرات وزواحف لا تجيد قراءة التاريخ ولا تقارير الأطبّاء المعلّقة

على جدران الأيّام ، فقد أوهمها خيالها المريض أن مصر المريضة دخلت نزْعَها الأخير ، ولم يعد يتبقّى لها سوى مراسم الدفن التي تليق بوداع الأم الأولى التي أنجبت هذه الدنيا !!

في بداية ولايته الأولى جاء المواطن الأمريكاني باراك أوباما ليخاطب العالم الإسلامي من تحت قبة جامعة القاهرة العريقة ، ولأنّ المذكور يفهم العقلية الشرقية، ولأن له جذورا أفريقية ، فلم يقصّر في ... الكلام ، ولم يبخس حقوقنا الشرعية في الوعود وقراطيس الوهم ، وأمام أعين كلّ أجهزة الإعلام العالمية افتعل النقاء والإنسانية والطيبة والبراءة ، فظنّه البسطاء من أمثالي مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ البشرية ـ وعلى رأسها العرب والمسلمون ـ من مخاطر الفقر والجهل والمرض والوجود الإسرائيلي !! ولم يكونوا يدركون أن أيّ رئيس لأمريكا له وظيفتان : صباحًا .. رئيس لأمريكا ، وفي الفترة المسائية وبالليل وزير خارجية إسرائيل ، وكثيرا ما يطغى الجانب المظلم على الجانب المضيء فيزحف الواجب المسائي والليلي على واجبات النهار ، ويتلاشى الوجه الأمريكي خلف ستائر ظلمات الوجه الإسرائيلي ، والغريب في الأمر أن هذا الموروث القذر يفرض نفسه تلقائيا وبشكل أوتوماتيكي وعفوي على كل من يجلس القرفصاء على صدر الكرة الأرضية من غرفته في البيت الأسود الأمريكي ، بمعنى أننا كلما توسّمنا العدل والشجاعة في أحدهم ، نجده ينحرف بسرعة البرق وبشكل فجائي ليزحف بمقعدته في وحل الانحياز الكامل إلى إسرائيل وينسف كل توقّعاتنا أو آمالنا التي هي ـ في الأصل ـ مجرّد أوهام رأيناها ترتدي ثوبًا نظيفا لفرط طيبتنا وسذاجتنا وخيباتنا المتتابعة ، ومع أوّل هبّة ريح يطير الثوب القشيب المزركش لنرى تحته جسدا مهترئا أكلته حشرات

الظلم والظلام ، تفوح منه الروائح النتنة المسافرة في سطور المخابرات وفي طيّات أنفاس أهل الإدارة الأمريكوسرائيلية على مرّ الزمن .

ظلّ المدعو أوباما يرقص على إيقاع فرقة المخلوع الأول حسني مبارك طوال الأيام الثمانية عشرة ، وعندما قالت الميادين كلمتها أرغمته على الإنصات والانحناء ولحس كلامه السابق ، غير أنه لم يهدأ وراح يلعب الاستغماية ليلا (في فترة الواجب الإسرائيلي ومن أجل عيون الصهاينة) ، وجاء إلى مصر بالحيزبون الشمطاء آن باترسون التي تبدو مثل حيّة رقطاء تلمع تحت ضوء الشمس فتلفت الانتباه ، وتحت ابتسامتها وطيّات جلدها تدّخرُ تراثًا من السموم يتطاير في كلامها وأنفاسها فيصيب كلّ مَن يصل إليه ! نجحت الحيزبون الأمريكانية في الالتفاف والالتواء والزحف في كل اتجاه ، وأينما حلّت باضت تحت مقعدها لتخرج ثعابينها الصغيرة مع كلّ طلعة شمس وتزحف وتندفع بصلفٍ وغرورٍ وعُنجهيّة لتزرع الفتن والضغائن والأحقاد في تربة الأرض المصرية الممهدة والجاهزة والمستعدة دومًا ، كما لم تتعب رقطاء البيت الأسود من أجل وجود الرعاة والمتواطئين والمتطوّعين الذين يقومون برعاية ثعابينها وحراسة حقول شوكها وضغائنها وما تزرعه من مؤامرات وفتن .

جاءت السفيرة الأمريكية آن باترسون إلى مصر في أعقاب الموجة الأولى للثورة ، وبعد عملية السطو المفضوحة التي قام بها الإخوان على الثورة ، ولأنها ـ الأمريكانية ـ قادمة من باكستان ، أي من أحضان التجربة الطالبانية الأفغانية فقد ظنت الغشيمة أنها وجدت صيدها الثمين في هذه الجماعة المحظورة ، ووضعت كل رهاناتها عليها ، وراحت تمد حبال الود مع رموزها ، ولم تتأخر عن القيام بطلعات

استكشافية إلى مقر الإخوان بالمقطم لتجالس الطبيب البيطري الذي يرتدي ثوب مرشد الجماعة ويجلس منتفخا وارما وخلفه عَلَمَان : علَم مصر الذي دنسوه ولم يحترموا قدسيته ، وعلَم الجماعة الذي يعتبرونه الأصل ، ويتعامل مع كلّ مَن يحدّثه وكأنه يتعامل مع جاموسة ، ولم تكن هذه المرأة بحاجة إلى التستر أو الخوف أو الاستحياء ، بل كانت تجاهر بذلك وتوثّقه بالصور التذكارية ، ولكي تثبت أن رهانها على المحظورة ومحظوريها هو الأمثل ، كانت تمارس بعض الطلعات التمويهيّة مع الأطراف الأخرى في المعادلة .. المجلس العسكري الطنطاوي .. الشخصيات التي أفرزتها الثورة أو التي ركبت الثورة ... ثم هناك في نهاية المطاف رموز جبهة الإنقاذ النهري الذين يقاربونها في السن ولا يماثلونها في الخبث والمكر والخداع ، ولو كانوا يملكون هذه المواهب ما تمكن الإخوان المجرمون (الطرف الثالث ، والفاعل المجهول في كل علامات الاستفهام التي لم نحصل على إجاباتها بعد) من سرقة الثورة ، ولأنها وجدتهم جميعا على نيّاتهم ولا يملكون ولو عصا مصّاصة في مواجهة هذا التنظيم الإجرامي ، وضعت بيضها كله في سلة الإخوان ، ونجحت بشكل مذهل في مساعدتهم مادياً ومعنوياً ، وكان ثمن وصولهم إلى قمة السلطة هو أمن إسرائيل ، وحقق لهم المخلوع الثاني أكثر مما يحلمون !! ولذلك .. هاجت المشاعر الأمريكانية الجياشة ، وسكبوا دموعهم المدرارة على أطلال الاحتلال الإخواني المرساوي للإرادة المصرية ، انسكبت باترسون في تخريفات هطلاء ، وارتعش أوباما الغلبان ولم يجد في حوزته سوى جزرة المعونة ليهددنا بها ، ولم يكن المسكين يدرك أن الملايين التي زلزلت الأرض وهو تقول : لا ، يمكنها أن تصوم الدهر ولا تنحني للئيم مثله ، ولا تبتسم لأي منّان حقير ، ولهول الصدمة

والفجيعة راحا ـ أوباما ورقطاؤه الشمطاء ـ يحركان الآلة الإعلامية بقيادة الـ **cnn** ليصوروا لتوابعهم أن الذي حدث بمصر انقلاب ضد الشرعية وأن ذلك يضع القوات المسلحة تحت طائلة النقد و...... ، وراحت الـ **cnn** تبتكر أحداثا وتخترع ضيوفا " سكاند هاند " يمشون في ركابها باللغة الإنجليزية الفصحى ، وعندما أخرج الشعب المصري لسانه ، وصعّر نعاله في وجه أوباما وكل الحكومات المخصية التي تصلّي خلفه سحب الرئيس الأمريكاسرائيلي كلامه وتراجع في تصريحاته بعد تعنيف غير مباشر من أحرار الكونجرس وخبراء الإعلام الذين يفهمون في السياسة أكثر منه ومن تابعته باترسون ! ، ولو صحّ ما يُقالُ عن اتفاق اللعب في سيناء والتنازل عن أجزاء منها لحماس من أجل أمن إسرائيل فسوف تكون الضربة القاضية لهذا الأوبامي ، لكنني ـ في الوقت نفسه ـ أبادر بالشكر لهذا الأمريكي الغلبان وممثلته طرفنا ، فقد أعاد إلينا جزءا كبيرا من إرادتنا وكرامتنا بهذه الصحوة وهذا الطوفان الهادر ضده شخصيّا وضد سياساته وضد معونته ، ولعله يتابع الآن الأرقام التي تتقافز على أغصان حساب دعم الاقتصاد المصري ٣٠٦٣٠٦ ليعرف أن الشعب المصري أغنى شعوب الأرض وأسرعها فداءً وتلبيةً لنداء الأم العظيمة التي لا تموت .

أما المسكين الآخر الذي يثير الشفقة فهو المدعو رجب طيب أردوغان ، صاحب التجربة التركية ، وأكبر مصدّر للمسلسلات التليفزيونية في المنطقة ، هذا الذي انخدعنا فيه جميعا ، أو معظمنا ، ظننا منّا أنه بالفعل رجل "طيب " وأردوغان، وقلنا إن مواقفه السابقة في دعم القضية الفلسطينية تؤكد أنه ظهيرٌ قويٌّ للعرب ، وأننا معا سنكون حجر الزاوية في المنطقة برغم أنف أمريكا وإسرائيل

ومَن بلع حبوبها وسار في ظلالها ، وكان الطيب الأردوغاني ذكيّا وماكرا إلى الدرجة التي استطاع فيها أن يعمينا عن ألاعيبه (مثل الحواة ولاعبي الثلاث ورقات) ، وكان أول انكشاف له عندما خرج ـ وحده ، على مستوى العالم ـ ليشيد بحشود المحظورة وشركائها في مليونية حماية الشريعة والشرعية (السبت ، أول ديسمبر ٢٠١٢م) ، وأكّد بسلامته يومها أنه لم يرَ مثل هذه الحشود على مرّ التاريخ ، وأنها ـ الحشود ـ تحمي أي رئيس وتجبر أي شعب على احترام شرعيته ، غير أنه أصيب بالعمى شيئا فشيئا بدءًا من ٢٨ يونيو وحتى هذه اللحظة ، الرجل رأى الحشود التي أفزعت الضواري البريئة في حديقة الحيوان ، والتي لم تجاوز المليون في يوم دعم الرئيس الإخوانجي المهزوز وشرعيته الباطلة المسروقة ، ولم يستطع رؤية ٣٥ مليونا من الغاضبين الثائرين الهادرين ضد حليفه المتواطئ مرسي العيّاط !! خرج علينا الأخ الأردوغاني ونائبه حسن تشاليك ووزير خارجية سيادته أحمد داود أوغلو بمتواليات بكائية على أطلال مبنى المحظورة بهضبة المقطم ، الأخ أردوغان لا يبكي من أجل سواد عيون الديموقراطية في مصر ، ولا إشفاقا على أرواح الشباب الذين فقدناهم جرّاء التحريض الإخواني وبأيدي الإجرام الإخواني ، ولكنه يبكي خوفا من العدوى التي ستقتلع أكاذيبه لا محالة ، المسكين أدرك أن فوران ميدان " التحرير " المصري سيوقظ براكين ميدان "تقسيم " التركي مرّة أخرى ، وأن هذه الصحوة المصرية دفنت أحلام يقظته إلى الأبد ، فقد كان المسكين يريد بناء صرح شعبيته على أنقاض الدور المصري المتهالك الذي بدأ مرحلة البيات ثم الموات التام في النصف الثاني من الحقبة المباركية (أي من أواخر التسعينيات) ، ومع الـ "كام حركة "التي قام بها أردوغان ضد الإسرائيليين ، صفقنا له ،

واعتبرناه جزءًا منّا ومن قضية العرب الأولى .. فلسطين .. ، ومع مجيء أقاربه الذين نسجوا على منوال حزبه "العدالة والتنمية "وجعلوا ترجمته المصرية "الحرية والعدالة " ، راح المسكين الإخواني المُدبلَج يردد أغنية المطرب الراحل حسن الأسمر "باحلم وانا صاحي "، إذ كان مدركا أن هؤلاء السذّج حديثي العهد بالنور وبالسياسة ، سيسهل قيادهم واستغلال غبائهم وجعلهم محور ارتكاز مهم يقفز مستندا عليه لمواصلة تحقيق أهدافه الخاصة وبناء شعبيته الكاذبة .

ها هم الإخوان ، وبسرعة البرق ، حفروا قبورهم بأيديهم ، ووضعوا في أيدي الجماهير الحبال التي يشنقونهم بها !! هم لم يخيّبوا آمال المصريين ، بقدر ما خيّبوا آمال حلفائهم الأمريكانيين والأتراك والإسرائيليين ، جاءت الصفعة قاسية والدرس موجعا من أحرار مصر وأصحابها لكل مَن يحاول بناء مجده على أنقاض أحلام المصريين وأشواقهم للحرية والعدالة وللكرامة الإنسانية ، لم تنزل الصفعة على وجه مرسي العياط المتواطئ المتآمر وحده ، بل نزلت أيضا على قفا أوباما وبيريز ونتنياهو وباترسون ، كما نزلت كصخرة من الهرم فوق رأس النظام الأردوغاني الذي حاصرنا بالوهم وبالمسلسلات الخليعة ، والآن يبكي على انهيار الأحلام والطموحات ، ويرتعد خوفا من الأيام المقبلة التي سيقوم فيها أحرار تركيا بالواجب معه ، ويومها ، سيتمنى لو يجري حافيًا وبأقصى سرعة ليرتمي على البرش بجوار العيّاط والشاطر وبديع والكتاتني في سجن مزرعة طرة ، قبل أن يفتك به المضحوك عليهم من أحرار تركيا ومظاليمها .

***

أيها الأبطالُ الشرفاء ...

مرحبًا بكم في أحضانِ الشعب[1]

نهنئُ السيد اللواء محمد إبراهيم ، وزير الداخلية الذي أعاده فوران ٣٠ يونيو إلى ما يليق به من احترام بعد أن أغرقناه في بحور الشك والارتياب وأوسعناه نقدا وتقطيعا .. ونبادر فنكرر القول إن من أكبر حسنات المخلوع الثاني مرسي العيّاط وشركاه (المحظورة ، والحزب الحرام ، ومجلس الكتاتني ، ومجلس أحمد فهمي وفتحي شهاب ،وحكومة الطفاسة والرمرمة ، وبقية التوابع والمتواطئين) أنهم أعادوا الجيش المصري العظيم إلى هيبته التي كانت تنتظره على أحرّ من الجمر بعد أن سقطت منه في زحام السنة الكئيبة التي وقعنا فيها رهائن للاحتلال الإخواني المرير ، والتي أغرقتنا جميعا في دوامات الأسئلة التي لم نجد لها إجابة إلى اليوم ، واليوم عاد جيشنا النبيل إلى وضعه الطبيعي علمًا على رؤوس الأشهاد مرّةً أخرى ، بعد أن نجا في اللحظة الحاسمة من محاولة تقليم الأظافر وخلع الأنياب التي كان المراهقون البؤساء يخططون لها ، وكما يليقُ به كأقدمم ـ وأول ـ جيش وطني وفي مقدمة جيوش العالم المعاصر ... استطاع أن ينجو بسفينة الوطن وهي تتخبّط في ظلمات التمكين ، وتحاصرها عواصف الاستبداد والرجعية والتخلف ، وتتنازعها مطامع الطامعين وأحقادهم من كلّ حدب وصوب ، وبالرغم من الثمن الباهظ

[1] العدد ٧٨ – الثلاثاء ٢٣ يوليو ٢٠١٣م .

الذي يدفعه جيشنا كلّ يومٍ من دماء رجاله الأبطال ، وبالرغم من استنزافه في مراوغات صبيانية سواء على أرض سيناء أو بين الحارات والشوارع والميادين ، وبالرغم من محاولات جرّه إلى توجيه أسلحته عكس الاتجاه لتكون ضد صدورنا نحن أبناء الشعب ، فإنه ما يزال قابضا على الجمر ، وما يزال عند حُسن الظنّ به بعد أنْ لبّى نداء الملايين من أبناء مصر الغاضبين والرافضين للاحتلال الإخوانجي لبلادنا ، وقفز بكلّ قوته لينقذها ـ وينقذنا ـ من فكّ الضياع ومن بين أنياب الكلاب الضالة ، ويعيدها ويعيدنا إلى الطريق الصحيح باتجاه المستقبل الذي قطعنا العمر كله جريا وراءه وبحثا عنه.

غير أنّ الحسنة الكبرى التي أسداها النظام الباكينامي المعزول إلى شعبنا الطيّب الصابر هي عودة الشرطة إلى أحضاننا ، فبعد أن اتسعت الهوة بين المواطنين وأبنائهم وحماة أمنهم وأمانيهم ، كانت الفجوة تنمو يوماً وراء يوم ، وكان كل فرد من أفراد الشرطة ، ضابطا كان أو جنديا صغيرا ، يبدو في نظرنا وكأنه يحمل بداخله نموذجاً مصغّرا لحبيب العادلي وأظافره الطويلة ، ذلك الوزير الذي كانت مهمته الأولى والأخيرة هي إرهاب المواطنين وقمعهم من أجل سواد عيون المخلوع الأول وزوجته وولديه وحاشيته ، وعندما جاءت الموجة الأولى من الثورة في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م ، كان الكيل قد طفح من العادلي وأبنائه (وهم في غالبيتهم مغلوبون على أمرهم ولا حول لهم ولا قوة) ، حتى أن اختيار اليوم (٢٥ يناير) كان للتنكيد عليهم في يوم عيدهم الذي يذكّرنا بأجلِّ يوم من أيّام الشرطة المصرية العظيمة ، ولأن الدماء التي سالت في الأيّام الثمانية عشرة كانت فوق الاحتمال ، فقد كانت أصابع الاتهام كلها باتجاه الشرطة (التي أهينت) ، وارتفع

الحاجز النفسي بين الشعب وأبنائه في هذه المؤسسة الكبرى إلى الحدود التي لا تطاق، وأصبح الانكسار والشعور بالإحباط ـ أو بما يشبه الخزي ـ بديلا من الزي الرسمي لأبناء الداخلية ، فقد تحولوا إلى متّهمين بمبرر وبغير مبرر ، وألقيت فوق رؤوسهم كل بلاوي الفاعل المجهول واللهو الخفي والطرف الثالث على مدار الأحداث المتتالية أو "توابع " زلزلال ٢٥ يناير ، انطفأت ملامح الضبّاط والصف والجنود ، وتحول معظمهم إلى كائنات كرتونية منزوعة الروح بسبب شعورهم بهذا الحاجز بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم ، وزاد الطين بلة ذلك التراجع المهين ـ والمخيف ـ في أسوأ سنة مرّت بها بلادنا وهي الواقعة بين قوسَي ٣٠ يونيو ٢٠١٢م و٣٠ يونيو ٢٠١٣م ، السنة التي تم فيها اختطاف مصر ومحاولة خلعها من جذورها وإلغاء تاريخها وقطع طريق مستقبلها ، جاء الانهيار الأمني المروّع ليضع علامات استفهام وخطوطا غليظة وأقواسا من الشك والارتياب حول دور الشرطة ووجودها ، وهل هي معنا ـ الشعب ـ أم علينا ؟ وكانت كل الدلائل والوقائع تشير باتجاه الشك وتعمّق الجرح وترفع الحاجز أكثر وأكثر بين الشعب وأبنائه عندما وجدنا مَن لا قيمة لهم ولا صفة ولا سلطة ولا مسؤولية يأمرون ويدلون بتصريحات وبيانات ، ويقومون بزيارات مفاجئة للسجون والأقسام ، ويتحركون بيننا كالطواويس النادرة بينما لا يتجاوز أحدهم منقار كتكوت أزعر ، هؤلاء المتطاوسون أنسونا أسماءنا وألهونا في الوهم وألقونا في براثن التخمين : مَن الذي يدير الداخلية ؟ ولصالح مَن يسهر رجالها ، وعند مَن يعملون ؟ ولماذا يتصرف هذا البلطاجي الوارم بهذا الاستعلاء والاستكبار والعُنجهية ؟ وكما كان التنكيد الأوّل في الموجة الأولى من الثورة على رأس رجال الشرطة وفي يوم عيدهم ، شاعت إرادة

المولى عزّ وجلَّ أن يكونَ التنكيد الأكبر على المحظورة وصنيعتها الرئيس الهزؤ في ذكرى يوم تنصيبه ، زوراً وبهتاناً ، كرئيس لأعظم شعب وأقدم أمة ، جاءت الموجة الثانية من الثورة قاسية وقاصمة وعاتية ، اقتلعت جذور الخيانة من تربة بلادنا ، ولفظت الذين أوشكوا على إخراجنا من دائرة التاريخ وألقتهم في مزبلة التاريخ (التي تقيّأت ورفضتهم ثم ابتلعتهم مضطرة) ، وكانت أجمل مشاهد ٣٠ يونيو وأنقاها وأرقاها هي عودة أبناء الشرطة إلى مقدمة الصفوف مرة أخرى ، وكانوا ـ بالزيّ الصيفي الأبيض ـ يتحركون وسط الجموع كأسراب الحمائم ، يحمون المتظاهرين ، ويأخذون بأيدي كبار السن ويساعدونهم حتى يُجلسوهم ، ويوزعون المياه المعدنية والعصائر على إخوانهم العائدين إلى الحياة ، وبالرغم من نقل كلّ هذه المشاهد على الهواء مباشرة وأرشفتها في آلاف الصور التذكارية ، إلا أن اللغة تضيق وتعجز عن وصف هذا اليوم من عمر الوطن ، فبعد أن تجرعنا المر والإحباط واليأس وخيبة الأمل بالتقسيط على مدار السنة الإخوانجية الكئيبة ، أخذنا جزاءنا من ربّ العالمين مُضاعفاً وعظيًما ، انهمرت شلالات الفرحة في كل الشوارع والميادين ، وتلألأت الشرفات مرة أخرى بالزغاريد وهي تعانق علَم مصر الشامخ ، وانزوت الكآبة بعيدا ليدفع ضريبتها أبرياء منطقة رابعة العدوية من ناحية ، وحيوانات حديقة الحيوان من ناحية أخرى ، وكان رجال الشرطة هم زينة العرس وعرسانه ، هم المصابيح ، والأغاني ، والزغاريد ، والورود ، والضحكات ، والأمنيات ، أزيل الغبار والصدأ عن زيّهم الوطني الشريف وملامحهم المصرية الأصيلة ، وعادوا إلى أحضاننا عودة الوليد إلى حضن والديه ، وأصبح من

المستحيل أن نسمح بسرقة فرحتنا مرة أخرى ، أو أن يتجرّأ أي جبان ليزرع الفتنة بين الشعب وأبطاله / أبنائه في الجيش أو الشرطة .

وُلِدَ رجالُ الشرطة ميلادًا جديدا ، وقبل الميلاد ، وفي مخاضه ، كانت صورة السيد الوزير اللواء محمد إبراهيم تعود إلى بروازها الناصع شيئا فشيئا ، وها هو يخرج من شرنقة الشكّ والريبة إلى ناصية الثقة والاحترام والتقدير ، فكم تعرّض الرجلُ لما لا يطاق من النقد والتقريع واتهامه بالإخوانيّة والعياذ بالله ، وتسابقنا جميعا في الغمز واللمز حوله وهل هو مع الإخوان على الشعب أم مع الشعب ضد ما يهدده ويسرق أمنه ؟ وها هي المواقف تثبت لنا أنه دفع الثمن من أعصابه، وأنه كان أيضا قابضا على الجمر في مواجهة هؤلاء الهمج الذين أرادوا تفكيك مؤسسات الدولة الكبرى ليملأوا فراغاتها بمياه الخيانة ، ويسكبوا في مفاصلها دماء الأخونة بكل ما بها من صفات النذالة والاحتقار والكراهية وفيروسات الطمع والجشع والطفاسة . كان اللواء محمد إبراهيم يجيد الصمت ، وكنا نستشعر في ملامحه أنه يطوي بداخله وتحت جناحيه جراحا وأحزانا وهموما لا تعطيه الفرصة لمجرّد الابتسام ، ولم نكن نعرف أن ذلك كله ليس سوى صدى الكبت والغضب والصبر على أفعال مراهقي النظام وطلباتهم وتدخلاتهم وإملاءاتهم وهم يحتمون بقصر الاتحادية الذي دنّسوه وأفقدوه رمزيته وبريقه وحوّلوه من قصر الرئاسة إلى "دوّار العيّاط "، فقَدَ قصر الاتحادية موقعه كأول عناوين الدولة وانزلق إلى مرتبة الغرزة التي يهرع إليها الحشاشون والبلطجية والخارجون على القانون ليستمتعوا بأمراضهم بعيدا عن أعين رجال الشرطة ورقابة المجتمع !! ولم يكن يتبقّى إلا أن

يقيموا به حظائر للماعز والخرفان ، وعششا للبط والفراخ تقوم على رعايتها الست باكينام أو الست أم أيمن !!

أكررُ الاعتذار ـ عن نفسي ـ إلى السيّد اللواء محمد إبراهيم ، فكم أوسعته انتقاداً وإيلاماً ، بل لا أبالغ إذا قلت إنني فرحت فيه إلى درجة الشماتة (وهذا واللهِ ليس من شيمي ولا أخلاقي) عندما طرده أبناؤه ضبّاط الشرطة وجنودها وهتفوا ضده في واحدة من أشد جنازات شهدائنا الأبطال أبناء الشرطة المصرية الأوفياء إيلاما وحزنا ، وأعني جنازة الشهيد النقيب محمد أبو شقرة ، الاثنين ، العاشر من يونيو ٢٠١٣م ، والذي اغتالته يد الغدر في يوم الأحد بالعريش بسيناء ، ويوم الجنازة ، وبرغم الألم والدموع ، هتفت ضد الوزير وقلت : يستحقّ ، فقد كان في نظرنا جميعا مجرّد تابع ينفذ ما يُملى عليه من مقاطيع الاتحادية ومحتلّيها الذين لا يحملون أية صفة ، ومثلما رأيناه رآه أبناؤه الضباط والصف والجنود ، وعندما فاض بهم الكيل واعتقدوا ـ إلى درجة اليقين ـ أنه يتنازل عن كرامة الشرطة لصالح المعزول والمحظورة ، وأنه يردم على دماء الشهداء (من كل أبناء الوطن وليس الشرطة وحدها) ويتغاضى عن ملاحقة المجرمين من أجل أن يرضى عنه مولانا العارف بالله مرسي العيّاط ، ثاروا في وجهه ، وهتفوا ضدّه ، وخرجوا عن تقاليد جهاز الشرطة الصارمة وأوشكوا أن يتهجّموا عليه ، واضطروه إلى مغادرة الجنازة حزينا مكلوما قابضا على جمر أسراره وأحزانه التي لا يعلمها إلا الله ! في ذلك اليوم الحزين تفاءلتُ واستبشرت خيرا ، وأدركت أن أبناء الشرطة المصرية ليس من السهل شراؤهم أو استنئاسهم واستقطابهم ليتحولوا إلى خدمٍ عند فصيل أرعن ضد شعبهم وأهليهم الذين استأمنوهم على كل ما في أحلام العمر و.... ناموا ، من

بين تلك الهتافات الغاضبة ضد السيد الوزير ومن بعده المرشد البيطري والرئيس الفلزّي ... أشرقت شمس الأمل ، وأدركت أن شرطتنا على قيد الحياة ولم تدخل غرفة الإنعاش أو الحظيرة الإخوانية بعد .

وبالرغم من أن الإعلان عن الغضب ضد السيد الوزير من أبنائه قد بدأت بشائره الأولى في جنازة شهداء أحداث سجن بورسعيد (٢٧ يناير ٢٠١٣م) ، ثم تكررت (على استحياء) فيما بعدها ، إلا أن (الغضب الساطع) ، كما في غناء فيروز ، كان في جنازة البطل محمد أبو شقرة ، وهذا الغضب هو الذي فتح شرنقة الأمل إذ تزامن مع المد الأفقي والرأسي والدائري لحملة "تمرّد "، وكنّا واثقين تماما أن الجيش " في جيبنا " ولن يخوننا أو يكون ضدنا أبدا ، أما الشرطة فكانت في موضع الشك والارتباك ،كنّا محمّلين بآثار الغضب من تمثيلية اختطاف الجنود السبعة في سيناء (فجر السادس عشر من مايو ٢٠١٣م) وبالرغم من أننا كنا واثقين من تكتيف الجيش والشرطة وغلّ أيديهما عن الفعل الإيجابي وملاحقة العابثين والمجرمين الذين يعيثون بوطننا فساداً وإرهاباً وتخريباً ، إلا أننا ـ في الوقت نفسه ـ لم نستطع أن نغفر للعظيمين عبد الفتاح السيسي وقرينه محمد إبراهيم صمتهما وانكسارهما وتسليمهما لإرادة بائع الوطن والكرامة محمد مرسي العيّاط ، وأظن أننا لن ننسى صورة الوزيرين معا وهما يجلسان في حالة حزن وبؤس وإحباط توحي بكل المعاني التي يحتويها معجم الهزيمة والانكسار ، يومها احتواني الرعب والخوف على وطننا ، وقلت : عليه العوض !! ماذا سيفعل الجنود والضباط عندما يشاهدون القائدين منهزمين إلى هذه الدرجة ! وشاءت إرادة الله أن تعطيهما حقّهما على الملأ ، والحمد لله العلي العظيم الذي شفى قلوبنا وضمائرنا من كلّ أدران الشك

التي كادت تقضي علينا وتسيء إلى أبطالنا القابضين على جمر الشرف والوطنية والصدق والإخلاص والوفاء وكل معاني البطولة والفداء .

ها هم مطاريد المرحلة يترنحون في منتجع رابعة وميدان النهضة كالأسماك التائهة ، متشعلقين في حبال أنجيلا ميركل وباراك أوباما وحليفهم الأردوغاني المتلوّن ، تغريهم أكاذيب قناة الجزيرة وقاذورات **cnn** ، وبعد أن شوّهوا حياتنا وشوهوا الميادين ، لم يشعروا بأي حياء من الله في شهره الكريم ، استباحوا الحرمات، وأباحوا الإفطار باسم الجهاد (جهاد ضد مَن ؟) ، واستعاروا جهاد المناكحة من الحالة السورية الراهنة ، وأصبح قادة المحظورة يمارسون عدة أعمال على رأسها القتل والتحريض عليه ، والسحل والتعذيب وتسهيل الدعارة تحت غطاء الجهاد !! وأصبح السيسي بالنسبة لهم العدو الأكبر ومعه جيش مصر ، وأصبحوا يتحرشون بالشرطة وبرجالها ويهددوننا ، غير أن أحلامهم أحلام إبليس بدخول الجنة ، فقاد عاد الجيش إلى ناصيته ، وارتفعت الشرطة إلى آفاق المسؤولية ، وعاد القضاء ، وعادت الروح إلى كلّ المفاصل في الخريطة المصرية ، فأهلا بأبناء الشعب في أحضان الشعب ، أما السارقون والمفضوحون فليذهبوا إلى أوباما أو ميركل أو أرودغانهم الأرعن .... أو .... يروحوا كندا !!

***

نمنحُهُ تفويضًا إلى الأبدِ ، ونقول :

السيسي .. تاني وتالت ورابع وعاشر و...... للصبح !![1]

فوّضناه !!

أو فوَّضناك ....

أو بأي معنى ، هيَ في حقيقة الأمر فعل أمر وليست التماسًا أو فعلا ماضيا ، هي ـ من حيث اللغة ـ فعلٌ ماض ، ولكن الواقع كسر القاعدة وتجاوزها ليجعل الفعل مضارعًا مستمرًّا متجدّدًا تجدد الثواني والأنفاس ، فهذا البطل ـ بذكائه وعبقريّته ودهائه الفطري اللامحدود ـ يدرك أنّ هذا واجبه ورسالته التي خلقه الله لها وقدّرها له ، ولكنه وجد آلاف الكلاب الضالة تعوي عليه وتتصايح من كلّ اتجاه ، ولو فعلَ مثلما قال زميلنا الشاعرُ القديم :

لو كلُّ كلبٍ عوى ألقمتُهُ حجرًا ....

لأمضى عمره كله يلقم الكلاب أحجارًا ، ولن يستطيع إخماد أصواتها أو كفّها عن العواء والنباح والهوهوة !

عبد الفتاح السيسي ، الاسم الضخم الذي يرجّ الكرة الأرضية الآن ويزلزلها تحت أقدام المغرضين والمرتعشين والكذابين وباعة الوهم المتجوّلين على نواصي العالم الثالث ، لم يعد بحاجة إلى الوصف أو المديح أو كتابة قصائد الشعر فيه ، فقد

---

[1] العدد – ٧٩ الثلاثاء ٣٠ يوليو ٢٠١٣م .

تجاوز بنا حدود الخيال ، واخترق كلّ المعالم التراثية المعروفة لمعاجم اللغة ، وكأنه مخلوق لإعطاء الدروس الخرافية ، ورعاية عواصف الدهشة حتى لا تخمد أو تهدأ ، هو الكائن الشامخ المترفع المرتفع العفيف الهادئ العنيف الطيب الحنون الغامض الواضح الـ....... رهيب!! الذي يصعب على أي أحد أن يتنبّأ بأفعاله أو ردود أفعاله ، هو المدهش الاستثنائي المثير والمغاير، ولهذا سقطت كل مقولات الكائنات الاستراتيجية التي تبيض وترقد على البيض في أحضان القنوات الفضائية وفي عيون المشاهدين وآذانهم ، رماه بعضهم بالإخوانية والعياذ بالله ، فإذا به يسطع على جبين التاريخ المعاصر كألدّ أعدائهم ويصبح ـ بأثرٍ رجعي ـ وكأنه دفن الجماعة الدمويّة في مهدها يوم ميلادها ! ارتبنا فيه وقلنا في حقّه ما قاله مالك في الخمر ، وكنّا نظن أنّ حرامي الوطن والرئاسة الذي هرب من سجن وادي النطرون واحتلّ قصر الاتحادية قد جاء به ليكون عصاه التي يسوقنا بها إلى حتوفنا ، وخنجره الذي يجهز علينا به ، ومعوله الذي يهدم به مصرنا ويحفر لها قبرها ويردم عليها به ، فإذا به يقفز من رحمِ الظنون والشكوك إلى ناصية اليقين والصدق والوطنية والبطولة ، ليكون منقذنا وحامينا ومنقذ مصر العظيمة من بين أنياب القتلة المسعورين الجائعين قطّاع الطريق وأعداء المستقبل .

هل هو أسطورة جديدة في سجل مصر العظيمة ؟ لا ، هو أكبر من الأسطورة ، وأضخم من أن يحيط به الخيال ، هو ليس امتداداً لأحد ولا يشبه أحداً ، هو لا يشبه إلا نفسه ، وإن كان قد أخذ من كلّ الأجداد الأفذاذ أجمل ما فيهم وأغلى وأرقى وأقوى وأعظم ، فهذا بحكم الوراثة ، أليس ابناً لمصر التي أنجبتهم قبله ؟ فلماذا نستكثر عليه أن يحملَ جينات القوة والوطنية والشرف والبطولة والعزة والكرامة

والشهامة والرقة والطيبة والحنان و...... كل ما في مكونات الشخصية المصرية منذ أول مولود على أرضنا الطيبة إلى لحظة كتابة هذه السطور ؟ ولماذا نستكثر عليه أن يأخذ كلّ هذه القيم المتوارثة ثم يتفوّق ويتفرّد ويتعملق ليكون "هو " الذي لا يشبه أحدا سوى نفسه ؟

وكيف تجتمع كل صفات القوة مع كل صفات الرقة والطيبة في كيان واحد ؟ هكذا قد يتساءل أحدهم معتقدا أن الطيبة والحنان والرقة والعطف ليست من شيم القادة خصوصا إذا كانوا قادة جيوش ، فأقول لهم إن الأسد الذي يفترس أضخم حيوانات الغابة وأشرسها ، هو نفسه الذي يحتضن أشباله ويلاعبهم ويعلّمهم ويدرّبهم على رياضة الصيد والقنص والافتراس !! أي .. لكل مقام مقال ، هذا السيسي العملاق الذي بهركم بقوة شخصيته ورباطة جأشه وثقته ـ التي ليس لها حدود ـ بالله وبنفسه وبجيشه العظيم ... أليس هو الذي انفطر قلبه علينا ـ شعب مصر كله ـ ورآنا مثل كرة مثقوبة يتقاذفها الحمقى والجهلاء وسارقو الوطن .. على مرّ التاريخ .. ليشوطونا ـ في نهاية المطاف ، مطاف كل ندل وخائن منهم ـ خارج سياق التاريخ وخارج المستقبل! أليس هو الذي كتب بيده في أعظم بيان عسكري (بعد بيانات السادس من أكتوبر ، العاشر من رمضان) بيان ٣٠ يونيو ٢٠١٣م : "لقد عانى هذا الشعب الكريم ولم يجد من يرفق به أو يحنو عليه ، وهو ما يلقي بعبء أخلاقي ونفسي على القوات المسلحة التي تجد لزاما أن يتوقف الجميع عن أي شيء بخلاف احتضان هذا الشعب الأبي الذي برهن على استعداده لتحقيق المستحيل إذا شعر بالإخلاص والتفاني من أجله "... كنت أستمع إلى البيان بزهو وفخر واندهاش ، طيّرتني اللغة بسلاستها وصورها وتبيانها البديع ، وزانها

وجعلها أكثر إشراقا ذلك الصوت الواثق الذي ألقى البيان، وليلتها جلست أتخيّل ذلك الكونسلتو الذي اجتمع للبحث والتشاور في الأمر ثم العزم والتوكّل على الله بما أفضى إلى تلك الصياغة المعبّرة الدالة بكل دقة وتركيز واختصار ، أي بلا إسهاب ورطرطة وبلادة وركاكة وكل نفايات الكلام التي تقيّأناها على مدار السنة الهبابية الكئيبة الفائتة ، ثم كانت المفاجأة التي لم تخطر ببال ... البيان كتبه الفريق أول (بصراحة اسمه أكبر من كل الرتب والألقاب) عبد الفتاح السيسي !! يعني الرجل يحمل كل مقومات القوة وصفاتها التي برهنت عليها الأحداث (الكبرى) المتلاحقة ، ويحمل بداخله أديبا متمكّنا وصاحب لغة وأسلوب يضعانه في خانة كتّاب المقالات البديعة ، على الأقل ، ثم إنه ـ وهذا هو الأهم والأرقى والأبقى ـ يحمل في تكوينه صفات الأبوة بكل ما نعرفه عن الأب الحنون المضحّي العطوف الصابر المقاتل! في سطرين صادقين فرض السيسي أبوته على كل المصريين حتى الذين هم أكبر منه سنا (وهذا إعجازٌ آخر) ، وجعلنا نشعر أن لنا بيتًا وأبا نذر حياته من أجلنا !! يااااه !!! كلّ ذلك في سطرين ونحن الذين ازرقّت جلودنا من خُطب ذلك الرجل البائس الذي شوّه عاماً كاملاً من عمرنا ومشاعرنا بثرثرته ورطرطته وغبار الكلام الذي زكم به أنوفنا وآذاننا وأعيننا !! عُد مرّة أخرى إلى قولِ أبيك السيسي : " لقد عانى هذا الشعب الكريم ولم يجد من يرفق به أو يحنو عليه " هذا معنى مثير للدموع ، شعرت معه أننا شعب " غلبان " ومكسور ومهيض الجناح ، وفي الوقت نفسه هو مثير للاحترام لهذا الرجل الأب العطوف، فيكفيك عزاءً ـ أيها الشعب العظيم ـ أن تجد مَن يراك ومَن يشعر بك ويتألّم لأجلك وينحني باكيا ليحنو عليك ويرفق بك ! الله الله الله .. الله أكبر ! ماذا تريد " يا

شعب " أكثر من ذلك ؟ أبٌ قوي يحمي ويذود عن العرين ويجعل كلّ ثعلب مكّار أو كلب ضال أو فأر مغرور يفكّر ألف مرة قبل أن يقترب من حدود أمنك وسلامتك وأحلام مستقبلك وترابك الذي تمشي عليه ! بصراحة ... ستكون شعبًا طمّاعا لو طلبت أكثر من ذلك .

ثمّ ... انظر إلى عمق الإحساس بالمسؤولية وتقديرها عندما يعطف على المعاني السالفة ويقول : " .... ما يلقي بعبء أخلاقي ونفسي على القوات المسلحة التي تجد لزاما أن يتوقف الجميع عن أي شيء بخلاف احتضان هذا الشعب الأبي الذي برهن على استعداده لتحقيق المستحيل إذا شعر بالإخلاص والتفاني من أجله .." .. في قصيدته الرائعة " صوت الوطن " (مصر التي في خاطري) التي تغنيها أمّ كُلثوم قال الشاعر أحمد رامي :

" أحبّها للموقفِ الجليلِ

من شعبِها وجيشِها النبيلِ

فهل هناك نُبلٌ أعظمُ من هذا ؟ أنْ تجد جيشك كلّه ، من قائده العام إلى قادة الأفرع الرئيسية إلى الضباط والصف والجنود .. على أعلى درجة من تقدير المسؤولية، وتجدهم جميعا يعتبرون هذا عبئًا أخلاقيًّا ونفسيًّا على عاتقهم من أجل شيءٍ واحد وهو " احتضان هذا الشعب " ... نحن ، يا أيها الشعب الأبيّ العظيم ، أمام عقول جديدة ، وقلوبٍ نقيّة ، وأمام فلسفة استثنائية لم نعهدها ! نحن نثق في جيشنا وعقيدته البطولية الفدائية ، غير أن الطابع الفلسفي والأخلاقي والأبوي الذي أضفاه السيسي ورفاقه الأبطال على هذه العقيدة يجعلنا نرفع رؤوسنا لأعالي السماء ونباهي الأمم بخير أجناد الأرض وبأننا أنجبناهم وبأننا تحت حماية الله وحمايتهم ..! ولماذا يا عمنا وتاج راسنا عبد الفتاح السيسي تفعلون كلّ هذا من أجل

هذا الشعب ؟ يرد : لأن هذا الشعب ... برهن على استعداده لتحقيق المستحيل إذا شعر بالإخلاص والتفاني من أجله !! معنى ذلك أن هذا العطف وهذا الحنان ليس مجرد إشفاق على هذا الشعب الغلبان ، ولكن لأنه يستحق ، ليس لضعفه واستكانته وهوانه لا سمح الله ، بل بسبب القوة والعبقرية الكامنة فيه والتي بإمكانها أن تتخطى المستحيل عند الشعور بالإخلاص والتفاني من أجله !

هي ثقة بلا حدود في شعبكم ، وشعبكم عند حسن ظنكم به ، يقدّركم ويتباهى بكم ، ويقدّس التراب الذي تطأونه ببياداتكم الأشرف من رؤوس شانئيكم ومُبغضيكم وحاسديكم ، شعبكم من خلفكم سدٌّ منيعٌ وظهيرٌ لا يُقهَر ، نجوع ونحمي تراب بلادنا ولا ننحني إلا لله العليّ العظيم ، كلنا على استعداد لحمل السلاح لنبرهن للعالم كله أن الملايين التي فجّرت موسوعة الأرقام القياسية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣م ، ثم عادت لتبعثرها مرة أخرى قبل أن تلم شتات اندهاشها وانبهارها في ٢٦ يوليو ٢٠١٣م ـ أي في أقل من شهر ـ لقادرة على بناء عشرات الأهرامات الجديدة ، وقادرةٌ على خرق الأساطير والخرافات ومعجزات الأرقام القياسية ، نحن شعب يحب الحياة ويقدّس الدين والأخلاق والوطن ، ننتصر على أحزاننا بالضحكة برغم أننا لا نتجاهل الحزن ولا نستهين به ، ونصلي ونصوم ونرتل القرآن ، ونتابع المباريات ونغني ونرسم ونتخيّل ونبدع ... بالضبط مثلما نزرع ونصنع ونفاجئ التاريخ بين الحين والحين ونرغمه على التوقف والانحناء وإعادة الكتابة ..

أقسم السيسي ورفاقه وأبناؤهم الأبطال قسَمًا شريفا أن يفتدوا هذا الشعب وهذا الوطن بدمائهم و... إنهم لصادقون ، ونحن بهم لمتفاخرون إلى يوم الدين ، لم

يكن السيسي ينتظر تفويضًا منّا هو وزميله البطل محمد إبراهيم ـ وزير الداخلية ـ وجيشنا وشرطتنا ليقوموا بواجبهم ويدافعوا عنّا وعن أحلامنا ، ولكنه الدهاء يا صاحبي ، أراد السيسي أن يخرج لسانه ويصعّر كعب حذائه في وجوه كل الذين انتقدوا انحيازه للشعب ، أولئك الذين طار صوابهم عندما طارت أحلامهم بأن تظل مصر طريحة غرفة الإنعاش .. تنتظر حزمة إعانات من دويلة قطر التي يقل عدد سكانها عن عدد الصور التي التقطتها بهاتفي المحمول على كوبري قصر النيل قبيل غروب السادس والعشرين من يوليو المجيد ، وأن نظل شعبا تابعا لمولانا القاطن بالبيت الأسود الأمريكي ونحج إلى سفارته بجاردن سيتي لننال البركة برؤية العارفة بالله آن باترسون ! كان أوباما يطمح إلى أن ينهك مصر ويسلمها على طبق من ذهب لمحبوبته إسرائيل ، وكان الطيب الأردوغاني يحلم بعودة الخلافة العثمانية بانبطاحنا أمام مسلسلات العشق الممنوع التي يصدرونها إلى الوطن العربي، وأن نفقد كل سماتنا وخصائصنا ونتحوّل إلى تنابلة وعثمانليّة ، وكان المفتي الطائر أبو ألف وجه ، المفتي المتصابي أو مفتي الناتو المتصهين ، يحلم بمشيخة الأزهر منذ أن خطب أول جمعة في ميدان التحرير (١٨ فبراير ٢٠١١م) ، ثم ذاق طعم منبر الجامع الأزهر فباض الوهم في رأسه ذي الستة وثمانين عاما وتوهّم أن يكون الإمام الأكبر على يد مرسي العيّاط ، اجتمعت كل السموم والقاذورات في لحظة واحدة .. لحظة عودة مصر إلى الحياة ، وكانت قناة الجزيرة حاضرة بقوة ـ ومعها اليرموك والقدس والـ **cnn**ـ وقامت ـ معاً ـ بدور النائحة المأجورة ، ولم تتأخر أنجيلا ميركل الألمانية عن المجاملة فارتدت السواد ورقعت بالصوت الحياني : واااإخواناه وااعيّاطاه !! فأراد السيسي أن يعيد الصفعة إلى وجوههم الكالحة فوقف ونادى :

شعبنا العظيم ، وقبل أن يكمل كان الشعب كله في الميادين والشوارع .. اشترينا صوراً للسيسي وبالونات وأعلاما وألعاب الليزر بما يعادل خمسة عشر ضعفا من المعونة الأمريكية التي يظن أوباما الغلبان أنه سيكسر إرادتنا بها ، وعادت مصر جسداً واحداً ، لا مسلم ولا مسيحي .. كله " مصري " و" مصري " فقط ، صمنا معاً ، وأفطرنا معًا ، وقلبنا أحذيتنا في وجوه أعدائنا ومنحنا السيسي ما يريد .

هو ... رفع رؤوسنا فاتهموه بالانقلابي ، فكان لا بد أن نرفع رأسه ، ونقول للعالم أجمع : إنه يلبي ما نريد وما نأمر به لأننا مصدر كل السلطات !! وإذا كان أوباما المسكين قد أوقف صفقة الإف ١٦ ، فإنني ألتمس من السيسي العظيم أن يرسل له شريطاً من أفراحنا ليلة ٢٦ يوليو ونحن نلاعب الهليوكوبتر ، وأن يطلب منه سحب أفعاه الرقطاء من جاردن سيتي ، وأن يعتذر عن المناورات المشتركة مع الجيش الأمريكي ويقول له : لم نعد نثق فيكم ، أو : فوت علينا بكرة ، أما قطر وأردوغان والجزيرة وهذه الأشياء التافهة فاترك أمرها لأبنائنا تلاميذ الصف الثالث الإعدادي فهم الأولى بالرد عليها .

***

حزين على ضياع فرصة تأديبهم وإصلاحهم

توكّل كَرمان

وجيوش الحشرات الأمريكوصهيوإخوانيّة !![1]

" هذه البنت من حقّها أن تقول رأيها ، لكنّها ما سمعت كلامي ..... وهي .... غير مؤدَّبة .." .. هكذا نطق أبوها وأطلق صيحته في مجلس الشورى (اليمن) ، والتقطها موقع اليوتيوب وأباحها وأتاحها لكلّ عابري الإنترنت ، وأصبح من حقّ كلّ منّا أن ينعتها بأنها قليلة الأدب ، منحطّة ، عديمة التربيّة ... إلخ ، ولا مانع من أن ينعت أباها أيضا بكل ما في معجم السبّ والهجاء من ألفاظ وصفات لأنه لم يتمكن من تهذيبها وتربيتها التربية الصحيحة ـ طبقًا لاعترافه المسجل بالصوت والصورة ـ وأطلقها كالسلعوّة المسعورة تنهش الآخرين وتتطاول عليهم بدون أي وجه حقّ !

البنت التي أعنيها هي الحشرة الإليكترونيّة توكّل عبد السلام كرمان (من اليمن الشقيق)، تلك الضئيلة الحجم بحيث لا تُرى بالعين المجرّدة ، والتي يمكن حبسها في فردة بيادة قديمة (مع وجود فراغ يسمح لها بالتمدد بداخلها)، وبالرغم من هذه الضآلة فإنها تحمل من الحقد والغل والضغائن والسفالة ما يكفي لإذابة القطبين المتجمّدين معًا،وهي متهوّرة متوتّرة كثيرة الزنّ والضوضاء وتنافس في ذلك حشرة

[1] العدد ٨٠ – الثلاثاء ١٣ أغسطس ٢٠١٣م.

الزنبور التي تحوم حول الجثث وتئزّ بلا انقطاع ، وهي حشرة سامّة والعياذُ بالله ، وسُمُّها هو الأقوى في العالم ويتفوّق خمس عشرة مرّة على سُمِّ أفعى الجلجلة ، وفوق الزنّ والأزّ واللدغ فإن حشرة الزنبور هذه ترش سمومها في الهواء ، وبذلك تضمن أكبر قدر من الإيذاء والإيلام والإزعاج للآخرين .

ـ ولماذا أسميتها الحشرة الإليكترونية ؟

أعطيتُها هذا اللقب إذ تمتلك حسابين على الانترنت ، الفيس بوك ، وتويتر ـ وربّما كان لها فروع أخرى في هذا الفضاء الرهيب ، وفي الحواري والنجوع التي لا أدخلها ـ ومن خلال صفحتيها اللتين تعيش فيهما على مدار الساعات الأربع والعشرين ، بلا نوم ولا هدوء ولا راحة ، تبيض وتحيض وتئزّ وتزنّ وترشّ سمومها وقيئها وروائحها الكريهة ضد الجيش المصري وقائده العظيم ، وتنعتهم بأحط الصفات وأوقح الألفاظ ، ولا تكترث بالانتقادات والاعتراضات والشتائم التي تحاصرها من آلاف المصريين (والعبد لله في مقدّمتهم) ، وتواصل طلعاتها وهجومها بلا هوادة ،انطلاقا من كونها تحمل الصفة العالمية (حسب أقوالها) لأنها حاصلة على جائزة نوبل للسلام ، وأعطاها الأخ بان كي مون ، أمين عام منظمة الأمم المتحدة على العرب والمسلمين ، دورًا ما في أحد الأنشطة التي تقوم بها تلك المنظمة الهلامية ، ولا أدري هل من حقّ أي بني آدم يحمل صفةً دولية أو غير دولية أن يتدخل في حدث بحجم ثورة الشعب المصري التي اكتملت في ٣٠ يونيو ٢٠١٣م ثم فاضت على الكون في ٢٦ يوليو ٢٠١٣م ؟

مع احترامنا لكلّ أشقّائنا في اليمن السعيد ،ولكل ذرة من تراب هذا القطر العربي .... هل من حق هذه الأداة الإخوا أمريكو صهيونية أن تسخّر كلّ وقتها

لسب الجيش المصري والاستهانة بإرادة الملايين التي ملأت شوارع مصر تهتف : لا للإخوان ، وألف لا لهذا الرئيس الهزؤ الذي نزل بموقع مصر ومكانتها إلى الحضيض ؟ هل يجرؤ مواطن مصري ـ مثلي مثلا ـ أن يتطاول على الجيش اليمني أو الرئيس اليمني (العسكري بالمناسبة) أو على أي موقف يتعلّق بإرادة مجموعة من اليمنيين ـ ولو كانوا قلّة ـ واختياراتهم ؟ نعرف أن كثيرين من اليمنيين يرفضون ما تتقيّأه هذه الحشرة شكلا ومضمونا ، وفي مقدمتهم أبوها شخصيّا ، وتعليقات اليمنيين على جرائمها اللفظية على الفيس بوك وتويتر واليوتيوب تؤكد أنهم شعب محترم يعي قدر مصر ودورها وتضحيات شعبها وجيشها في سبيل القضايا العربية ، ولو أن مصر انكفأت على نفسها وغسلت يديها من الهموم العربية ما وصلت إلى هذه الحال ، غير أن ذلك لا يكفي ولا يمسح الجراح أو يمحوها ، وإذا كانت الحشرة المذكورة تتدثّر بجائزة نوبل للسلام وتحتمي بها فإننا نذكّرها بأن مناحم بيجن ـ أشهر القتلة الصهاينة ـ سبقها إلى هذه الجائزة ، كما نذكّرها أيضاً بأنها تناغمت بشكلٍ علني مع دعوة العريان أو حديثه عن حقوق اليهود (ونحن لا نرفض يهود مصر الذين آثروا الوطنية المصرية على العنصرية الصهيونية ورفضوا ترك وطنهم ـ مصر ـ تحت أي ظرف ، هم مثلنا جميعا .. لهم ما لنا وعليهم ما علينا بكل احترام وتقدير) ، وهي ـ المذكورة ـ إذا كانت تتوكأ على صفتها العالمية ، فهذا لا يعنينا ولا محل له من الإعراب في مثل طوفان ٣٠ يونيو و٢٦ يوليو ، أي ـ بالبلدي ـ تضع جائزة نوبل مع جواز سفرها البرّمائي مع صورها مع زميلاتها وبان كي مون وهيلاري كلينتون وبقية أحبابها الصهاينة ... و... تبّلهم وتشرب ميّتهم..!!

هي باحثة عن دور ، ووجدته ، وأصبحت ـ به ـ كالكلب الذي التقط عظمة، لا هو يستطيع أكلها فيشبع ويريح ويستريح ، ولا هو الذي يلقيها ويبحث عن "رزق " آخر! هذه آلة متعددة الأدوار ، انسحقت تحت وطأة الخيانة وأصبحت حلقة في مسلسل الاختراق الصهيو أمريكي لدول الربيع العربي ، هي من الأصل إخوانجية غير قابلة للتطوّر أو التعامل مع العصر ، وهي خائنة لوطنها ـ اليمن ـ وكانت يدا فاعلة في هدم جيشه وتفتيته ، وعندما انحسرت الأضواء عنها هناك وجدت ضالتها في الشارع المصري والثورة المصرية المتجددة ، وبالأمر المباشر من سادتها الأمريكان بدأت العزف في فرقة أوباما السابع عشر مع مجموعة الطبالين والزمّارين : الأردوغاني التركي وتميم الانقلابي القطري ووزير خارجيته خالد العطية ، وجون كيري وزير خارجية أمريكا الإخوانية ونائبه وليم بيرنز ومعهما آن باترسون الحيّة الرقطاء الخانسة في حُفرة جاردن سيتي ، ثم العقربين جون ماكين وليندسي جراهام عضوي مجلس الشيوخ الأمريكي الإخوانجي ... مع بعض الفواصل من العزف المنفرد لكاثرين أشتون وأنجيلا ميركل (نيابة عن أوروبا الشقيقة) وكان الخطأ الأكبر من السلطات المصرية هو تنظيم مهرجان الزيارة للجميع ، وعلى نفقة الدولة ، ومن خلاله قام مَن قام بزيارة المعزول البائس أو المخلوع الثاني مرسي العيّاط ، وعندما اكتشفوا بؤسه وقلة حيلته وانعدام شخصيته وتماهيها في ظل المرشد ونائبه ، ألقوه وراء ظهورهم وخارج حساباتهم ، وحوّلوا عجلة الزيارة باتجاه منتجع طرة ، حيث يوجد الرجل القوي خيرت الشاطر الذي يستطيع أن يقول نعم أو يقول لا ، وهو ـ بقوة نفوذه في المحظورة ـ أضاع شخصية المعزول الذي لا شخصية له أصلا ، وهم جميعا ـ المحظورة وتوابعها ـ يعملون

ككتلة واحدة تسير على الصراط الأمريكي بلا أدنى انحراف أو تأخير ، ولهذا ... يغلي البيت الأسود خوفا من انكشاف خيوط المؤامرات القديمة والسيناريوهات التي نفّذها ممثلو الإخوان بكفاءة منقطعة النظير ، هاج المرتعش المهزوز باراك أوباما وارتجف الكرسي من تحته ، وحتى اللحظة لا ينام ولا يستطيع الإدلاء بتصريحين متوازيين أو متوازنين ، كل تصريحاته ـ وممثليه ـ تأتي متضاربة ومتفاوتة ومتقاطعة ، وكأنهم يرون سحب الفضيحة ويشمون روائحها ويحاولون منعها بأي ثمن ! ولهذا أطلقوا كلابهم تعوي في الفضاء المصري المستباح ، ووجدوا المعاونة الصادقة من السلطات المصرية التي توارت خلف شخصية مستشار إعلامي لم تعلق جملةٌ واحدةٌ له بذهني أو ذكرياتي !! سمحنا لكل الأعداء ـ ونحن نعلم أنهم أعداء وحاقدون ومتآمرون وأخسّاء وخونة ـ بأن يزوروا المخلوع الثاني ... وأن يزوروا نائب المرشد.. وأن يجتمعوا مع زملائهم المتواطئين من قيادات المحظورة الطلقاء ....وأصبح من حقّ خالد العطية ـ وزير خارجية دويلة قطر الابتدائية المشتركة ـ أن يتدخّل في ثورتنا ومستقبلنا وأن يطلق تصريحاته العنترية العشوائية التي تصب في مصلحة الخونة القاتلين المتواطئين ، وأصبح من حقّ فسل أعمى القلب والبصر والبصيرة اسمه جون ماكين وتابعه قُفّة أن يجاهرا على الملأ بمعارضتهما لما يدور تحت سقف بيتنا وأن يصفا هذا الطوفان الاستثنائي بالانقلاب وليس الثورة ، وأصبح من حقّ حشرة الكترونية اسمها توكّل كرمان أن تبيض في فضاء الإنترنت وتبث سمومها وشتائمها ضد شعبنا وجيشنا ، ثم تتجرّأ وتأتي إلى بلادنا ـ وهي مدركة أنها ستُمنع من الدخول ـ ليتم تصويرها على أنها بطلة مدافعة عن الآخرين وتكسب أرضاً إعلامية على قفانا بكل هذه السذاجة والبساطة !!

كان الواجب أن يتم القبض على هؤلاء جميعا وتسليمهم لثوار التحرير لا أن يتاح لهم كل الذي يطلبون ، المعزول وشركاه ليسوا سجناء سياسيين أو سجناء رأي ، إنهم واقعون تحت طائلة القانون الجنائي ، أي مجرمون خانوا الوطن وفرّطوا فيه ، كما تلوّثت أيديهم بدماء الأبرياء وأصبحوا في قبضة العدالة الآن ، ولا يحق لأي بني آدم أن يراهم أو يتحدّث إليهم ، وعندما يقول قضاؤنا الشريف كلمته سننحني لها احتراما حتى لو كانت بالبراءة لهم أجمعين ، وأعيب على هذه الوفود قلة أصلهم وبجاحتهم ، وأقول لهم : كان من الواجب ـ بالمرة ـ أن يأخذ كلّ منكم كيس فاكهة في يده ويطلب زيارة المخلوع الأول وولديه ومَن تبقّى من رموز حكمه، أليسوا بعضا من أدواتكم المستعملة أيضا أيها الناكرون الجاحدون الخائنون للعشرة ؟ أتستخسرون حتى مجرّد إلقاء السلام على صاحبكم القديم حسني مبارك، أو صنيعتكم الذي أعطاكم فوق ما تريدون وما تحلُمون وأورثنا كل هذا الضياع والخراب ؟

وكلّ شيء يهون أمام موقفين : المؤتمر الصحفي لجون ماكين وليندسي جراهام، وإغلاق الأبواب في وجه الحشرة الالكترونية وطردها من مطار القاهرة إلى بلدها مرّةً أخرى ، في الموقف الأول : كان ينبغي على القائمين على الأمر أن يردّوهما في الحال وأثناء المؤتمر ، لا أن يُتركا لهذه الثرثرة المستكبرة ، وهذا الاستعلاء الذي لا يليق ، وهذه الصفاقة التي تجاوزت الحدود المُتعارف عليها دوليا ، ولا أدري لماذا لم ينتفض الحاضرون في وجهيهما ، ولماذا لم يبادر أحدهم بتأديب هذين الصهيونيين كما يليق بصفاقتهما ! أليس جون ماكين هو القائل : لو كان الأمر بيدي لنسفت الكعبة؟ أليس شريكا ضليعا في تهريب المتهمين الأمريكان في قضية التمويل

الشهيرة ؟ أليس واحدا من أشهر ذارفي الدمع الكذوب على حائط المبكى المسروق ؟ كيف يُسمح له هو والفسْل الآخر بكلّ هذا التطاول وهذه العجرفة ؟ إنني حزين ومُحبَط وأكاد أنفجر من الغيظ.

أما الموقف الآخر فهو منع الحشرة إياها من دخول البلاد ، فقد كان الواجب أن نتركها لتدخل المصيدة برجليها ، ثم يتم اصطحابها إلى ميدان رمسيس وربطها من يديها وقدميها برباط بيادة قديمة في أحد أعمدة الإنارة ، ثم نطالب كل الداخلين إلى محطة السكة الحديد والخارجين منها أن يُلقي كلّ منهم نظرة احتقارٍ عليها ، ثم يفاجئها قائلا : بخخخ ، ثم يبصق في وجهها ... ويُفسح الطريق لغيره ، ولا مانع من استضافة رفيقتها بُشرى الصرابي (وليس الترابي) في مكان يليقُ بها وليكن في عشّة فراخ مهجورة بعزبة القرود . كانت كل الدلائل تشير إلى أن الهدف من رحلة هذه المنسحقة الملطوطة هو أن تثير ردود فعل إعلامية ، وحققنا لها كل ما تريد على أكمل وجه ، وانظروا إلى عدد الكاميرات التي كانت بانتظارها في مطار صنعاء (بعد أن رفضوها في مطار دُبي) ، وهي تخرج كأنها عائدة من معركة كبرى ترفع إصبعيها بعلامة النصر (وتجر حقيبة سفر أصغر من حقيبة كتب محمد ابني تلميذ الـ كي جي ، ما يثبت أنها كانت واثقة من أنها لن تبيت خارج اليمن وجاءت لمهمة إعلامية لا غير) ، وعلى الفور طارت التصريحات من كل حدب وصوب وصولا إلى الأمم المتحدة لصاحبها ومديرها الرجل الغلبان بان كي مون ، ثم قامت بسلامتها بكتابة مقالين ناريين ضد الجيش والسيسي لصحيفتي الجارديان والفورين بوليسي ، وفي الأخير شبّهت العيّاط الهزؤ بمانديلا ، وأسمته مانديلا مصر ، تلك التسمية التي جاهد علماء الإخوان لتلبيسها في ألفا عمر كوناري (رئيس وفد

حكماء أفريقيا لتقصّي الزفت الحقائق) لكن الرجل ردّ عليهم المكيدة وغسل يديه منها بسرعة ، فجاءت المتطوعة اليمنية لتنال البطولة والإخراج معًا ، في مقالات إعلانية (أي مدفوعة الثمن) بتمويل من التنظيم الدولي للإخوان ، ومن سيناريو وحوار وإخراج باراك أوباما وورشة العمل الصهيونية في البيت الأسود وتوابعه ! وأشك إلى درجة اليقين أن صفحات هذه الحشرة تُدار إدارة جماعية ، فمن المستحيل أن يتمكن إنسان بمفرده من فرز كل هذا القرف وفي وقت قياسي .

روعة ٣٠ يونيو و٢٦ يوليو تكمن في أنها وحّدتنا ضد أمريكا وغطرستها وجعلتنا نعرف موقعها وقيمتها بالضبط ، وأصبح الشعب الثائر كله يقول : طزّ في أمريكا ومعونتها ، ثم ها هو جيشنا يسترد وهجه القديم الذي انطفأ بعد السادس من أكتوبر ، وليتهم ـ قادة الجيش ـ يتجهون عكسًا إلى روسيا ومعسكرات الشرق ، فأمريكا تعطينا السلاح بيد ، وباليد الأخرى تعطي إسرائيل تفاصيله وكيفية قهره ، كما أفرزت الثورة الكثير من الأصدقاء ومن الأعداء وجعلتنا نرى بشكل أوضح ، وسوف نقاتل ونقبض على الجمر من أجل أهدافنا ومستقبلنا ، لا تعنينا ألاعيب البيت الأسود ، ولا صراخ أردوغان وميركل وأشباههما ، أما الحشرة الإليكترونية المسماة توكّل كرمان ففي يوم ما تلتصق بكعب بيادة جندي مصري وهو يمشي خطوته المعتادة ... بدون أن يدري!

***

نستحلفُهُ أنْ يقطعَ قولَ كلِّ خطيب

سيادة الفريق أوّل السيسي ...

ارحمْنا من الزغللة والتضبيش؟![1]

في عصر الليزر والمراجيح الاليكترونيّة واللعب على كلّ الحبالِ وكلّ الأحصنة.. أصبحت الزغللة والبربشة والتضبيش وهرش المخ من مقبلات المائدة السياسية ، تلك المائدة الغارقة في وحل الثرثرة والرغي الفارغ باسم الثورة (التي لم نعد نعرف لها أمًّا ولا أبًا ولا صاحبًا أو وريثًا) ، كما أصبحت مفردة "الوطنية "من الأشياء المستهلكة التي تشبه العُملة الممسوحة التي فقدت قيمتها وبريقها !!

الفريق أوّل عبد الفتّاح السيسي .. بطل المرحلة ونجمها الأوّل بلا منازع ، حارس الأمل ، وباعث الثقة في نفوس المُحبطين ، العسكري الصارم الفذّ الذي غزا القلوب على جناح الرحمة والإحساس بأنين المطحونين ، وسكن وجدان الملايين بالمعاني الشاعرية الكبرى وليس بقوة السلاح أو على ظهر دبابة ، بصوته المليء بالشجن والعذوبة ، وبكلماته الراقية الرقيقة ، وبإحساسه الممتلئ حبًّا وتقديرًا وتقديسًا لكلّ إنسان ولكل ذرة من تراب أرضنا الطاهرة ، الرجل المقاتل الجسور .. هو نفسه الذي رأى بعيني قلبه وضميره ومشاعره ، أن الشعب الذي هو أحد أبنائه

[1] العدد ٨٧– الثلاثاء ١ أكتوبر ٢٠١٣م .

" لم يجد مَن يحنو عليه أو يرفق به " ، ولذلك وصل بسرعة البرق إلى أعماق القلوب، وطوّقت كلماته مشاعر الذين وصلت إليهم ، فقد كان صادقًا وبريئًا وعفويًّا ، وبالرغم من كلّ هذه الملامح الأبويّة واللغة الشاعرية الصافية ، فإن الرجل ـ على الجانب الآخر ـ يحملُ في تكوينه الشخصي ثبات الهرم ورسوخه ، فيتنفّس الحضارة والرقة والعذوبة ، وكأنها أنسامٌ تتدفق من جبلٍ صخري عمره ملايين السنوات .

تدخّل السيسي ـ ومن ورائه جيش مصر العظيم ـ في اللحظة الحاسمة أو الفاصلة بين موت مصر العظيمة أو بقائها على قيد الحياة والتألق وصناعة التاريخ وإعطاء الدروس وبناء الحضارة وإدهاش الأمم ، نزل السيسي كالصاعقة ليوقف جماعة "نحمل الخراب لمصر "عند حدّها، وليرحم الوطن من الرئيس الخائن المتواطئ المنزوع الدسم الذي لا يليق مطلقًا أن يوضع اسمه في سجل رؤساء مصر ، الرئيس النكرة الذيسرق الكرسي بالتواطؤ والتزوير والتدليس على الشعب بعمليات أكروباتية ستكشفها الأيّام أسرع مما كنا نظن (مثلما سقطت جماعته المنكوبة وعادت إلى الجحور والظلمات مرة أخرى) ، نفّذ السيسي أمر الشعب ليخلّص بلادنا من أنياب الضباع المسعورة ، وجحافل النفوس الأشعبية التي أدمنت الطفاسة ، ولكي تعود إلى أجواء مصر روائح أزمنة العزة والشموخ والكرامة ، وفي كلّ مرّةٍ يخرجُ فيها السيسي على الجماهير في أيّة مناسبة ، يُقسم أن " وجوده في هذا الموقع من أجل حماية الشعب وأحلامه ومقدّساته ، أشرف عنده من حُكم مصر "!! ، وأنا ـ عن نفسي ـ أصدّقه ، وأدعو الله له بالتوفيق وطول العمر ليقضي حياته في هذا الموقع الذي اختاره له ـ ولنا ـ القدرُ الرحيم بنا وبمصرنا

الغالية، أريده أن يظلّ هنا على رأس جيشنا البطل ، ليعطينا الثقة والأمان ، ويحرّضنا على التحدّي والصبر والتحمّل ، مثلما أعاد للجيش بريقه وتوهّجه بعد أن علقَ غبارٌ كثيفٌ بملابسه في الفترة الانتقالية (الأولى) ، على يد السيسي ـ والذين معه ـ وفي تسعين يومًا فقط (من ٣٠ يونيو ٢٠١٣م إلى اليوم) عاد الجيش المصري إلى واجهة الأحداث ، واحتلّ موقعه الذي كاد يُسرق منه ، كواحدٍ من أعظم الجيوش في العصر الحديث ، وبالتوازي مع هذا البريق الذي أصاب الكثيرين بالعمى المزمن في تركيا وأمريكا وإسرائيل ونجع آل ثالث ببؤرة قطر الصهيونية ... كانت مصر تستعيد رونقها وبهاءها ، ولأن عاداتنا المزمنة تأبى أن تفارقنا ، فقد انطلقت جيوش الزغللة واللعب بالعواطف لتحاصرنا من كلّ مكان تحت دعاوى:"الشعب يريد السيسي رئيسًا" !!

النيران مشتعلة تحت ملابسنا وجلودنا ، ونزيف الدم لا يتوقّف في سيناء وفي الشوارع والحارات وفي كلّ البثور الملتهبة على الخريطة المصرية ، وبدلا من أن نكف عن تضييع الوقت والجهد وإهدار المال ، نشاهد الآن تنافُسًا حارًّا وحادًّا بين عدة جبهات في طبع استمارات وشعارات وبتاعات من هنا وهناك من أجل ترشيح السيسي رئيسًا !!

السيسي أصابعه اليوم على الزناد ، وموقعه الذي خلقه الله له هو فيه الآن ، ونحن أحوجُ ما نكون إليه ـ والذين معه ـ في هذا الموقع وفي هذه الظروف ، فلماذا الزغللة والبرجلة والنفاق والحنجلة وكلّ هذه البدع التي أصبحنا نشك فيها ـ ومَن ـ وراءها ؟

لن نكون مُبالغين أو كاذبين إذا قلنا إن الجيش المصري اليوم يستمد ثقته واطمئنانه وقوّته من وجود هذا الرجل على رأسه ، يستوي في ذلك كبار القادة (قادة الأفرع الرئيسية) والضباط والجنود وصولا إلى أحدث عسكري ، وهذا لا ينتقص مطلقًا من قيمة زملائه الآخرين الذين يجاورونه ويساوونه في السن والخبرة والأقدمية والعطاء والشرف ، هذا قَدَرُه وقدْرُه ، وقَدَرُهم وقدْرُهم ، ونحن ـ الشعب ـ اليوم أحوجُ ما نكون إلى جيش قوي متماسك يشارك على الجبهتين ، الحدودية والداخلية ، لحماية مصر من طوفان القذارة والدسائس والمؤامرات والخيانات الإخوانجية سواء كان ذلك بالتعاون مع أمريكا وإسرائيل ، أو تركيا ونملاية قطر ، أو أيٍّ من الكلاب الضالة التي تمرح في سوق الإرهاب وتتدثّر بعباءة الدين والدين منهم بريء يستغيث ويستجير .

جيشنا القوي هو الظهير الأمثل الذي بثّ الدم الساخن في عروق رجال الشرطة (بعضهم زادت لديهم جرعة السخونة فعادوا إلى التجاوز في حقّ المواطنين الأبرياء) ، وهما معا ـ الجيش والشرطة ـ يخوضان معركة مصيرية سيتوقف التاريخ أمامها كثيرًا وطويلا ، نحن نواجه أكبر خيانة في تاريخنا الحديث ، والثواني تترنح حُبلى بالمفاجآت ، وأصبحنا (الجيش والشرطة والشعب) صفًّا واحدًا في مواجهة عصابة إجرامية لا تعرف معنى الوطن ولا قيمة ترابه ، ولم تتذوق طعم الشرف ولا الكرامة وكلّ همها تعطيل قطار المستقبل الذي سيدهسهم ويدفنهم في مزبلة التاريخ لا محالة ، ولكنهم يصرّون على تعكير كلّ شيء وهم في النزع السياسي الأخير ، فلم يكتفوا بالقتل والنهب والترويع والتخريب ، ولكن انسلّوا يتقيّأون قذارتهم على الحيطان والأشجار وأعمدة النور ، ولم يتركوا مترًا إلا ونزفوا عليه حقدهم وغلّهم

وعصارة خيبة أملهم ، وهم لا يدركون أنهم يرفعون جدران الكراهية بينهم وبين الشعب يوما وراء يوم ، وأن أفعالهم على الأرض وعلى الفضائيات الرخيصة وفي خرابات الانترنت سوف تظلّ بارزةً كعلاماتٍ سوداء وعاهات مستديمة على وجوههم البغيضة .

سيّدي قائد جيشنا العظيم .. الفريق أوّل عبد الفتاح السيسي.. في ظلّ جيشٍ قويٍّ متماسك ، تنجح بلادنا برئيسٍ ما يختاره الشعب ، وفي ظلّ جيشٍ متهالك مهزوز لن تستقيم الأمور ولو كان السيسي (الذي هو حضرتك) رئيسًا للبلاد ،، ولذلك .. نستسمحك أن تخرج لتقولها صريحة : لن أرشّح نفسي لرئاسة الجمهورية، وأن توجّه الشكر لكل الصارخين في كل مكان ، حتى يوفّروا المال والجهد والوقت ، وليتركوك لحالك ومسؤولياتك ، وليرحمونا من البربشة والزغللة فقد نزفنا عيوننا في الليالي السوداء ، وسحقت عظامنا طواحين الكلام الفارغ .

***

أنتظرُ رؤيته في سجن طُرة العثماني

أردوغـــان ...

العاهرةُ التي تتحدّثُ عن الشرفِ والفضيلة !![1]

وكأنّه نسخة باهتة من مرسي العيّاط صاحب الخطب البليدة الجوفاء ، والتعبيرات الهزلية المُضحكة! فها هو الإخوانجي التركي الأرعن رجب أردوغان يتخبّط في الحفر التي تخبّط فيها العيّاط ، ويتحف مواطنيه الثائرين بما زكمنا به مرسي الرطراط، من الحديث عن الأصابع الخفيّة التي تلعب في الحارات المزنوقة ، والمخابرات المعادية التي لا تريد للبلاد أن تستقر أو تتقدّم ، وأنه يعرف كلّ صغيرة وكبيرة ، ولن يسمح .... ، ولن يغفر ....، ولن ولن .... إلخ إلخ إلخ ، كتالوج الغباء يتم تنفيذه بحذافيره ، وقائمة التهم المعلّبة هي نفسها مع ترجمتها للغة التركية، أما الفضائح فمشتركة ، وكأنهم ـ العياط وعشيرته وأردوغان وعصابته ـ مجموعة من مواسير الصرف الصحي المتصلة ببعضها من تحت الأرض وفي الخفاء عبر آلاف الأميال ، مواسير تطفح بروائح الفضائح والخيانات والمتاجرة بالدين وبالوطن وأحلام المواطنين ، كما لم يختلف نصّاب تركيا عن نصّابي مصر الذين كادوا يضيعون الوطن في سنة واحدة ، لولا أن تدخّلت العناية الإلهية وأنقذت مصر من بين أنيابهم

[1] العدد ٩٩– الثلاثاء ٣١ديسمبر ٢٠١٣م.

المسمومة ، وبرغم كل ما ندفعه الآن من آلام ، فإنها ثمن المستقبل وفداؤه ، ندفعه عاجلا وعدًّا ونقدًا من دمائنا وأرواحنا ، ليعيش القادمون في حضن أمهم مصر أعزّةً أحرارًا آمنين مطمئنين .

رئيس الحكومة التركية الذي يدّعي الشرف والفضيلة ويرتدي ثوب البطولة الزائفة ، غارقٌ حتى شعر رأسه في مستنقع الفضائح والفساد المتعدد الألوان ، ويحمل على كتفيه تاريخًا من الاستبداد والديكتاتورية والعجرفة وكبت الحريّات، لكنه لا يخجل ، وبين الحين والحين يقفز من وسط وحل فساده ، ويستخدم لسانه الذي تعتّق في الماء الزّفر ، ويصب عصارة حقده وغيظه وخيبة أمله على مصر والمصريين ، بجيشهم وأزهرهم وكنيستهم وإعلامهم وعمالهم وفلاحيهم ، ولا يترك فرصة إلا واستغلها في التلسين على مصر وهو يرفع إشارة الماسونية الربعاوية ، ثم يتقيّأ بأحط ما في جوفه على سمعة الجيش المصري وقائده الفذ الفريق أول عبد الفتاح السيسي منددا بانحياز جيش الوطن إلى صف الإرادة الشعبية التي وأدت أحلامه بعودة الخلافة العثمانية ليصير خليفة المسلمين من بوابة مصر العظيمة ، وبخيانة عصابة المجرمين الذين تحالفوا معه وقاسموه الوهم وحراسة السراب ، وكم تفنن وتمادى في سبّ الانقلاب والانقلابيين ، ولكي يطفئ لهيب الصدمة التي عصفت بعقله وكيانه فتح بلاده أمام جحافل الخونة المنتمين للتنظيم الدولي للإرهاب ، وأغدق عليهم من أموال الدولة العثمانية ليترجموا هذه الأموال إلى قنابل ورصاص وأسلحة تدمير من أجل ترويع المصريين وقتلهم وتخريب ممتلكاتهم لينقلبوا على جيشهم العظيم الذي انتفض لحماية ثورتهم واستردادها من أنياب الخونة تجّار الدين والوطن .

العقرب التركي ضاق جسده عن مساحة السموم التي فيه ، وبات لا يرى غير مصر أمامه ليفرّغ فيها شحنات سمومه وحقاراته ، وبينما هو يصرخ ويتلوّى ويهاجم المصريين ، انبعثت رائحة الشياط من ملابسه الداخلية ، وتسرّبت نيران الفضائح مثل ماء النار لتشوي جلده وتمزّق ما يستر عفّته الكاذبة وتكشف عوراته للناظرين ، وبدلا من أن ينكفئ على العفن المتفاقم فيه ، راح يتحدّث عن الأصابع التي تلعب في الشأن الداخلي التركي ، ولم يخجل من توجيه الاتهام للمخابرات المصريّة ، وكأن المخابرات المصرية هي التي أوقعت وزراءه الحرامية وأولادهم في مستنقع الرشوة واستغلال النفوذ ، وكأن المخابرات المصرية هي التي حرّضت الشعب التركي والأقلام الحرة على الثورة ضده ، تلك الثورة التي تكبر وتنتشر الآن إيذانا بدك عرش غروره ودقّ المسامير الأخيرة في نعش حكومته وأحلامه ، ولأنه متغطرس أبله كالرمرام صديقه مؤلف شريط الشرعية تبعنا ، فقد أمر أردوغان رجال الشرطة تبعه بممارسة أقصى درجات العنف ضد المتظاهرين وعدم السماح لهم بالتكاثر أو الاعتصام ، وكان رجال شرطته عند حُسن ظنه ، فما نراه عبر نشرات الأخبار يؤكد لنا أن الشرطة المصرية أحن من الأم الرءوم ، وأنها شرطة طيّبة وبنت حلال و" تتحط على الجرح يطيب "!! ها هو ميدان تقسيم ـ الرمز المناظر لميدان التحرير ـ يشهد الزحف المتتابع ضد أردوغان وحكومته الفاسدة ، وبرغم الضرب والتنكيل والغاز المسيل للدموع ، فإن ثائري ميدان تقسيم يتزايدون ويتحدّون الكذاب وحكومته ولا يبالون بالإصابات الجسدية ولا بالملاحقات التي يجيده نظام أردوغان ، وكأن الجيش التركي قد استوعب الدرس البطولي من جيش مصر في ثورة ٣٠ يونيو تحديدا ، فقد رفض قادة الجيش أن يقمعوا المتظاهرين أو يعتدوا

عليهم ، وفي يقيني (وأمنياتي) أن الجيش التركي سيتدخّل إذا تصاعدت وتيرة الثورة ومالت إلى العنف وأصبح هناك خطر على الشعب الثائر ضد الديكتاتور ورفاقه الفاسدين في تلك الحكومة التي بدأت تتآكل وتتهاوى ، ولن يفلح معهم أي علاج أو مسكّنات لحظية ، كما لن ينفع معهم الدعم الأمريكي من الشيطان الآخر باراك أوباما فقد وقع أوباما تحت ضرس زوجته ميشال جرّاء أفعاله الصبيانية في وداع نيلسون مانديللا والحركات التي ارتكبها مع لهطة القشطة هيلا تورنينج شميت رئيسة وزراء الدانمارك ، فقد شعرت ميشال بالإهانة مما حدث من زوجها المراهق الذي بدا وكأنه يرى أنثى للمرة الأولى في حياته ، وأدركت ميشال أن العالم كله ينظر إليها الآن لا باعتبارها شريكة حياة أوباما ، بل باعتبارها أخاه الأكبر ، ورأت نفسها رجلا في أعين الآخرين ، وأنها لا يجب أن تبقى مع هذا المتهوّر تحت سقف واحد ولو كان سقف البيت الأسود الأمريكي ذات نفسه !!

أوباما مشغول مثل أردوغان بالتآمر على مصر ، ومحروق مثله من الجيش المصري وقائده ـ تحديدا ـ عبد الفتاح السيسي ، وهم جميعا يلعبون في فريق واحد : الجماعة الإرهابية وحاكم قطر وأردوغان وأوباما وكلابه المسعورة ، وكل هدفهم تعطيل ما يحدث من تقدم في خارطة المستقبل المصرية ، ويودّون لو يفسدون عملية التصويت على الدستور الجديد وإغراق البلاد في الفوضى والتناحر والحرب الأهلية، لتجني أمريكا وعصابتها الأرباح على الجاهز ، وليمكّنوا لإسرائيل في الأرض بعد أن توهّموا أن مصر ماتت !!

أوباما سينشغل بالحريق المشتعل تحت ملابسه ، ولكنه سيظل يفكّر مع كلاب حراسته في تخريب مصر ، هو يدرك أن السيسي أسقطه "لمس أكتاف "، وقد يطير

مستقبله السياسي بسبب هذه الضربة الموجعة التي طرقعت على قفاه بقسوة ، وقد تتحالف ميشال مع معارضي أوباما الأخرق لإيقاف مسيرته وعدم استكمال ولايته الثانية ، ولن يستطيع عقل أوباما مجاراة الأحداث القاسية التي تتدافع على رأسه المنتفخ بالوهم ، سيتخلّى عن أردوغان ويتركه لشعبه بعد أن فقد الأمل ـ أوباما ـ في عودة مرسي وشركاه بعد الأحداث المتسارعة على أرضنا ، ولن يبقى هناك مبرر للتضحية الأمريكية من أجل إنقاذ رقبة أردوغان !! وسيظل أردوغان ينزف من كل جنبات سمعته حتى يسقط ويقوده الشعب إلى المصير الذي ينعم به منتخب جماعة الإرهاب الآن في السجون المختلفة ، ومع كل ركلة أو صفعة على قفاه ، سيظل أردوغان مثل العاهرة التي تدافع عن الشرف والفضيلة ، وسيحاول أن يدّعي البطولة والفدائية فيواصل رفع إشارة الماسونية الربعاوية .

***

نتمنّى لهُ دوامَ السجن والتأديب والإصلاح

العيّـــاط ..

الغرابُ الذي كادَ ينعقُ على أطلالِ الوطنِ وخرائبه !![1]

"مرسي خربها الله يخرب بيته"

" إحنا خدنا قلم ما نقدرش ناخد التاني "

"ما خلاص العبيط فتّح "

عبارات عفويّة صادقة جاءت في فيلم ''شارك '' (عن الدستور الجديد) للمخرجة المتألقة ساندرا نشأت ، اقتطفتُها من على ألسنة البسطاء والمجهولين الذين يضيئون سواد أيامنا وليالينا ، بقلوبهم الطيبة النقيّة ، وأرواحهم الطاهرة الممتلئة حبّا وعشقًا لتراب هذا الوطن الذي يستحق منا كلّ التضحيات. كانوا يتحدّثون ملخّصين كلّ ما يمكن أن يُقال في عشرات المجلدات عن عبقرية هذه الأرض التي لا تنجب إلا النخيل ، وعندما مرّ فوق ترابها الشياطين والأشقياءُ وتجّار الخراب ، نثروا في ثناياها بذور الشّر والدمار والخراب ورووها بدماء الأبرياء والحالمين بغدٍ أفضل لا تشوبه أطماع الطامعين ، ولا تلوثّه روائح الخيانة والتجارة

[1] العدد ١٠١ – الثلاثاء ١٤ يناير ٢٠١٤م.

بالدين وبالوطن في مزادات الخسة والنذالة وعلى موائد لئام البيت الأسود الأمريكي وخدّامه في قطر وتركيا وبقية البقاع النجسة في العالم .

محمد مرسي العيّاط ، المواطن الشخشيخة الذي يصغُر أمام منصب عمدة قرية في عمق الريف المنسي ، وجد نفسه رئيسًا لجمهورية مصر العربيّة ، وهو ـ من الأصل ـ التابع المنسحق عديم الرأي وعديم الشخصيّة ، جاءت به الأقدار في مفارقات غريبة أبكتنا كثيرا ، لكنها كانت تدّخر لنا الفرحة التي لم نكن نحلم بها ، والخلاص الأبدي الذي كان من الممكن أن يكبّدنا مئات السنين من الانتظار ، جاء العياط بديلا ذليلا، وتواطأت كلّ الظروف معه ، وتواطأ كثيرون ليسرقَ منصب رئيس الجمهورية (ولم يكن غريمه أحمد شفيق بأمثلَ منه ، فهما معًا أصغرُ من هذا الشرف) غير أن الضغط الأمريكاني على السلطة المرتعشة ـ يومها ـ أزاح شفيق ليحل محلّه هذا الخازوق الأهوج ، ولم تلبث الأيام والمواقف أن عرّته وكشفت عوراته ، وأدركنا أنه مجرد لعبة في يد قاطني منتجع المقطم، يعطونه الأوامر مكتوبة فيتقيّأها في وجوهنا ونحن صاغرون ومندهشون ، ولأنهم مراهقو سياسة ولا يحترفون إلا اللعب تحت الأرض وفي الخفاء من وراء الحُجُبِ فقد كان تخبّطهم واندفاعهم فوق الوصف وفوق الاحتمال ، مصر العظيمة التي علمت الكون وأضاءت للبشرية جمعاء على مرّ ألوف السنين ، تحوّلت إلى توك توك أعمى يترنح في حواري الزمن فيصدم بجدران المستقبل ويرتد بعنف إلى ظُلمات الماضي والجاهلية الأولى ، ومع كل صباح تتفتح أعيننا على خيانة ، لنرى وطننا يُباع بالجملة والقطّاعي ، ولم يبقَ فيه شيء خارج قبضة الرهن والعرضة للضياع ، وتحوّلت حدائقنا المثمرة إلى مراتع للشياطين ومزارع لتسمين القتلة ورعاة الخراب ،

وانفتحت السجون لتستقبل الأبرياء الذين بدأوا يجأرون بـ "لا"،وفي المقابل يخرج منها المجرمون الذين يعيشون على ممارسة القتل والتخريب ، تحوّلت مصر إلى "كرة شراب "تتراكلها أقدام الأمريكان وأولاد موزا وورثة السلطان العثماني الحالمين بعودة الخلافة من منصة القاهرة ، أوشكت مصر أن تتآكل ونحن بداخلها ، تهتز الأرض من تحت أقدامنا ، ونصرخ بأعلى أصواتنا فلا تصل إلى ذلك الأرعن الذي ضبط استقبال أذنيه على إرسال المقطم ، وتفرّغ للأكل والطفاسة والانتقام من كل ميراث الحرمان ، وفي أوقات فراغه من الأكل يمثّل علينا دور رئيس الجمهورية ، فيجلدنا بالخطب القميئة التي تأتيه بنظام الدليفري من مطابخ المقطم ، وإذا أراد أن يضع عليه بصمته وبعض البهارات ليثبت لنفسه أنه بالفعل رئيس الجمهورية ، غرز بنا في مستنقع الركاكة والسفسطة والاستطراد والتشبيهات البلهاء لينزل بالمنصب إلى الحضيض ، ولأنه شخشيخة فلم يكن يملك غير الشخشخة طبقا لأوامر اليد التي تحركه ، يد المرشد طبيب البهائم ، أو يد أوباما ونتنياهو وبيريز عبر الحيّة الرقطاء آن باترسون ، أو توجيهات التنظيم الدولي للإرهاب من بوابة المقطم الخلفية أيضا !

مواطن جمع كل صفات اللؤم والخسّة والنذالة ومكانه السجن ـ أصلا ـ فهو هارب منه ، يمارس على وطنه كل صنوف الانحطاط ويضرب جميع الأرقام القياسية التي سجلها المستبدون والخونة وبائعي الأوطان ، كان لابد لنا من الثورة عليه وعلى فصيلته التي تؤويه وإعادتهم إلى مكانهم الحلال : السجن ، وتدور الأيام دورتها ، فندرك أن القدر الذي أبكانا بالاحتلال الإخواني لبلادنا، كان يُخبّئُ داخل الدموع بذور الفرحة والانطلاق ، وأنه أدخلهم في التجربة ليفضحهم وليكشفهم

للعالم أجمع ، وليحرقهم ويحرق كل جذور حقاراتهم وسفالاتهم،وبرغم قسوة الحرق فإن بذورًا صغيرة من بذور الشر استطاعت الإفلات والانتشار السرطاني بين أشجار الخريطة، لتواصل العمل الوحيد الذي تجيده ،ولتستعرض مواهبها وخبراتها المزمنة فيسفك الدماء والحرق والتدمير والترويع ، ظنّا منهم أن ذلك سيعيد عجلات الزمن إلى الوراء ليتوقّفوا بنا فيها قبل ٣٠ يونيو ٢٠١٣م (المجيد ، بكل ما تبعه من آلام وتضحيات) ، والزمن لا يمشي إلا في اتجاه واحد .. إلى الأمام، غير أنهم أصروا على اعتناق غيّهم الذي هم فيه يعمهون .

سنة واحدة قضيناها في دولة الإخوان الابتدائية المشتركة ، تعلّمنا منها مئات الدروس التي تحتاج إلى أعمارٍ طويلة لنتعلمها ، وخرجنا منها أكثر صلابة وقوة وترابطا وحبًّا وانتماءً وتمسّكًا بقيمنا الوطنية الشريفة التي قهرت القهر وهزمت الهزائم ، عدنا إلى مصرّيتنا بكل ما تكتنز من مجدٍ وفخارٍ وصبرٍ وصمودٍ وارتفاع على المحن والشدائد ، لنا أعداء كثيرون ونحن كفيلون بهم ، وبيننا كلابٌ ضالة لا حصر لها ولكننا أصبحنا نراها ونرصد هجماتها العشوائية ، وبيننا منافقون وكذابون ومنتفعون ولاحسو أحذية ، وكلّهم "تحت السيطرة "، ولنا ربٌّ عظيمٌ ، ووطنٌ عظيم ، وشعبٌ عظيم ، وجيشٌ عظيمٌ لا تفلّه التحديات ولا تُعْجِزُه آلاف التضحياتِ فهو مصنع الشرف والرجولة والبطولة ، و"كلما استُشْهِدَ منهم بطلٌ "حلّ محلّه قرينه البطل ، و"إنّا لمنتصرون " بمشيئة الله مهما يكن من آلام وشدائد .

هرب المتهم محمد مرسي عيسى العيّاط من السجن ، ليقوم بمهمة عظيمة وهي حفر مقبرة تنظيمه الإرهابي ، وبعد أن نجح في حفرها وأطمأنّ أن تنظيمه سيرقدُ فيها رقدته الأبدية ، أكملَ الواجب معنا على أكمل وجه ، وأخذ رؤوس الفتنة من

عصابة الضلال معه وتوزّعوا على السجون التي هربوا منها ، وفيها بمشيئة الله سيقضون ما تبقّى من عمرهم الكئيب ، فإن لم يكن الإعدامُ العاجلُ فالموت البطيء في الزنازين المظلمة ، وليهنأ شخشيختهم بالوجبات اليومية من التهذيب والتأديب والإصلاح بعد ما سدّ أشعبيته وطفاسته من البط والحمام والسمان والجرجير !!، ونحن إذ نشكره وعصابته على حُسن جهلهم ورعونتهم ،نتمنى لهم طول الإقامة في مكانهم المناسب ، ولينتظروا العيش والحلاوة من موزا وأردوغان وأوباما الأحول ، و........ تحيا جمهورية مصر العربيّة .

***

سيادة الفريق أوّل السيسي ...
مقعدُ الرئاسةِ بانتظارِكَ ، وليسَ لكَ اختيارٌ آخر؟![1]

" ... سيّدي قائدَ جيشِنا العظيم .. الفريق أوّل عبد الفتاح السيسي.. في ظلّ جيشٍ قويٍّ متماسِكٍ ، تنجحُ بلادُنا برئيسٍ " ما " يختارُه الشعب ، وفي ظلّ جيشٍ متهالكٍ مهزوزٍ لن تستقيمَ الأمورُ ولو كانَ السيسي (الذي هو حضرتك) رئيسًا للبلاد ،، ولذلك .. نستسمحُكَ أن تخرجَ لتقولها صريحةً : لن أرشّحَ نفسي لرئاسةِ الجمهورية ، وأنْ توجّهَ الشكرَ لكلِّ الصارخينَ في كلِّ مكانٍ ، حتى يوفّروا المالَ والجهدَ والوقتَ ، وليتركوكَ لحالِكَ ومسؤولياتِك ، وليرحمونا من البربشةِ والزغللةِ فقد نزفنا عيوننا في الليالي السوداءِ ، وسحقت عظامنَا طواحينُ الكلامِ الفارغ "

كانَ هذا هو المقطع الأخير في مقالي المنشور بـ" فيتو "العدد السابع والثمانين ، في أول أكتوبر ٢٠١٣م ، وكما رأيتم كنت أستسمحُ فيهِ السيّد وزير الدفاع الفريق أول عبد الفتّاح السيسي أن يتمسّكَ بموقعِهِ هذا ، ويتركَ الرئاسةَ لأيِّ رئيسٍ " ما "

[1] العدد ١٠٢ – الثلاثاء ٢١ يناير ٢٠١٤م .

يختارُهُ الشعب ، وعندما أصرُّ الآن أنْ يسمعَ نداءاتِ الملايين ويقررَ الترشّحَ للرئاسةِ فليسَ معناهُ أنني ألحسُ كلامي أو أتردّدُ وأرتعشُ وأبدّلُ مواقفي لا سمحَ الله ، ولكنني أقارنُ بين "شرّينِ " كلّ منهما أفدح من الآخر ، ولأنَّ الجيشَ المصريَّ العظيمَ الذي أنجبَ السيسي قادرٌ على إنجابِ عشراتِ السيسي غيرِهِ وتحتَ رعايتِهِ عندما يكونُ مستقبلُ الوطنِ مرهونًا بكلمةٍ منهُ فليس أمامه بدٌّ من الاستجابةِ لنداءِ اللحظةِ الراهنةِ وليس نداء الملايين فقط !!

اللحظةُ الراهنةُ للأسفِ الشديدِ جعلت مصرَ مطمعًا للهواةِ وللحواةِ وللهاربين من المتاحفِ ، وكلٌّ يريدُ أن يصبحَ رئيسًا بعدَ موجتينِ عارمتينِ من ثورةٍ مدهشةٍ لم تحدثْ في التاريخِ البعيدِ أو القريبِ لتخسفَ الأرضَ بنظامينِ بليدينِ في أقلّ من ثلاثينَ شهرًا ، ولو انفرطَ العقدُ ، لا قدّرَ اللهُ ، فلن تنفعَ معنا مائةُ ثورةٍ بعدَ اليومِ وسيكونُ طوفانُ نوح أهونَ مليون مرّةٍ مما سيحلُّ ببلادِنا وما يحيقُ بوطننا !!

من قبلِ إجراءِ الاستفتاءِ على الدستورِ وحسمِهِ بهذهِ النتيجةِ الباهرةِ التي سكبت ماءَ النارِ في عيونِ الحاقدينَ وألهبت مشاعرَهم الجيّاشةِ وألقت فيها كلّ حمولةِ الدّهرِ من اليأسِ والإحباطِ وخيبةِ الأمل ، من قبلِ كلّ هذه الاندهاشاتِ الجديدةِ كانت سُحُبُ التآمرِ تغطّي الساحةَ السياسيّة ، واللاعبونَ بالنارِ في الخفاءِ وفي العَلَنِ يدركونَ أنَّ الرصاصةَ التي أصابتهم في مقتلٍ ودفنتهم ودفنت أحلامَهم

معهم في مزبلةِ التاريخِ من المستحيلِ أنْ تخرجَ من أرواحهم وأجسادهم وتعودَ إلى البندقيّةِ مرّةً أخرى ، هم يُدركونَ أنّ وجودهم انتهى إلى الأبدِ ، ولكنّهم يراهنونَ على ما تبقّى من بقايا في كؤوسِ الوهمِ التي أسكرتهم وألغت عقولهم ، تارةً يزجّونَ بالأبرياءِ ليحرقوا مستقبلَهم ويدمّروهُ بأيديهم ، وتارةً يفتحونَ نيرانَ مدفعيةِ شائعاتهم الثقيلةِ ليربكوا الخطى ويسرقوا الطريقَ من تحتِ الأقدام ، غيرَ أن الأدهى والأمرّ هو اللعبُ على الخيولِ الشائخةِ والصقورِ الصلعاءِ منتوفةِ الريشِ بحكمِ الزمنِ ، ويحاولونَ الزجَّ بهم ومساندتَهم بكلّ الطرقِ من أجلِ سرقةِ مقعدِ الرئاسةِ مرّةً أخرى !! لـ" تعود ريمة لعادتها القديمة "، ومثلما أفرجَ المعزولُ الثاني عن عشراتِ القتلةِ والمجرمين ، يقومونَ هم بردّ الجميلِ للإرهابيّةِ وفروعها المنتشرةِ بكلّ خراباتِ الكرةِ الأرضيّةِ ويُفرجونَ عن مُرسيهم ومرشدهم وكلّ أعضاءِ الفرقةِ الإخوانجيّةِ الاستعراضيّة ، وليعودوا ـ مرّةً أخرى أيضًا ـ ليلعبوا الكرةَ ويتعلّموا ركوبَ العَجَلِ والمراجيحِ في حدائقِ القصورِ الرئاسيّة ، وليعودَ مرسي العيّاط ويمارسَ هواياتِهِ المتعددةَ وعلى رأسها أكلُ البطّ والحمامِ والفتّةِ ، ثمّ يقومَ ليفترسَنا بخطبِهِ البليدةِ الميّتةِ ، وبعدها يذهبُ ليؤدّي الصلاةَ تحتَ حراسةٍ مشددةٍ وأمامَ عشراتِ الكاميرات !!

ومثلما نرفضُ قفزَ أيّ إخواني ، برخصة أو بشرطة ، إلى مقعدِ الرئاسة ، فإننا نرفضُ أيضًا أن نضطرَ إلى "عصرِ الليمونِ " ونهديهِ على صينيةٍ من ذهبٍ لعائشٍ في الماضي مثلِ الأستاذ حمدين صبّاحي المتيّمِ بالجلبابِ الناصريّ المليءِ بالثقوب ، كما لا يليقُ أنْ نسمحَ ـ مجرّدَ السماح ـ لأشخاصٍ من فصيلةِ القذّافي بأنْ يعلنوا عن ترشّحِهم للمنصبِ حتى ولو كانوا يمتلكونَ قنواتٍ فضائيّةً يسبحُ فيها البطُّ نهارًا ، ويمارسونَ فيها الغناءَ للسيسي وللجيشِ المصريِّ ليلا !! ، مجرّدُ ترشّحِ مثلِ هذهِ الأسماءِ (التي أعفّ عن ذكرِها استخسارًا وأدبًا) سيكونُ إهانةً بالغةً لن تمسّ الثورةَ بموجتيها الينايريّةِ واليونيويّةِ ، بل ستمشي في التاريخِ بأثرٍ رجعيٍّ لتُلقي البقعَ والوصماتِ على أثوابِ كلِّ الذينَ اعتلوا مقعدَ القيادةِ منذُ فجرِ الوجودِ إلى أنورِ الساداتِ ، كارثةٌ ليسَ لها حدٌّ فعلا أن يتجاوزَ تعدادُنا حاجزَ التسعينَ مليونًا ثمّ لا نجدُ بيننا مَنْ نأتمِنُهُ على قيادةِ السفينةِ في هذهِ الظروفِ البالغةِ القسوةِ سوى رجلٍ واحد !! مصيبةٌ ووصمةُ عارٍ من نتاجِ عصورِ الاستبدادِ والديكتاتوريّةِ التي ألقت بذورَها في تربةِ الخمسينيّاتِ وترعرعت بشكلٍ مدهشٍ في الحقبةِ المباركيّةِ التي لم نرَ فيها صفًّا ثانيًّا ولا ثالثًا ولا رابعًا ، بل كانت الفجوةُ باتساعِ ثلاثينَ عامًا من الفراغِ الموحشِ ، أقفرت فيها مصرُ وتصحّرت وأكلت نابغيها وعباقرتها ، ليصدُقَ فينا قولُ أمل دنقل الذي أردّدُهُ كثيرًا :

لا تسألي النيلَ أنْ يُعطي وأنْ يلِدَا

لا تسألي أبَدَا

إنّي لأفْتَحُ عيني ، حينَ أفتَحُها ،

على كثيرٍ ، ولكنْ لا أرى أحدَا !!

سيّدي الفريق أول عبد الفتّاح السيسي

إنّ الملايينَ التي خرجت في السادسِ والعشرينَ من يوليو لتُكمِلَ ملحمةَ الثلاثينَ من يونيو ، ما كانت لتخرجَ وتعيدَ إدهاشَ العالمِ إلا بإشارةٍ منك ، لقد وثقَ فيكَ الشعبُ بكلّ طوائفه (إلا قليلا) وفي جيشِنا البطلِ الذي ملأنا بالفخرِ وبالاطمئنانِ معًا برغم كلّ الدماءِ التي سالت ، والدماءِ المرشّحةِ لأنْ تسيل ، هذه الملايينُ هي التي خرجت يومي الاستفتاءِ تحملُكَ في القلبِ والذاكرةِ وترفعُ الأعلامَ وصورتَكَ تحتَ ظلالِ الأغاني والزغاريدِ وأمواجِ الفرحةِ والتفاؤل ، هذه الملايينُ تنتظرُ منكَ أنْ تهمسَ في أذنِ أيّ سيسي من زملائكَ وأبنائكَ بربوعِ قوّاتنا المسلحةِ ليحملَ الأمانةَ ويواصلَ الطريقَ الذي بدأتَهُ ورفعتَ بهِ اسمنا عاليًا ، ووضعتَ جيشنا على رؤوسِ العالمِ المحترمِ كلّه ، لم يغضبْ منك سوى شانئيكَ المُحبَطينَ أوباما وأردوغان والطفلِ القطريّ المنقلبِ على أبيهِ ، وهاهي إيران تدخلُ على الخطّ تنفيذًا لخارطةِ التحالفِ التواطؤيّ الجديدِ مع قاطنِ البيتِ الأسود بواشنطون وأحبابِهِ بتلّ أبيب ، والشائعاتُ تخرجُ لتقولَ إن أوباما يمارسُ الضغوطَ لإثنائك عن

الترشّحِ لرئاسةِ مصر ، ولذلكَ نطالبُكَ أن تقطعَ الشّكَّ باليقينِ وتصعّرَ حذاءَكَ في وجههِ ، إن كانَ صحيحًا ، وفي وجهِ مخترعي الشائعةِ إنْ كانت شائعة !

تقدّم ، وارحمْ وطنك من أن يقع في يد الأوراق المحروقةِ : حمدين ، شفيق ، خالد ، عوّا ، أو أن يلتهمَهُ إخوانجي متنكّرٌ مثل أبو الفتوح (المحروق أيضًا) ، كما لا يجبُ أن تقعَ بلادنا فريسةً لأمثال سامي عنان أو تلك الأسماءِ المسيئةِ التي أعفّ عن ذكرِها

لم يعد أمامي سوى رجلٍ واحدٍ غيرِكَ كنتُ أتمنّى أن يكونَ رئيسًا ولو لفترةٍ واحدةٍ ، ذلك هو المستشار عدلي منصور ، لكننا ندرُكَ أنّهُ لن يقبلَ بذلكَ مطلقًا ، لتصبحَ كلّ الطرقِ لا تؤدّي إلا إليكَ ، ولم يعدْ أمامَكَ من مفرٍّ سوى أن تعلنها ليصمتَ الجميع ، ولو قالَ الحاسدونَ والحاقدونَ والمتباكونَ على قبرِ الإرهابيّةِ : إنهُ انقلابٌ ، سنقولُ لهم : عاجبنا ، ونُخرِجُ لهم ألسنتَنا !!

***

بَشِير عيَّاد

(سطـورٌ مِــن سِيرة ذاتِيـَّة)

* بَشـــير عبد الفتــّاح حســن عيـَّـاد

* من مواليد كفر الدّوّار (محافظة البُحيرة – مِصر) في السَّابع والعشـرين من أبريل (نيسان) ١٩٦٠ م .

* تخـرَّجَ في كلـِّيةِ الحقوق – جامعة الإسكندرية (مايو ـ أيّار ـ ١٩٨٢م) ، وعمِلَ فورَ تخرّجهِ مأمورًا بجمارك الإسكندريّة والمنطقةِ الغربيّة ، ثم انتقلَ إلى القاهرة في نهاياتِ العام ١٩٨٩ م ، ليواصلَ مشوارَهُ الإعلامي.

* مثَّلَ محافظة البُحـيْرَة في مؤتمر " أدباء الأقاليم " فـي دورته الثالثة (الجيزة ، سبتمبر/ أيلول ١٩٨٧ م) ، ويشارك في معظمِ مؤتمرات إقليم غرب ووسط الدلتا الأدبية باعتباره أحد أبناء الإقليم .

* كان مِن مؤسسي مجلة " كاريكاتير " في إصدارها الأوّل ، وعَمِلَ سكرتيرًا ثم مديرًا لتحريرها (١٩٩٠ – ١٩٩٩ م) .

* عملَ مُحررًا أدبيّا وثقافيّا لمجلةِ " الوطــن العربي " التي تصدُرُ من باريس (٢٠٠١ ـ ٢٠٠٧ م) .

* نـُشرتْ أشعارُه ومقالاتـُه وكتاباتـُه النقديةُ في عددٍ كبيرٍ من الصُّحُفِ والمجلاتِ المصريةِ والعربيةِ منها : " إبداع " ،، " الكواكِب " ، "الهلال "، " نصف الدنيا"، " أكتوبر " ، " أخبار الأدب " ، "الشموع " ، "الشِّــعر "، "الرأي العام " الكويتيـَّة ، "السياسـة " الكويتية ، "المجلة العربية " (السعودية)، " الأســـرة العصرية "(دُبـي)، "القاهـرة " ، " دُبـي الثقافيَّة"، " العربي " الكويتيَّة ، " كلام النـّـاس"، " الباشا " ، " العرب ـ القطريّة " ، "الأهرام العربي " ، "ذاكرة مصر المعاصرة " (مكتبة الإسكندريّة) ومجلـّتي الأطفـال : " علاء الدين " التي تصـدُرُ عن "مؤســـسة الأهرام " ،و " قطر الندى " التي تصـدُرُ عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ، وكانَ من مؤسسي جريدة "فيتــو " الأسبوعيّة (صدرَ العددُ منها في العاشر من يناير ٢٠١٢م)، ويحرّرُ بها بابينِ ساخرينِ في كلّ عدد .

* يشاركُ بجهدٍ وافر في الحركةِ النقديةِ والتثقيفيةِ من خلال البرامج الثقافيةِ والأدبيةِوالفنية بجميع شبكاتِ الإذاعةِ المصريةِ والقنـواتِ التليفزيونيةِ الأرضيةِ والمتخصصةِ وبعض الفضائياتِ العربية ، وكذلك من خلال الندواتِ الأدبيةِ والأمسياتِ الشعريةِ في قصور الثقافة وعددٍ كبير من الكلياتِ بالجامعاتِ المصريّة .

* يُعتبَرُ التراثُ الشعريُّ العربيُّ مشروعـهُ الأساسيَّ ، ويشاركُ في محاولةِ تقريبهِ للأجيالِ الجديدة من خلال الإذاعةِ والتليفزيون والكتاباتِ الصحفيةِ والإنترنت، وأصدرَ كتابين في الشعر القديم ، الأوّل ـ كاملا ـ عن تجربةِ الشاعر العُذريّ جميل بن مَعْمَر (جميل بُثينة) ، والآخرَ حولَ عشرةِ شعراء من العصرين الجاهلي وعصر صدر الإسلام ، ويجهّز لإصدار دراسات أخرى حول كثيرين في تلك العصور الشعرية الشاهقة.

* كما يهتم اهتمامًا بارزًا بكبار شعراء الأغنية الراحلين ، ويفرد لهم مساحات إعلاميةً واسعةً ، وقدّمَ عن أمّ كُلثوم وشعرائها وملحّنيها أكثر من ألفي ساعة بالإذاعة والتليفزيون (يوجدُ الكثير منها في عدد كبير من منتديات الغناء والموسيقى على شبكة الانترنت) ، بالإضافة إلى الكتابات الصحفيّة لأكثر من خمسة وعشرين عامًا، كما أصـــدر كتابًا مُهمًّا عن الشـــاعر الغنـائي الكـــبير

عبد الوهـاّب مُحَمّد ، وقريبًا يصدر كتابُه الضخـم عن " جماليّات النصِّ الكـُلثومي" ، فيأكثر من ثلاثة آلاف صفحة.

* وعلى مـــدار أكثرَ من عشرين عامًا يعطـــي الناشئين الموهوبينَ جزءا كبيرًا من اهتمامه ، فيقوم بتبنـّيهم وإعطائهم محاضراتٍ متصلةً في النـّحو والعـَروض، وتقديمهم من خلال الإذاعةِ المصريةِ (الشرق الأوسط ، الشباب والرياضــة) ومن خـلال " قناةِ النيل الثقافية " .

* كتبَ الأشعارَ والأغاني والأزجالَ لعددٍ من المسلسلاتِ والبرامج الإذاعيةِ والتليفزيونيةِ ،ولّحنَ أشعارَهُ وكلماتِه عددٌ من كبار الملحنين ، منهم : عبدالعظيم محمد ، منير الوسيمي ، عمـّار الشريعي ، سامي الحفناوي ، علي سعد ، عماد الرشيدي، هاني شنودة ،إبراهيم نصير ، أحمد الحجّار، حسن إش إش ، وغنَّاها كلٌّ من : هانـي شاكر ، علي الحجَّـار ، محمد الحلو ، محمَّد ثروت ، مدحت صالح ، نادية مصطفى، حسـن فؤاد ، حمـدي هاشم ، شيرين وجدي ، ريم كمال ، هالة الصباغ، ريهام عبدالحكيم ، إسـلام الأمير ، مي فاروق ، دُعاء عدنان ، حسين قريش (السعودية) ، عادل محمود (البحرين) ، محمّد الزوالي (تونس)، المطرب النوبي العالمي حمزة علاء الدين (حمزة الدين) .

* ومن الفنـّانين : شارك بأداء أشعاره الفنانة الكبيرة سميرة أحمد ، والفنان الكبير نـور الشريف ، والفنّانة المعتزلة ياسمين الخيّام (في الأعمال الدينيَّة) ، والفنانون : محمد أبوالحسن ، فاروق نجيب ، ضياء الميرغني ، وفاء عامر ، شادية عبدالحمـيد ، مونيا (في الأعمال الفكاهيَّة أو الانتقاديّة الساخرة) ، وغنى كلٌّ من : عبدالمنعم مدبولي ، أحمد بديـر ، محمود الجندي ، صابرين ، هالة فاخـر (في الأعمال الدراميّة بالسينما والتليفزيون) .

*نال شرف أن يكون أوّل حفل إنشاد ديني في تاريخ مهرجان الموسيقى العربية مقتصِرًا على أشعاره ، وكان ذلك في الليلة السادسة من ليالي المهرجان في دورته الرابعة عشرة ، وكانت الألحان كلها للموسيقـار الكبير سامي الحفناوي ، والغناء للمطرب الكبير محمّد ثروت بمصاحبة " فرقة الإنشاد الديني بالأوبرا" ، و"كورال أطفال الأوبرا " (المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية ، الأربعاء ، ٢٣نوفمبر ٢٠٠٥ م) ونـُقلَ الحفلُ مباشرةً على ثلاث قنوات فضائية.

* من أشعاره وأزجاله ، وإلقاء الإعلامية الكبيرة نجوى أبو النجا يُذاع برنامج يومي بعنوان " كَلِمَـاتٌ وعَبَرَاتٌ " على شاشة " قناة النيل الثقافية " اعتبارا من اليوم الأخير في شهر ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٦ م ، وحتّى الآن .

* اختيرَ مُحكـِّمًا بلجنةِ " الأغنية الإذاعية " بمهرجان القاهــرة للإعلام العربي في دورته الثالثة عشرة (٢ ـ ٦ ديسمبر ٢٠٠٧ م) ، وأعيدَ اختيارُهُ في اللجنةِ نفسِها في الدورة الرابعةِ عشرة (١١ـ ١٦ نوفمبر ٢٠٠٨م) ، كما اختيرَ مُحَكِّمًا بلجنةِ "أعمال الطفـلِ / إذاعة " في الدورة السادسة عـــشرة (القاهـــرة ـ ديسمبر ٢٠١٠م).

* اختارتـْهُ الهيئة المصريّة العامة للكتاب ليكتب مقدمة الأعمال الشعريّة الكاملة للشاعـر الكبير إبراهيم ناجي ، ضمن المشروع الثقافي الضّخم " سلسلة أدباء القرن العشرين " ، وصَدَرَ الجزءُ الأوّلُ منها ـ " ديوان .. وراءَ الغمام " ـ في ينايـــر ٢٠٠٨م ، والجـــزء الثـــاني ـ " ديـــوان ... ليالي القاهـــرة " ـ في نوفمبر ٢٠٠٨م، والديوان الثالث والأخير " الطائر الجريح " في سبتمبر ٢٠٠٩ م، وفيهِ اكتشفَ خطأً فاضحًا لم يلتفتْ إليهِ أحدٌ على مدار ثلاثة وخمسين عامًا يستوي في ذلك نقّاد ناجي والذين جعلوا من شعرِهِ موضوعًا لأطروحاتهم بالدراساتِ العليا، ذلكَ الخطأ هو وجود قصيدةٍ مهترئةٍ ـ في واحدٍ وخمسينَ بيتًا ـ بعنوان " في ظلال الصّمت" جعلوا منها عملا شاهقًا وبديعًا ، بينما هيَ مجرّد مسوّداتٍ لقصائدَ نشرها ناجي في حياته ، ومنها ثمانيةٌ وثلاثون بيتًا من قصيدة "الخريف "وحدها.

• صَدَرَلَهُ :

*عبد الوهاب مُحـــمَّـــد ... أغنيةٌ خـالـدة

ط أولى يناير ١٩٩٨

* ديوان الرُّباعيّات ... " و .. لأحزاني أُغنـــِّي "

ط أولى أغسطس ١٩٩٨

* جميل بُثينة .. إمامُ المحبّـــينَ والمجانين

ط أولى ٢٠٠٠

* ناطحاتٌ شعريّة (الكتابُ الأوّل) ...... (صدرَ عن دار " فرحة " للنشر والتوزيع (مارس ٢٠٠٣ م) ، ثم صدرَ في طبعةٍ أخرى لمكتبةِ الأسرة "مهرجان القراءة للجميع ") صيف ٢٠٠٣ م .

* أزجالي .. الجزءُ الأوّل " ديوانُ الثورة " (إذا الشّعب قال) ط١ في ٢٥ يناير ٢٠١٢ م ، في أوّل أعياد الثورة المصريّة المسروقة . (صدر عن دار "بورصة الكتب " بالقاهرة)

* في دولةِ الإخوانِ الابتدائيّةِ المُشتركة ، ط١ في ٢٥ يناير ٢٠١٤م ، (عن دار " بورصة الكتب " بالقاهرة).

• وَلَهُ تَحْتَ الطَّبْع :

* أمُّ كـُلثوم .... عـَـصـرٌ من الشـُّـعـَـرَاء

(إبحارٌ في جماليَـاتِ النـّـص) (في سبعةِ مجلّدات) .

* خُلاصة ناجـــــــي

* ناطحـاتٌ شعـريّـة (الكتاب الثاني)

* جمهــورية طناشـستان (ســــــاخر)

* عمليّة " لوري "

(قصة التسلل الإسرائيلي إلى مجلة " كاريكاتير ")

* بهلوانُ السيركِ العـَـرَبــيّ

(وقفاتٌ مع الأعمالِ السياسيةِ للشاعر نزار قباني)

* عبد الوهاب محمّــد .. أغنيةٌ خالـــدة

(طبعة ثانيــة ، منقـَّحة ومَـــزيدة)

* بُشـــيـريـَّـات

(وقفاتٌ في الأدب والفن ، ومحطّات من السيرة الذاتية)

* سيقتلُني الحُبُّ لا تَعْشَقِيني

(مجموعةٌ شعريَّة)

* أسماءْ على سبّورة الليل

(نصوص بالعاميّة المصريَّة)

* عشانْ سَلمى

(أغنيات حبّ حزينة ، في ثلاثة أجزاء)

* أزجالي

(أربعة دواوين)

* الغناءُ المِصريُّ .. من أمّ كُلثوم ومحمّد عبدالوهاب إلى روبي وبعْرور!

(البريد الالكتروني)

basheerayyad@hotmail.com

bsheerayyad2@gmail.com

basheerayyad@yahoo.com

basher_ayyad@yahoo.com